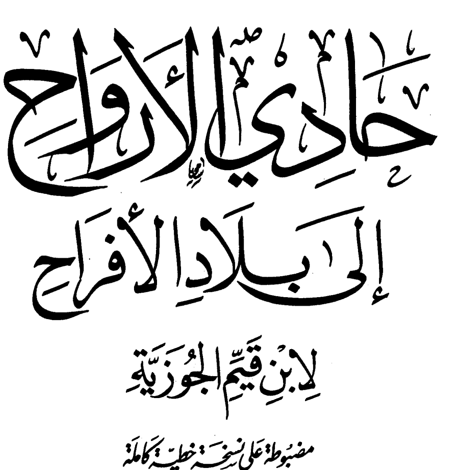


طبعة محققة ومضبوطة وموثقة ومخرجة
ومقابلة على نسخة خطية كاملة

تحقيق

محمد حواس   عماد قدري العياض

الناشر
دار البيان العربي




حادي الأرواح
إلى بلاد الأفراح

اسم الكتاب : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
اسم المؤلف : الإمام ابن قيم الجوزية
اسم المحقق : محمد حواس وعماد قدري
مقاس الكتاب : ١٧ x ٢٤
عدد الصفحات : ٤٢٤
عدد الأجزاء : مجلد واحد
رقم الإيداع : ٢٢٠٨٦ / ٢٠٠٦



دار البيان العربي
الأزهر - درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد:

فهذا كتاب « **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**» للإمام العلامة شيخ الإسلام بلا مدافع أبي عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية، رحمه الله تعالى .

وفقنا الله عز وجل للاعتناء به، وتحقيقه ، وإخراجه في ثوب قشيب، وكان عملنا فيه ممثلا فيما يلي :

١ ـ تخريج الآيات .

٢ ـ تخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها.

٣ ـ ضبط نص الكتاب على نسخة خطية كاملة.

٤ ـ توثيق نص الكتاب.

٥ ـ عزو الأقوال.

٦ ـ بيان بعض اللغويات.

٧ ـ عزو الأشعار إلى قائليها مع التعريف بالشاعر تعريفًا مختصرًا إن لم يكن الشاعر مشهورًا .

٨ ـ عمل ترجمة مختصرة لابن القيم رحمه الله تعالى .

والله أسأل أن يتقبلنا عنده من المتقين، وأن يجعلنا من عباده المخلصين، آمين، آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ترجمة ابن القيم

اسمه ونسبه :

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زين الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية.

مولده:

ولد في السابع من شهر صفر سنة (٦٩١ هـ).

شيوخه :

والده أبو بكر بن أيوب - أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الشهاب العابر - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني - تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي - أبو بكر بن المسند زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي - مجد الدين إسماعيل بن محمد الفراء الحراني - جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن المزي - شمس الدين أبو عبد الله بن أبي الفتح البعلبكي اللغوي - كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الزملكاني - شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي.

تلاميذه:

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي المشهور بـ « ابن رجب الحنبلي » - ابن برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين عبد الله - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ثم الصالحي - شمس الدين أبو عبد الله بن عبد القادر بن محيى الدين عثمان النابلسي المعروف بالجنة - محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الخضر الغزي - محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المقري التلمساني - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي اللغوي صاحب القاموس وغيره - تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي.

طلبه للعلم :

قال ابن كثير في « البداية والنهاية » : سمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة لاسيما علم التفسير والحديث والأصلين ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة (٧١٢) لازمه إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علمًا جمًا مع ما سلف له من الاشتغال فصار فريدًا في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهارًا وكثرة الابتهال.

وكان حسن القراءة والخلق كثير التودد لا يحسد أحدًا ولا يؤذيه ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد. وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير وكتب بخطه الحسن شيئًا كثيرًا ، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف.

وقال ابن رجب الحنبلي في « ذيل طبقات الحنابلة »: تفقه في المذاهب وبرع وأفتى ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ منه وتفنن في علوم الإسلام وكان عارفًا بالتفسير لا يجاري فيه وبأصول الدين وإليه فيهما المنتهى والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك وبالفقه وأصوله وبالعربية وله فيها اليد الطولى وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك وكان عالمًا بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

وصنف تصانيف كثيرة جدًا في أنواع العلم وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء الكتب واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره.

ثناء العلماء عليه:

قال الذهبي : عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره وتدريسه وفي الأصلين.

وقال ابن ناصر الدين في « الرد الوافر » وكان ذا فنون من العلوم وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم .

وقال ابن حجر العسقلاني في « الدرر الكامنة » :كان جريء الجنان واسع العلم عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف .

وقال السيوطي في « بغية الوعاة» : قد صنف وناظر وصار من الأئمة الكبار في

التفسير والحديث والفروع والأصلين والعربية .

وقال الشوكاني في « البدر الطالع» : العلامة الكبير المجتهد المطلق المصنف المشهور .... وبرع في شتى العلوم وفاق الأقران واشتهر في الآفاق وتبحر في معرفة مذاهب السلف .

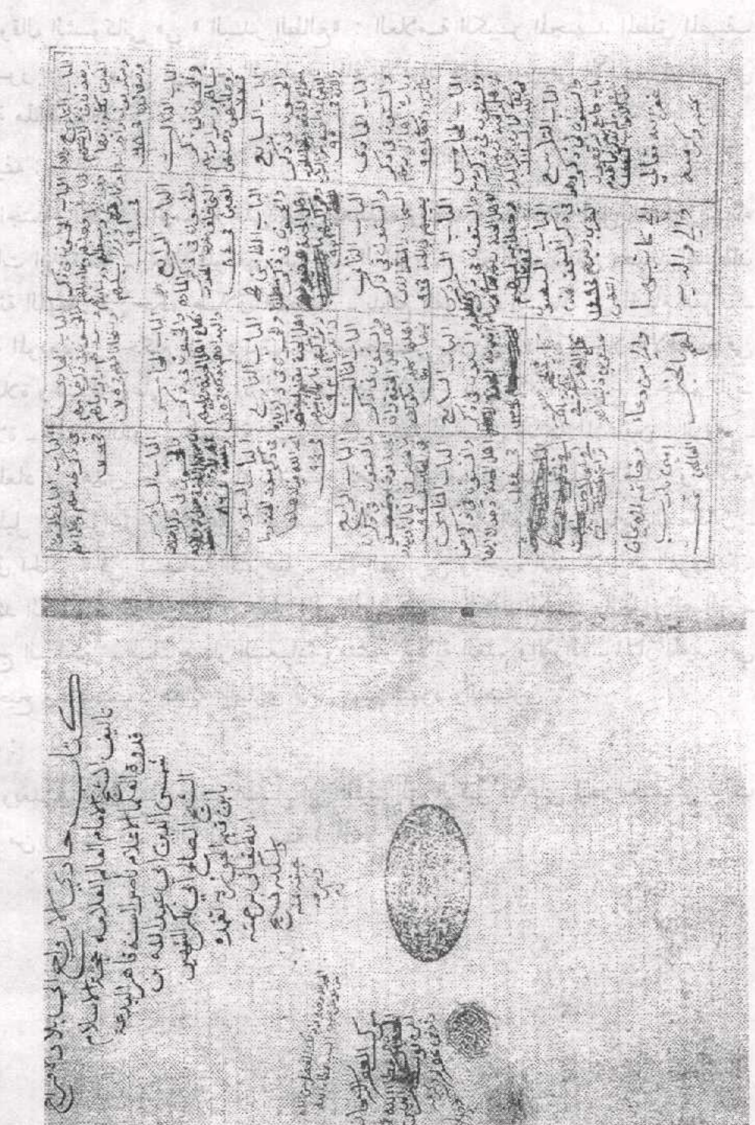
تصانيفه :

اجتماع الجيوش الإسلام على غزو المعطلة والجهمية ـ أحكام أهل الذمة. أسماء مؤلفات ابن تيمية ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ـ إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ـ بدائع الفوائد ـ التبيان في أقسام القرآن ـ تحفة المودود في أحكام المولود ـ تهذيب مختصر سنن أبي داود ـ جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ـ حكم تارك الصلاة ـ الداء والدواء ـ الرسالة التبوكية ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ـ الروح ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ـ الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ـ الفروسية ـ الفوائد الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ـ الكلم الطيب والعمل الصالح ـ مدارج السالكين ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .

وفاته :

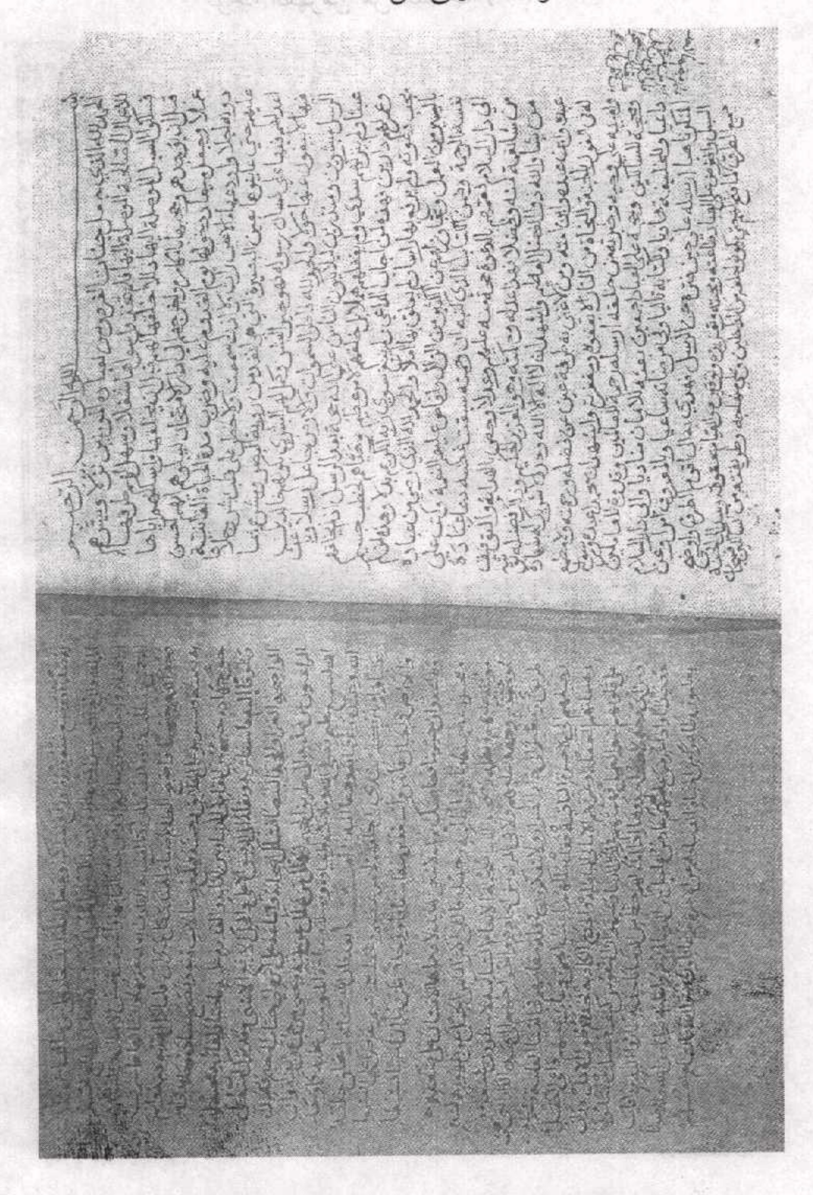
وبعد هذه الحياة الحافلة انتقل ابن القيم إلى الرفيق الأعلى ليلة الخميس ثالث عشر من رجب وقت أذان العشاء سنة (٧٥١ هـ) .

لوحة العنوان الأولى من النسخة (أ)

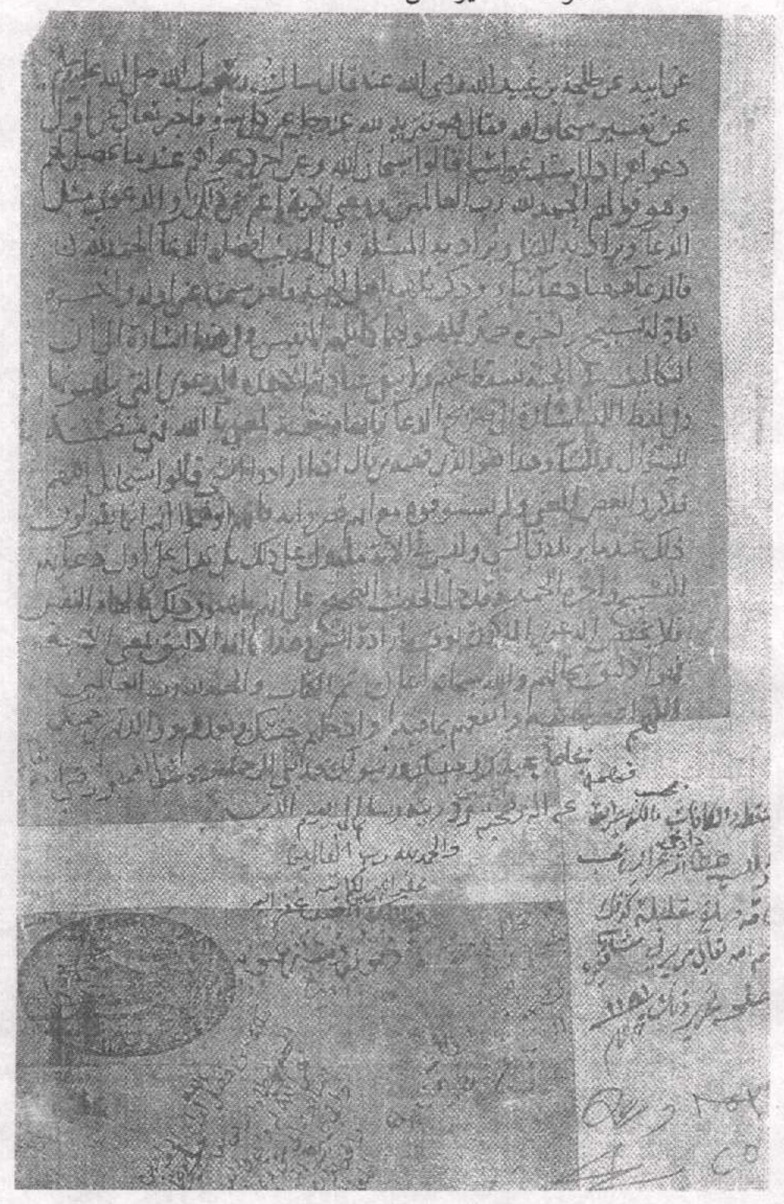


لوحة الفهرس من النسخة (أ)

اللوحة الأولى من النسخة (أ)



اللوحة الأخيرة من النسخة (أ)



الحمـد لله الذي جعل جنات الفردوس لعـباده المؤمنين نزلاً، وييسرهم للأعـمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل لهم طرقها ويسر لهم فسلكوا السبـيل الموصلة إليـها ذللاً، خلقـها لهم قـبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياهـا قبل أن يوجدهم وحفهـا بالمكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبـلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضـرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قـلب بشر، وجلاَّها لـهم حتى عاينوها بعين البصـيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر، وبشرهم بما أعـد لهم فيها على لسان رسـوله فهو خـير البُشَر، [على لـسان خير البَـشَر] (١)، وكمل لهم البـشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا .

والحـمد لـله فاطر السـمـوات والأرض جـاعل الملائكة رسـلاً، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجـة بعد الرسل، إذ لم يخلقهم عبثًا، ولم يتركـهم سدى ، ولم يغفلهم همـلاً، بل خلقهم لأمر عـظيم، وهيأهم لخطب جسـيم، وعمر لهم دارين فـهذه لمن أجاب الداعي ولم يـبغ سوى ربه الكريم بدلاً، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأسًا ولم يعلق بها أملاً .

والحمد لله الذي رضي من عباده باليسـير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسـه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقـت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام فعمـهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً، وخص بالهداية والتـوفيق من شاء نعمـة وفضلاً .فهذا عـدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمـته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته.

---

(١) ليست في خ.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، بعثه للإيمان مناديًا، وإلى دار السلام داعيًا، وللخليقة هاديًا، ولكتابه تاليًا، وفي مرضاته ساعيًا، وبالمعروف آمرًا وعن المنكر ناهيًا، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته، وتعزيزه وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه، فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين .

فسبحان من شرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فدعا إلى الله وإلى جنته سرًا وجهرًا، وأذن بذلك بين أظهر أمته ليلاً ونهاراً، إلى أن طلع فجر الإسلام، وأشرقت شمس الإيمان، وعلت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان، فأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها، فأشرق وجه الدهر حسنًا، وأصبح الظلام ضياء، واهتدى كل حيران، فلما أكمل الله به دينه وأتم به نعمته، ونشر به على الخلائق رحمته فبلغ رسالات ربه ونصح عباده، وجاهد في الله حق جهاده، خيره بين المقام في الدنيا وبين [لقاء ربه والقدوم عليه فاختار لقاء ربه] (١) محبة وشوقًا إليه فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى، والمحل الأرفع الأسنى، وقد ترك أمته على(٢) المحجة البيضاء، فسلك أصحابه وأتباعهم على أثره إلى جنات النعيم، [وعدل الواضحة الغراء] (٣) الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم : ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال :٤٢]. فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وحد الله وعبده، وعرفنا به ودعا إليه .

---

(١) سقط من ط .
(٢) سقط من ط .
(٣) وعزل.

أما بعـــد ...

فإن الله سبحـانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثًـا ولم يتركهم سدى(١)، بل خلقهم لأمر عظيم، وخطب جسيم، عُرِض على السمـوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقًا ووجلاً (٢)، وقلن: ربنا إن أمرتنا فسمعًا وطاعـة وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلاً، وحمله الإنسان على ضعـفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله، فألقى أكـثر الناس الحمل عن ظهورهم لشـدة مؤنته عليهم وثقله، فصـحبوا الدنيا صحبـة الأنعام السائمة، لا ينظرون في معرفة موجـدهم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخـراجهم إلى هذه الدار التي هي طريـق ومعبـر إلى دار القرار، ولا يتفكرون في قلة مقامـهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الآخـرة الباقية، فقد ملكهم باعث [الحس] (٣)، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأماني البـاطلة، والخدع الكاذبة، فـخدعهم طول الأمل، وران علـى قلوبهم سوء العمل، [فهم](٤) في لذات الدنيا، وشهوات النفوس كيف حَصَلَت حصَّلوها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيـا بآخرتهم طاروا إليه زرافات(٥) ووحدانًا، وإذا عـرض لهم عرض عـاجل من الدنيا، لم يؤثروا عليـه ثوابًا من الله ولا رضوانًا : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] .

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [ق:٣١]، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر :١٩] . والعجب كل العجب من غفلة مَنْ لحظاته معدودة عليه، وكل نفس من أنفاسه لا قـيمة له وإذا ذهب لم يرجع إليه، فمطايا الليل والنهـار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل، ويسـار به أعظم من سير البـريد، ولا يدري إلى أي الدارين ينقل، فـإذا نزل به الموت اشـتـد قلقـه لخـراب ذاته وذهاب لذاته، لا لمـا سـبق مـن جـناياته، وسلف من تفـريطه، حيث لم يقـدم لحياته، فـإذا خطـرت لـه خطـرة

(١) سدي: هملا.
(٢) الوجل: الخوف. «مختار الصحاح» (ص ٢٩٦) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٥٦).
(٣) في خ : الحسن والصواب ما في ط.
(٤) في خ: فهمتهم.
(٥) زرافات: جماعات. «لسان العرب» (٤/ ٥١٠).

عارضة [لما] [(١)] خلق له دفعها باعتـماده على العفو، [قال][(٢)] :قد أنبأنا الله أنه هو الغفور الرحيم وكأنه لم [ينبأ][(٣)] أن عذابه هو العذاب الأليم .

فصل

ولما علم [الموفَّقون][(٤)] ما خلقوا له وما أريد بإيجـادهم رفعوا رؤوسهم فإذا علم أن الجنة قد رفع لهم فـشمروا إليه، وإذا صـراطها المستقـيم قد وضح لهم فاستـقاموا عليـه، ورأوا من أعظم الغبن بيع مـا لا عين رأت ولا أذن سمـعت، ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفد بصبابة عيش وإنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشـوب بالنغص[(٥)]، ممزوج بالغصص[(٦)]، وإن أضحك قلـيلاً أبكى كثـيراً، وإن سـر يومًا أحـزن شهـوراً آلامه تزيد على لذاتـه، وأحزانه [أضـعاف][(٧)] مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف.

فيا عـجبًا من سفيـه في صورة حكيم، ومعتـوه في مسلاخ[(٨)] عاقل، آثر الحظ الفاني الخـسيس، على الحظ الباقي النفـيس، وباع جنة عرضها السـموات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبليـات، ومساكن طيبة في [جنات][(٩)] تجري من تحتـها الأنهـار، بأعطان ضيقـة آخرها الخـراب، والبوار، وأبكارًا عربًا أتـرابًا كأنهن الياقوت والمرجـان، بقذرات دنسات سيئات الأخـلاق مسافحات أو متـخذات أخدان وحوراً مـقصورات في الخيـام بخبيـثات مسيـبات بين الأنام، وأنهاراً من خـمر لذة للشاربين، بشراب نجس مـذهب للعقل مفسد للدنـيا والدين، ولذة النظر إلى وجه

---

(١) في خ : فيما.
(٢) في خ : وقال.
(٣) في خ : ينبأنا.
(٤) في خ : الموافقون.
(٥) النغص: كدر العيش. «لسان العرب» (٧/ ٩٩).
(٦) الغصص: الشَّجر، والجمع غُصَص. «مختار الصحاح» (ص ١٩٩).
(٧) في خ : أضعاف أضعاف. .
(٨) مسلاخ: أي أنه في صورة غير صورته الحقيقية.
(٩) في خ : جنات عدن.

العـزيز الرحيـم، بالتمـتع برؤية الوجـه القـبيح [الدمـيم][١]، وسمـاع الخطاب من الرحمـن، بسماع المـعازف والغناء والألحـان، والجلوس على منابر اللؤلؤ واليـاقوت والزبرجـد يوم المزيد، بالجلوس في مـجالس الفـسـوق مع كل شيطان مـريد، ونداء المنادي «**يا أهل الجنة: إن لكم أن تنعـموا فلا تبـأسوا، وتحـيوا فلا تموتوا وتقـيمـوا فلا تظعنوا، وتشبوا فلا تهرموا**»[٢]، بغناء المغنين.

وقف الهـوى بي حـيث أنت فليس لي مـتـأخـر عنه ولا مـتـقـدم

أجـد الملامـة في هـواك لذيـذة حـبًّـا لذكـرك فـليلـمني الـلوم

وإنما يظهر الغبن الفـاحش في هذا البيع يوم القيـامة، وإنما يتبين سفـه بائعه يوم الحسرة والندامـة، وإذا حشر المتقـون إلى الرحمن وفدًا، وسيق المجـرمون إلى جهنم وردًا ونادى المنادي على رؤوس الأشـهـاد، ليعلمن أهل المـوقف من أولى بالكرم من بين العباد فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقـة ما أعد الله لهم من الإكرام، وأخر لهم من الفـضل والإنعام، ومـا أخفي لهم من قـرة أعين لم يقع على مـثلها بصـر، ولا سمعـته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضـاع، وأنه [لا خير][٣] في حياته وهو معـدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكًا كبـيرًا لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضـات الجنات يتقلبون، وعلى أسـرتها تحت الحجـال يجلسون وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون، وبالحور العين [يتنعمون][٤]، وبأنواع الثمار يتـفكهون، ويطوف عـليهم ولدان مـخلدون بأكـواب وأباريق وكأس من مـعين لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتـخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين كأمـثال اللؤلؤ المكنون، جـزاء بما كانوا يعـملون، ويطاف عليهم بصـحاف من ذهب وأكواب وفيـها ما تشتهـيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيهـا خالدون، تالله لقـد نودي

---

(١) في خ: الذميم.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧).
(٣) في خ: لا خير له.
(٤) في خ: يتمتعون.

عليها في سوق الكساد، فما قلب ولا استام إلا أفراد من العباد.

فواعجبًا لها كيف نام طالبـها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبـها، وكيف طاب العيش في هذه الدار، بعد سمـاع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القـرار، دون معانقة أبكارها، وكيف قـرت دونها أعين المشتـاقين؟ وكيف صبـرت عنها أنفس الموقنين ؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين. وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟

* * *

شعر في وصف الجنة

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذي هو موعد المز يد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادي يهيم صبابة محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم [1] يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة أمن بعدها يسلو المحب المتيم [2]
ولله كم من خيرة إن تبسمت أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ويا لذة الأسماع [ق / ٤] حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ويا خجلة الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما في لثمها عند ضمها وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفاح جنة ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن في جمع واحد فيا عجبًا من واحد يتقسم

---

(١) الضيم: الظلم. «مختار الصحاح» (ص ١٦٢).
(٢) المتيم: المضلل. «لسان العرب» (١٢/ ٧٥).

لها فرق شتى من الحسن أجمعت   بجملتها إن السلو محرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر   فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها   تولى على أعقابه الجيش يهزم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبًا   فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها   تيقن حقًّا أنه ليس يهرم
وكن مبغضا للخائنات لحبها   فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيما(١) ممن سواها فإنها   لمثلك في جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك في غد   تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص   فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها   ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحي على جنات عدن فإنها   منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى   نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى   وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التى   لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وحي على السوق الذي فيه يلتقي المحـ   ـبون ذاك السوق للقوم [يعلم](٢)
فما شئت خذ منه بلا ثمن له   فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي على يوم المزيد الذي به   زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحي على واد هنالك أفيح   وتربته من إذفر المسك أعظم
منابر من نور هنالك وفضة   ومن خالص العقيان ،لا تتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدًا   لمن دون أصحاب المنابر يعلم
فبينا همو في عيشهم وسرورهم   وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له   بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة   فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم   بآذانهم تسليمه إذ يسلم

---

(١) الأيم: الذى لا زوج له. «مختار الصحاح» (صـ: ١٤).
(٢) فى خ : معلم.

يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما ... تريدون عندي إنني أنا أرحم
فقالوا جميعًا نحن نسألك الرضا ... فأنت الذي تولي الجميل وترحم
فيعطيهم هذا ويشهد جمعهم ... عليه تعالى الله فالله أكرم
فيا بائعًا هذا ببخس معجل ... كأنك لا تدري ،بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

* * *

فصـــل

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه، وتفصيله وتبويبه، فهو للمحزون سلوة وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب، إلى أجل مطلوب وحاد للنفوس، إلى مجاورة الملك القدوس، ممتع لقارئه، ومشوق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد، على ما لعلَّ المجتهد في الطلب لا يظفر به فيما سواه من الكتب مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات، والآثار الموقوفات، والأسرار الموضوعة في كثير من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثير من المشكلات، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات، إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانًا[1]، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانًا، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات، وباعث الهمم العاليات، إلى العيش الهني في تلك الغرفات.

وسميته «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» فإنه اسم يطابق مسماه، ولفظ يوافق معناه، والله يعلم ما قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت، فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة بما أعد الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول وحزبه، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه، لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام، والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأيًا فقهيًا، أو بحثًا جدليًا، أو خيالاً صوفيًا، أو تناقضًا كلاميًا، أو قياسًا فلسفيًا، أو حكمًا سياسيًا، فمن قدم عليها شيئًا من ذلك فباب الصواب عليه مسدود، وهو عن طريق الرشاد مصدود.

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه كدره،

---

(١) فهذا هو مذهب أهل السنة، وهو أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفئًا كريمًا لم تعدم منه إمساكًا بمعروف أو تسريحًا بإحسان.

وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء [ق / ٥] منه ورسوله .

وقد قسمت الكتاب سبعين بابًا :

الباب الثـالث والثلاثون :« فـي ذكر حـثيـات الرب عـز وجل الذين يدخلهم الجنة».

الباب الرابع والثلاثون :« في ذكر تربة الجنة وطيبها وحصبائها [وبنائها][١]» .

الباب الخامس والثلاثون :« في ذكر نورها وبياضها» .

الباب السادس والثلاثون :« في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها ».

الباب السابع والثلاثون :« في ذكر معـرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك » .

الباب الثامن والثـلاثون :« في ذكر كيفيـة دخولهم الجنة وما يستـقبلون به عند دخولها » .

الباب التاسع والثلاثون :« في ذكر صفة أهل الجنة في خُلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم» .

الباب الأربعون :« في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم» .

الباب الحادي والأربعون:«في تحفة أهل الجنة أول ما يدخلونها».

الباب الثاني والأربعون :« في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة [كم][٢] يوجد».

الباب الثالث والأربعون :« في الأذان الذي يؤذن به المؤذن فيها » .

الباب الرابع والأربعون :« في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها ».

الباب الخامس والأربعون :« في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها ».

الباب السادس والأربعون :« في ذكر الزرع في الجنة» .

الباب السابع والأربعون :« في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه».

الباب الثامن والأربعون:«في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه ».

(١) في باب: وبناتها.
(٢) في خ : كم يوم.

الباب التاسع والأربعون : « في ذكر آنيتهم التي يأكلون ويشربون فيها وأجناسها وصفاتها».

الباب الخمسون : « في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبساطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم» .

الباب الحادي والخمسون: « في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم».

الباب الثاني والخمسون : « في ذكر خدم أهل الجنة وغلمانهم ».

الباب الثالث والخمسون : « في ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم وأصنافهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن» [ق / ٦] .

الباب الرابع والخمسون : « في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن» .

الباب الخامس والخمسون : « في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك [ونزاهته][(1)] عن المذي والمني» .

الباب السادس والخمسون: « في اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا وحجة الفريقين ».

الباب السابع والخمسون: « في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين ».

الباب الثامن والخمسون: « في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم».

الباب التاسع والخمسون: « في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضًا وتذكارهم ما كان بينهم في الدنيا » .

الباب الستون: « في ذكر سوق الجنة وما أعد الله [فيها][(2)] لأهلها» .

الباب الحادي والستون :«في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى » .

الباب الثاني والستون: « في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة» .

---

(١) في خ : ونزاهتهم.
(٢) في خ : فيه.

الباب الثالث والستون: « في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها».

الباب الرابع والستون: « في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخلد وأن موضع سوط فيها خير من الدنيا وما فيها» .

الباب الخامس والستون: « في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر» (١) .

الباب السادس والستون: « في تكليمه سبحانه لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم ».

الباب السابع والستون: « في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد ».

الباب الثامن والستون: « في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها».

الباب التاسع والستون :« وهو باب جامع فيه فصول منثورة».

الباب السبعون :«في المستحق لهذه البشارة دون غيره» والله سبحانه المسؤول أن يجعله خالصا لوجه الكريم.

مدنيا لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه وأن ينفع به من انتهى إليه إنه خير مسؤول وأكرم مأمول وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

(١) في خ : وتحتيه لهم ضاحكا.

الباب الأول

في بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أن [نبغت نابغة][(١)] من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل [التجهم] [(٢)] فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مددًا متطاولة ليس فيها سكانها .

قالوا :من المعلوم لو أن ملكًا اتخذ دارًا، وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونًا متطاولة لم يكن ما فعله واقعًا على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه !! فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة !! وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا أو بدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة [والحديث][(٣)] قاطبة لا يختلفون فيها .

(١) في خ : نبعت نابعة.
(٢) في خ : التجسم.
(٣) في خ : والجماعة.

قال أبو الحسن الأشعري في كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»(١): جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئًا وأن الله -تعالى - إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله تعالى على عرشه، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] .وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وأن له عينين بلا كيف كما قال : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وأن له وجهًا كما قال : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن أسماء الله - تعالى- لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن لله علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] وكما قال : ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، وأثبتوا السمع والبصر [ق/ ٧] ولم ينفوا ذلك عن الله كما [تعتقد](٢) المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وقالوا : إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الإنسان : ٣٠]، وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقالوا: إن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يعلمه أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئًا علم الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلا الله -تعالى - وأن أفعال العباد يخلقها الله - تعالى- وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٢٩٠).
(٢) في خ : نفته.

الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين. ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره، يؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله كما قال، ويُلجئون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت والفقر إلى الله في كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق.

ويقولون : إن الله -تعالى - يرُى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ؛لأنهم عن الله تعالى محجوبون، كما قال -تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وأن موسى عليه السلام سأل الله - سبحانه وتعالى ـ الرؤية في الدنيا، وإن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ولا يُكَفِّرُون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة، وما أشبه ذلك من الكبائر.

وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله كما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان، ويقرون بأن الله مقلب القلوب، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر وأن الحوض حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله للعباد حق، [والوقوف][(١)] بين يدي الله -تعالى- حق، ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق وغير مخلوق .

(١) في خ: والموقف.

ويقولون : أسماء الله هي الله تعالى ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث يشاء، ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قومًا من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، وينكرون الجدال والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدلٍ حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا يقولون كيف ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة .

ويقولون: .إن الله تعالى لم يأمر بالشر، بل نهي عنه وأمر بالخير، ولم يرض [بالشرك][1] وإن كان مريدًا له، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم ويُمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليًا ﷺ [ويقرون بأنهم][2] الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ ويصدقون [ق/ ٨] بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ : « **إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر؟** »[3] كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وألا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به الله، ويقرون أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر :٢٢] وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦].

ويرون [العيدين][4] والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر، ويثبتون المسح

---

(١) في خ : بالشر.

(٢) في خ : ويعرفون أنهم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٢١) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) في خ : العيد.

على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وألا يخرج عليهم بالسيف وألا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين [والصدقة](١) تصل إليهم، ويصدقون أن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال تعالى، وأن السحر كائن موجود في الدنيا.

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات مات بأجله، وكذلك كل من قتل قتل بأجله، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالاً كانت أو حرامًا، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن [يخصهم](٢) الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد، وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله تعالى .

ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه وإخلاص العمل [لله](٣) والنصيحة للمسلمين ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازدراء على الناس والعجب .

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة

---

(١) فى خ : والصدقة عنهم بعد موتهم.
(٢) فى خ : يحظيهم.
(٣) ليست فى خ .

والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير (١).

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسسًا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة وأن أهل هذه المقالة هم أهلها، وبالله التوفيق.

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ** ﴾[النجم: ١٣-١٥] وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره: «**ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي - قال: ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**» (٢).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة**»(٣).

وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار -فذكر الحديث بطوله، وفيه: «**فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها**» وذكر الحديث(٤).

---

(١) في خ: انتهى.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) - (٤٧٥٤) وأحمد (٤/ ٢٨٧) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٤٣٨) وابن أبي شيبة (٣/ ٥٥) وابن مندة في «الإيمان» (١٠٦٤) والطيالسي في مسنده (٧٥٣) والحاكم في «مستدركه» (١/ ٣٧) وهناد في «الزهد» (١٢١٩)، وابن المبارك في «الزهد» (١٢١٩)، وغيرهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم**»، قال : «**فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله**» . قال : «**فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد [أبدلك الله](١) مقعداً في الجنة**»، قال نبي الله ﷺ [ق/ ٩] : «**فيراهما جميعًا**» (٢).

وفي صحيح أبي عوانة الإسفراييني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح : «**ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال : هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال : رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال : اسكن**» (٣) .

وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال : شهدنا مع النبي ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ : «**أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده، فقال : ما تقول في هذا الرجل؟ يعني محمداً ﷺ فإن كان مؤمنًا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولون له : صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون : هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له : اسكن**» وذكر الحديث(٤).

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت : خسفت الشمس في حياة رسول الله ﷺ فذكرت الحديث إلى أن قالت : ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة**»(٥) وقال رسول الله ﷺ : «**رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني آخذ قطفًا من الجنة حين رأيتموني أقدم، ولقد**

---

(١) في خ : أبدلك الله به .
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠) .
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠) .
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١٠٧١٧) .
(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٣/٣) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٤٥٦) والبزار (٨٧٢) .

رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا حين رأيتموني تأخرت» [١].

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله**»، فقالوا: يارسول الله، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك ثم رأيناك تكعكعت [٢]، فقال: «**إني رأيت الجنة وتناولت عنقودًا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء**» قالوا: بم يا رسول الله : قال: «**بكفرهن**» قيل :أيكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير** [٣] **ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت :ما رأيت منك خيرًا قط**» [٤].

وفي صحيح البخارى عن أسماء بنت أبي بكر عن النبى ﷺ في صلاة الخسوف [٥] قال: «**قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت منى النار حتى قلت:أى رب وأنا معهم، فإذا امرأة [حسبت أنه قال] تخدشها هرة قلت :ما شأن هذه ؟قالوا : حبستها حتى ماتت جوعًا لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل**» [٦].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر فى هذه القصة قال: «**عرض علي كل شيء [تولجونه]** [٧] **فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفًا [أخذته أو قال: تناولت منها قطفا]** [٨] **فقصرت يدى عنه، وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل**

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٠٤٦) (١٢١٢) ومسلم (٩٠١).
(٢) تكعكعت: أحجمت. «النهاية» (٤/ ١٨٠).
(٣) العشير: المعاشر. «مختار الصحاح» (ص ١٨٢).
(٤) صحيح: أخرجه البخارى (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧).
(٥) الخسوف: النقصان. «النهاية» (٢/ ٣١).
(٦) صحيح: أخرجه البخارى (٧٤٥).
(٧) فى خ: توعدونه.
(٨) سقط من ط.

تعذب في هرة لها » وذكر الحديث(١).

وفي صحيح مسلم عنه في هذا الحديث :«**ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتى هذه، حتى لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها**(٢)، **وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار، وكان يسرق الحاج بمحجنه فإذا فطن له قال إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعًا، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لى ألا أفعل فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه**» (٣).

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو فى هذه القصة :«**والذى نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة منى حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار [منى]**(٤)**حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم**»(٥) وذكر الحديث.

وفى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال : بينما رسول الله ﷺ ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال :«**يا أيها الناس، إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤوسكم فإنى أراكم من أمامى ومن خلفى، وايم الذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**»، قالوا :وما رأيت يا رسول الله؟ قال : «**رأيت الجنة والنار**»(٦) .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٩٠٤).
(٢) لفح: أحرق. «مختار الصحاح» (ص ٢٥٠).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٩٠٤).
(٤) سقط من خ.
(٥) صحيح: أخرجه أحمد (١٥٩٢) وابن خزيمة (٩٠١) وابن حبان (٢٨٣٨) وأبو داود (١١٩٤) والنسائي.
(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٤٢٦).

وفى الموطأ والسنن من حديث [كعب][(١)] بن مالك قال : قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلي جسده يوم القيامة**»[(٢)] . وهذا صريح فى دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة [ق/ ١٠] .

ومثله حديث كعب بن مالك أيضًا عن النبى ﷺ: «**أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق [فى ثمرة الجنة أو شجرة]**[(٣)] **الجنة** »[(٤)] رواه أهل السنن وصححه الترمذى .

وسيأتى فى آخر الكتاب فى الباب الذى يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك.

وفى صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها [فيها]** [(٥)] **فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع فقال :و عزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت [بالمكاره]**[(٦)]، **فقال : فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال :ثم أرسله إلى النار، قال :اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال:فنظر إليها فإذا هى يركب بعضها بعضًا ثم رجع فقال : وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال :اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر إليها فرجع فقال :وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها**»[(٧)] قال الترمذى: هذا حديث

---

(١) سقط من خ.
(٢) صحيح: أخرجه مالك (٥٦٨) والحميدى (٣٧٦) والنسائى وابن ماجة (٤٢٧١).
(٣) فى خ: من ثمر الجنة أو شجر.
(٤) صحيح: أخرجه الترمذى (١٦٤١) وأحمد (٢٦٦٢٥).
(٥) سقط في خ.
(٦) سقط من خ .
(٧) حسن: رواه الترمذى (٢٥٦٠).

حسن صحيح، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة «**حجبت**[١] **الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات**»[٢].

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «**اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: يا رب ما لها**[٣] **يدخلها الجبارون والمتكبرون؟ فقال: أنت رحمتى أصيب بك من أشاء [وأنت عذابى بك من أشاء]**[٤] **ولكل واحدة منكما ملؤها**»[٥].

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: « **اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضى بعضًا فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف** »[٦].

وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبى بشير ورفع الحديث قال: « **ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان تقول الجنة: يا رب [قد طاب ثمرى]**[٧] **واطردت أنهارى واشتقت إلى أوليائى فعجل إلىَّ بأهلى، وتقول النار: اشتد حرى وبعد قعرى وعظم جمري فعجل إلىَّ بأهلى**»[٨].

وفى صحيح البخارى من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال: « **بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف قال: قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه [المسك**

(١) حجبت: غطيت. «الفتح» (١١/٣٨٨).
(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٣).
(٣) فى خ: إنما.
(٤) سقط من خ.
(٥) صحيح: أخرجه البخارى (٧٤٤٩) ومسلم (٢٨٤٦).
(٦) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٦٠) ومسلم (٦١٧).
(٧) فى خ: طابت ثماري.
(٨) ضعيف: أخرجه البيهقى فى «البعث» (١٩٢) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (٨٥).

الإذفر][١]»[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **دخلت الجنة فرأيت فيها قصرًا ودارًا فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو، فقيل: لعمر بن الخطاب فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته . قال: فبكى عمر وقال: أو يغار عليك يا رسول الله؟**[٣]» وسيأتي حديث بلال وقول النبي ﷺ: « **ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك**[٤] **بين يدي** [٥]» وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الله بن وهب: أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم صلاة الصبح ثم مد يده ثم أخرجها فلما سلم قيل له: يا رسول الله لقد صنعت في صلاتك شيئًا لم تصنعه في غيرها، قال: «**إني رأيت الجنة فرأيت فيها دالية قطوفها دانية حبها كالدباء**[٦]، **فأردت أن أتناول منها فأوحي إليها أن استأخري فاستأخرت ثم [رأيت]**[٧] **النار فيما بيني وبينكم حتى لقد رأيت ظلي وظلكم فأومأت إليكم أن استأخروا فأوحي إلى أن أقرهم، فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا فلم أر لي عليكم فضلاً إلا بالنبوة**»[٨].

فإن قيل: فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها بأكله من الشجرة والاستدلال بها في غاية الظهور؟

---

(١) في خ: مسك إذخر.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٦٨١).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٩٤).
(٤) خشخشتك: حركة لها صوت كصوت السلاح. «النهاية» (٢/ ٣٣).
(٥) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٦٨٩) وأحمد (٢٣٠٤٦) وابن خزيمة (١٢٠٩) والحاكم (١١٧٩) والبيهقي في «الشعب» (٢٧١٧).
(٦) الدباء: القرع. «مختار الصحاح» (ص ٨٣).
(٧) في خ: أريت.
(٨) صحيح: أخرجه ابن خزيمة (٨٩٢).

«قيل» :الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة فى غاية الظهور فهو فى غاية الغموض لاختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة أو كانت جنة في الأرض فى شرفها؟

ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا وما احتج به كل فريق على قولهم. وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته.

الباب الثاني

فى اختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم عليه السلام وأهبط منها هل هى جنة الخلد أو هى جنة أخرى غيرها فى [ق / ١١] موضع عال من الأرض؟

قال منذر بن سعيد فى تفسيره : وأما قوله تعالى لآدم : ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[البقرة :٣٥][الأعراف:١٩] فقالت طائفة :أسكن الله آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة وقال آخرون :هى [جنة][١] غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد قال: وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به وقال أبو الحسن الماوردى[٢] فى تفسيره :واختلف الناس فى الجنة التى [أسكنها][٣] على قولين :

أحدهما: أنها جنة الخلد، الثاني :أنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء وليست هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء، ومن [قال][٤] بهذا اختلفوا فيه على قولين :

---

(١) فى خ: أخرى.
(٢) هو: على بن محمد بن حبيب أقضى القضاة أبو الحسن المعتزلي، مات سنة خمس وخمسين وأربعمائة.
(٣) فى خ: أسكناها.
(٤) سقط من خ.

أحدهما: أنها في السماء لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن .

والثاني: أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم [عليه الصلاة السلام][1]، والله أعلم بصواب ذلك، هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب[2] في تفسيره المشهور: واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية هل كانت في [هذه][3] الأرض أو في السماء، وبتقدير أنها كانت في السماء فهل هي [في][4] الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى ؟ فقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم [الأصبهاني][5][6] هذه الجنة في الأرض وحملا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله :﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١] واحتج عليه بوجوه .

القول [الثاني][7] : وهو قول الجبائي أن تلك الجنة كانت في السماء السابعة.

والقول الثالث: وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هي دار الثواب .

وقال أبو القاسم الراغب[8] في تفسيره : واختلف في الجنة التي أسكنها آدم فقال بعض المتكلمين :كان بستانًا جعله - الله تعالى - له امتحانًا ولم تكن [له][9] جنة المأوى وذكر بعض الاستدلال على القولين .

---

(١) سقط من خ.
(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي، البكري الطبرستاني، الرازي المعروف بالفخر الرازي، توفي سنة ٦٠٦ هـ .
(٣) سقط من ط.
(٤) سقط من ط.
(٥) في خ: الأصبهاني.
(٦) هو محمد بن علي بن محمد بن الحسين، الأصبهاني، المعتزلي، أبو مسلم له تفسير سماه «التأويل لمحكم التنزيل » توفي سنة ٤٥٩هـ.
(٧) سقط من خ.
(٨) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني له تفسير اسمه «تحقيق البيان في تحقيق القرآن» «ومكارم الشريعة» و «مفردات ألفاظ القرآن» توفي سنة ٥٠٢ هـ.
(٩) سقط من ط .

ومن ذكر الخلاف أيضًا أبو عيسى الرمانى في تفسيره واختار أنها جنة الخلد ثم قال: والمذهب الذي اخترناه قول الحسن [وعمرو] (١) وواصل وأكثر أصحابنا وهو قول أبى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير واختار ابن الخطيب التوقف فى المسألة وجعله قولاً رابعًا فقال :

والقول الرابع :أن الكل ممكن والأدلة متعارضة فوجب التوقف وترك القطع قال منذر بن سعيد :والقول بأنها جنة فى الأرض ليست جنة الخلد قول أبى حنيفة وأصحابه قال :وقد رأيت أقوامًا نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأمانى، ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب [ولا تابع](٢) ولا تابع التابع ولا موصولاً ولا شاذًا [ولا](٣) مشهوراً.

وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله، قالوا: إن جنة آدم ليست جنة الخلد، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ليسوا عند أحد من الشاذين بل من رؤساء المخالفين وإنما قلت [هذا](٤) ليعلم أنى لا أنصر مذهب أبى حنيفة وإنما أنصر ما قام لي عليه الدليل من القرآن والسنة .

هذا ابن زيد المالكى يقول فى تفسيره، سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هى ؟ فقال :السكوت عن الكلام فى هذا أفضل، وهذا ابن عيينة يقول فى قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴾[طه:١١٨] قال :يعنى فى الأرض وابن نافع إمام وابن عيينة إمام وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما .

وهذا ابن قتيبة ذكر في كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه قال :ثم تركهما وقال :أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض وتسلطوا على أنوان البحور وطير السماء والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها فأخبر [أن](٥) فى الأرض خلقه وفيها أمره

(١) فى خ: عمر.
(٢) سقط من ط.
(٣) سقط من ط.
(٤) سقط من خ.
(٥) فى خ: أنه.

ثم قال: ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار: سيحون وجيحون ودجلة والفرات ثم ذكر الحية فقال: وكانت أعظم دواب البر فقالت للمرأة: إنكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة.

ثم قال بعد كلام: ثم أخرجه من شرق جنة عدن إلى الأرض التى منها أخذ ثم قال: قال وهب: وكان مهبطه حين أهبط من جنة [عدن][١] فى شرقى أرض الهند قال: واحتمل قابيل أخاه [هابيل][٢] حتى أتى به واديًا من أودية اليمن فى شرق عدن فكمن فيه وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس فى قوله: اهبطوا هو كما يقال: هبط فلان أرض كذا وكذا.

قال منذر بن سعيد: فهذا وهب بن منبه يحكى أن آدم عليه السلام خلق فى الأرض وفيها سكن وفيها نصب له الفردوس وأنه كان بعدن، وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذى كان يسمى فردوس آدم، وتلك الأنهار [بقيت][٣] فى الأرض لا اختلاف بين المسلمين فى ذلك فاعتبروا يا أولى الألباب وأخبر أن الحية التى كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ولم يقل: من أعظم دواب السماء فهم يقولون: إن الجنة لم تكن فى الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة.

ثم قال: وأخرجه من شرق جنة عدن وليس فى جنة المأوى مشرق ولا مغرب لأنه لا شمس فيها.

ثم قال: وأخرجه إلى الأرض التى أخذ منها، يعنى [ق / ١٢] أخرجه من الفردوس الذى نصب له فى [جنة] [٤] عدن فى شرقي أرض الهند وهذه الأخبار التى حكى ابن قتيبة إنما تنبئ عن أرض اليمن وعن عدن وهى من أرض اليمن وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعدن ثم أكد ذلك بأن قال: الأربعة الأنهار التى ذكرناها منقسمة من النهر الذى كان [يسمى] [٥] فردوس آدم.

---

(١) سقط من ط.
(٢) سقط من ط.
(٣) فى خ: بفناء.
(٤) سقط من ط.
(٥) فى خ: يقي.

قال منذر :وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبى قال: واشتهى آدم عند موته قطفًا من الجنة التى كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة وهو فى الأرض فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقًا يطلبون لأبيهم ثمر جنة الخلد فى الأرض .

قال :ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء، ولو كانت جنة الخلد لخلد فيها ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى [بما ليس][1] له عليه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف فى هذه المسألة ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ونبين ما لهم وما عليهم إن شاء الله .

الباب الثالث

فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التى يدخلها الناس يوم القيامة

قالوا :قولنا هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه وأكثرهم لا يعلم فى ذلك نزاعًا .

قالوا :وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربعى عن حذيفة قالا :قال رسول الله ﷺ :«**يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف [2] لهم الجنة، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون :يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟**»[3] وذكر الحديث .

قالوا :وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها .

---

(١) سقط من خ.
(٢) تزلف: تقرب، «لسان العرب» (١٣٨/٩).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٥).

وفي الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى :أخرجتنا ونفسك من الجنة (١)ولو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من بساتين فلم يخرجوا من الجنة وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة :وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا .

قالوا وقد قال - تعالى - في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٥، ٣٦].

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين :

أحدهما :من لفظة ﴿اهبطوا﴾ فإنه نزول من علو إلى سفل .

الثاني: قوله ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ عقب قوله :﴿اهبطوا﴾ فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ثم أكد هذا بقوله في سورة الأعراف : ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[الأعراف:٢٥]ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده .

قالوا :وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون [إلا](٢)في جنة الخلد فقال : ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ﴾[طه ١١٨-١١٩] وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً، فإن الرجل ولو كان في أطيب منازلها لا بد أن يعرض له شيء من ذلك، وقابل سبحانه بين [الجوع والعري والظمأ والضحى وذلك أحسن من المقابلة بين](٣) الجوع والظمأ والعرى والضحى فإن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وهذا شأن ساكن جنة الخلد .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٠٩) ومسلم (٢٦٥٢).
(٢) سقط من ط .
(٣) سقط من ط .

قالـوا: وأيضًا فلو كـانت تلك الجنة فى الدنيـا لعلم آدم كذب إبليس فى قـوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه ١٢٠] فإن آدم كـان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وإن ملكها يبلى .

قالوا : وأيضًا هذه القـصة فى سورة البقرة ظاهـرة جدًا فى أن الجنة التى أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ [ق/ ١٣] كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ٣٤-٣٧].

فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة فلهذا أتى فيـه بضمير الجمع وقد قيل : إن الخطاب لهما وللحـية وهذا ضعيف جدًا، إذ لا ذكر للحيـة فى شيء من قصة آدم ولا فى السيـاق ما يدل عليهـا، قيل: الخطاب لآدم وحواء وأتى فـيه بضميـر الجمع كقـوله تعالى :﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبيـاء:٧٨] وهما داود وسليمـان وقيل: لآدم وحواء وذريتهما .

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول، لأنها بين قول لا دليل عليه وبين ما يدل اللفظ على خلافه، فـثبت أن إبليس داخل فى هذا الخطاب وأنه من المهبطين فـإذا تقرر هذا فقد ذكر سبحانه الإهباط ثانيًا بقوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة :٣٨] والظاهر أن هذا الإهباط الثانى غير الأول وهو إهباط من السماء إلى الأرض والأول إهبـاط من الجنة وحينئذ فتكون الجنة التى أهبطوا منها أولاً فوق السماء جنة الخلد وقـد ظن الزمخشرى أن قوله :﴿اهبطوا منها جميعًا ﴾ خطاب لآدم وحـواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتبـاعهما ذرياتهما قال :والدليل عليه قوله تعالى :﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[طه :١٢٣] قال :ويدل على ذلك قوله :﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨-٣٩] وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم .

ومعنى قوله :بعضكم لبعض عدو، ما عليه الناس من التعادى والتباعد وتضليل

بعضهم بعضًا وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال فى الآية فإن العداوة التى ذكرها الله تعالى إنما هى بين آدم وإبليس وذريتـهما كما قـال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر:٦] وهو سـبحانه قد أكـد أمر العداوة بين الشـيطان والإنسان وأعاد وأبدى ذكـرها فى القرآن لشـدة الحاجة إلى التـحرز من هذا العـدو، وأما آدم وزوجته فـإنه إنما أخبر فى كتابـه أنه خلقها ليسكن إليهـا وجعل بينهما مـودة ورحمة فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته والعداوة بين الإنسان والشيطان.

وقد تقدم ذكـر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة، فلماذا يعود الضـمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعـه مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشرى شيئًا .

وأما قوله -تعالى- فى سورة طه : ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه ١٢٣] وهذا خطاب لآدم وحواء وقـد جعل بعضهم عـدوًا لبعض فالضميـر في قوله اهبطا [منها][1] إما أن يرجع إلـى آدم وزوجه أو إلى آدم وإبليس ولم يذكـر الزوجة لأنها تبع له وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر، وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين:

أحدهما: أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط.

والثانى : إخباره بالعداوة بين آدم وزوجته وبين إبليس ولهذا أتى بضمير الجمع فى الثانى دون الأول ولا بد أن يكون إبليس داخلاً فى حكم هذه العـداوة قطعًا كما قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه:١١٧]وقال للذرية: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦].

وتأمل كيف اتفقت المواضع التى فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية! وأما الإهباط فتارة [يذكره][2] بلفظ الجمع وتارة بلفظ التثنية وتارة بلفظ الإفراد كقوله فى سـورة الأعراف: [﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾][3] [الأعراف:٢٥] وكذلك فى سورة ص، وهذا لإبليس وحده وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس.

(١) سقط من خ .
(٢) فى خ: يكون
(٣) فى خ: (قال فاهبط منها).

إذ مدار القصة عليهم ،وحيث ورد بلفظ التثنية [فإما أن يكون لآدم وزوجه إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية] (١) وإما أن يكون لآدم وإبليس إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الذرية فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما وقد حكيت القولين فى ذلك .

والذي يوضح أن الضمير فى قوله :اهبطا منها جميعًا لآدم وإبليس أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه فقال : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه :١٢١، ١٢٣] وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم ومن زين [له](٢) المعصية ودخلت الزوجة تبعًا فإن المقصود إخبار الله تعالى للثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر فذكر أبويهما أبلغ فى حصول هذا المعنى من ذكر أبوى الإنس فقط .

وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة فعلم أن حكم الزوجة كذلك وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم ، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوى الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبي الإنس وأمهم فتأمله. وبالجملة فقوله تعالى : ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣] ظاهر فى الجميع فلا يسوغ حمله على الاثنين فى قوله تعالى:[اهبطا] من غير موجب .

قالوا :وأيضًا فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف فى جميع المواضع كقوله [ق/١٤] :﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التى وعد الرحمن عباده بالغيب فقد صار هذا الاسم علمًا عليها بالغلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها فحيث ورد لفظها معرفًا انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة فى قلوب المؤمنين وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الأرض.

---

(١) سقط من خ.
(٢) سقط من ط.

فالأول : كقوله : ﴿ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ [الكهف : ٣٢].

والثانى : كقوله : ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ [الكهف : ٣٩].

والثالث : كقوله : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ [القلم : ١٧].

قالوا : مما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى الأشعرى قال: «إن الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير».

قالوا : وقد ضمن الله سبحانه وتعالى لـه إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها كما روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة :٣٧] قال : «**يا رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال :بلى قال:أى رب ألم تنفخ فى من روحك؟قال:بلى ،قال:أى رب ألم تسكني جنتك ؟ قال بلى، قال أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟قال:بلى قال:أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة؟قال:بلى**»[1] .

قال : فهو قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:٣٧] وله طرق عن ابن عباس وفى بعضها : «كان آدم قال لربه إذ عصاه رب إن أنا تبت وأصلحت؟ فقال له ربه إنى راجعك إلى الجنة» فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ونحن نسوق حجج الآخرين.

الباب الرابع
فى سياق حجج الطائفة التى قالت:
ليست جنة الخلد وإنما هى فى الأرض

قالوا : هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها .

قالوا : قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله : أن جنة الخلد إنما يكون

(١) رواه الحاكم (٢٠٠٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧ / ٤٣٣) قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

الدخول إليها يوم القيامة ،ولم يأت زمن دخولها بعد،وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا فى كتابه بصفاتها ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئًا بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التى وصفها بها .

قالوا :فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التى أعدت للمتقين بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التى دخلها ،ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهي ،ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلي آدم فيها بأعظم الابتلاء، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبدًا وقد عصى آدم ربه فى جنته التى دخلها ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل، وسماها دار السلام ولم يَسلم فيها الأبوان من الفتنة، ودار القرار ولم [يستقر][(1)] فيها وقال فى داخليها :﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر :٤٨] وقد أخرج منها الأبوان ،و قال: ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [الحجر :٤٨] وقد ند فيها آدم هاربًا فارًا وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه وهذا النصب بعينه ،وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه ،وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس، وقد سماها الله سبحانه وتعالى مقعد صدق وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه .

وقد قال الله تعالى للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] ولم يقل إنى جاعل فى جنة المأوى فقالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] ومحال أن يكون هذا فى جنة المأوى .

وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه : ١٢٠] [فإن كان الله تعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذى لا

(١) فى خ : يستقرا.

يبلى][1] فكيف لم يرد عليه ويقول له :كيف تدلنى على شيء أنا فيه وقد أعطيته ولم يكن الله سبحـانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيـها من الخالدين ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيـحته ولكنه لما كان فى غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد .

قالوا : ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهى دار الـقدس التى لا يسكنها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور [حتى][2] فتن فيها آدم عليه السلام ووسـوس له؟وهذه الوسوسة إما أن تكون فى قلـبه وإما أن تكون في أذنه وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتـقين؟ وأيضًا فبعد أن قيل له : اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره،وهل هذا يلائم قوله : ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ [الأعراف :١٣] ؟!فإن كانت مـخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبرًا فما التكبر بعد هذا؟ .

فإن قلتم فلعل وسوسـته وصلت إلى الأبوين [ق/ ١٥] وهو فى الأرض وهما فوق السماء فى عليين فـهذا غير معقول لغة ولا حسًا ولا عرفًا وإن زعمتم أنه دخل فى بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل ،إذ كيف يرتقى بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة فى بطن الحـية وإذ قلتم إنه دخل فى قلوبـهما ووسـوس إليهـما فالمحذور قائم وأيضًا فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلامًا سمعاه شفاهًا فقال : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٠] وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشـجرة ،ولما كان آدم خارجًا من الجنة وغـير ساكن فيهـا قال الله تعالى له : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف:٢٢] ولم يقل عن هذه الشجرة فعندما قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجـرة لما أطمعهما فى ملكها والخلود فى مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريبًا لها وإحضارًا لها عندهما وربهما تعالى قال لهما : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] ولما أراد إخـراجهما منهـا فأتى باسم

---

(١) سقط من (خ).
(٢) في(خ): حين.

الإشارة بلفظ البعد والغيبة كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التى نهيا عنها وأيضًا فإنه سبحانه قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر : ١٠] ووسوسة اللعين من أخبث الكلم فلا تصعد إلى محل القدس.

قال منذر وقد روي عن النبى ﷺ : «**أن آدم عليه السلام نام فى جنته**» وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين فإن النبى ﷺ سئل : «**أينام أهل الجنة فى الجنة ؟ قال: لا. النوم أخو الموت**»(١) والنوم وفاة .وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت .

قلت : الحديث الدي أشار إليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: «**خلقت حواء من قصيري آدم وهو نائم**» (٢) .

وقال أسباط(٣) السدى(٤) : «أسكن آدم عليه السلام الجنة وكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت ؟قالت :امرأة .قالت :ولم خلقت ؟قالت :لتسكن إليّ» .

وقال ابن إسحاق(٥) عن ابن عباس: «ألقى الله على آدم -عليه السلام- السنَة ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر والأم مكانه لحماً وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة يسكن إليها فلما كشف عنه السنة وهبَّ من نومته رآها إلى جنبه فقال :لحمى ودمى وروحى ، فسكن إليها »(٦) .

قالوا : لا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم فى الأرض ولم يذكر فى موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان

---

(١) ضعيف : سيأتي.
(٢) صحيح : رواه ابن جرير فى «جامع البيان» (٤/ ٢٢٤).
(٣) هو أسباط بن محمد، الشيخ الإمام المحدث، أبو محمد بن أبى نصر القرشى الكوفي، وثقه ابن معين وغيره، توفى سنة ٢٠٠ هـ.
(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازى ثم الكوفى الأعور السدى أحد موالى قريش وثقه أحمد بن حنبل، توفى سنة ١٢٧ هـ .
(٥) هو محمد بن إسحاق، صاحب المغازى والسير المشهور.
(٦) جامع البيان (١ / ٢٦٦).

هذا أولى بالذكر لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه فإنه كان معراجًا ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات .

قالوا :وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء وقد أخبر ملائكته أنه جاعله فى الأرض خليفة؟ وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخل فيها لا يخرج منها؟ قال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر :٤٨] .

قالوا :ولو لم يكن معنا فى المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم -عليه السلام- وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ،ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا ،فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل، فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها .

وأما تلك التقادير التى قدرتموها فتكلفات ظاهرة كقول من قال يجوز [أن يصعد][1] إليها صعودا عارضًا لا مستقرًا وقول من قال :أدخلته الحية ،وقول من قال: دخل فى أجوافها وقول من قال:يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو فى الأرض وهما فوق السماء،ولا يخفى ما فى ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد وهذا بخلاف قولنا ،فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره فى إخراجه منها والله أعلم .

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التى وعد المتقون :أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلاً ينتهي إليه وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذى فى جامعه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : **« لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس فقال :الحمد لله [فحمد الله][2] بإذنه فقال ربه :يرحمك الله يا آدم ،اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس ،**

---

(١) سقط من خ.
(٢) سقط من خ.

فقل السلام عليكم [قالوا وعليك السلام](١)**... إلخ...... ثم رجع إلى ربه فقال :إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم فقال :الله [له]**(٢) **ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت،فقال: اخترت يمين ربى وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال:يا رب ما هؤلاء ؟قال :هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا [فيهم]**(٣)**رجل أضوؤهم أو من أضوئهم قال:يا رب من هذا ؟ قال:هذا ابنك داود قد كتبت له [عمرًا]**(٤) **أربعين سنة قال: يا رب زده فى عمره ،قال :ذلك الذى كتبت له، قال أي رب فإني قد جعلت له من عمرى ستين سنة قال :أنت وذلك [ق/ ١٦] ،قال :ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه قال:فأتاه ملك الموت فقال له آدم :قد عجلت قد كتبت لى ألف سنة قال :بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة ،فجحد فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته،قال:فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود »**(٥) قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة.

قالوا :فهذا صريح فى أن آدم عليه السلام لم يخلق فى دار البقاء التى لا يموت من دخلها وإنما خلق فى دار الفناء التى جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلاً معلومًا ، وفيها أسكن.

فإن قيل :فإذا كان آدم -عليه السلام- قد علم أن له عمرًا مقدرًا وأجلاً ينتهى إليه وأنه ليس من الخالدين، فكيف لم يعلم كذب إبليس فى قوله :﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ**﴾ [طه: ١٢٠] وقوله:﴿ **أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠].

فالجواب من وجهين :

أحدهما: أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء بل هو المكث الطويل كما سيأتى .

---

(١) سقط من خ.
(٢) سقط من خ .
(٣) سقط من خ.
(٤) فى خ: عمره.
(٥) صحيح : أخرجه ابن حبان (٦١٦٧) وأبو يعلى فى «مسنده» (٦٣٧٧).

الثـاني : أن إبليس لما حلف له وغـره وأطمعـه فى الخلود نسي ما قـدر له من عمره.

قالوا :وأيضًا فمن المعلوم الذى لا ينازع فيـه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السـلام من تربة هذه الأرض وأخـبـر أنه خلقـه من سـلالة من طين وأنه خلقـه من صلصال من حمأ مـسنون فقيل: هو الذي له صلصلة ليبسـه وقيل :هو الذى تغيرت رائحـته من قـولهم صل اللحم إذا تغيـر ، والحمـأ: الطين الأسود المتـغيـر والمسنون المصبـوب وهذه كلها أطوار للتـراب الذى هو مبدؤه الأول ، كـما أخـبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ثم من علقة ثم من مـضغة ولم يخبر سبحـانه وتعالى أنه رفعه من الأرض إلى فـوق السمـوات لا قبل التـخليق ولا بعده، فـأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعـاده هو بعد خلقه؟ وهذا مـا لا دليل لكم عليه ولا هو لازم من لوازم مـا أخبر [الله] (١) به.

قالوا :ومن المعلوم أن ما فوق السمـوات ليس بمكان لطين الأرض المتغير الرائحة الذى قد أنتن من تغـيره وإنما محل هذا الأرض التى هى مـحل المتغيرات الفـاسدات وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء.

قالـوا :وقد قال الله تعـالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود:١٠٨]فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ،قالوا :فإذا جمع مـا أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض وجعله خليـفة فى الأرض وأن إبليس وسوس إليـه فى مكانه الذى أسكنه فيـه بعدأن [أهبط](٢) من السماء بامتناعه من السجود له وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل فى الأرض خليفة وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف وأنها لا لغو فيها ولا تأثيم ولاكذاب وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولا يخاف ولا ينام

(١) سقط من ط.
(٢) فى خ: أهبطه.

وأن الله حرمها على الكافرين ،وإبليس رأس الكفر، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض وفكر فيه المنصف الذى رفع له علم الدليل فشمر إليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب، والله الموفق .

قالوا :ولو لم يكن فى المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله سبحانه الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد فهذا أيضًا بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها والله أعلم .

الباب الخامس

فى جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا :أما قولكم :إن قولنا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بأخبار الرسل ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن يصرح بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً، وقد أوجدناكم من كلام السلف مايدل على خلافه، ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده فى إطلاقها وبعض أوصافها فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هي بعينها، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر؛ لم يفدكم شيئًا ،وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية، فدعوى باطلة ونحن إذا رجعنا إلى فطرتنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات . . وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة رضى الله عنه وقول آدم :«وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم » فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقباح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا،وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة كما فى اللفظ الآخر إنى نهيت عن أكل الشجرة، فأكلت منها فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو [ق/ ١٧] تضمن

أو استلزام وكذلك قول موسى له :«أخرجتنا ونفسك من الجنة» فإنه لم يقل له: أخرجتنا من جنة الخلد وقولكم أنهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة في الأرض فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله وهي كالسجن بالنسبة إليها واشتراكهما في كونها في الأرض لا ينفي تفاوتهما أعظم تفاوت في جميع الأشياء.

وأما استدلالكم بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا﴾ عقيب إخراجهم من الجنة، فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض ،وغايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه، وهذا غير منكر، فإنها كانت جنة فى أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض، وقد بينا أن الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوهما فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوهما متمكنًا منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام فالآية أيضًا من أظهر الحجج عليكم ولاتغنى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التى قدرتموها وقد تقدمت.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[البقرة :٣٦] فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض فإن الأرض اسم جنس وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها فى محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى فأهبطوا إلى أرض [يعرض][(١)] فيها ذلك كله وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور ،والجنة التى [أسكنها][(٢)] لم تكن دار نصب، ولا تعب، ولا أذى، والأرض التى أهبطوا إليها هى محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره .

وأما قولكم :إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون فى الدنيا، فجوابه أن تلك الصفات لا تكون في الأرض التى أهبطوا إليها، فمن أين لكم أنها لا تكون في الأرض التي أهبطوا منها ؟ وأما قولكم: إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس في قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] فجوابه من وجهين :

---

(١) فى خ : يعرف.
(٢) فى خ : أسكناها.

أحـدهما : أن اللفظ إنما يدل على الخلـد، وهو أعم من الدوام الذى لا انقطاع له فإنه فى اللغة: المكث الطويل ومكث كل شيء بحسبه، ومنه قولهم: رجل مخلد، إذا أسن وكبـر، ومنه قولهم لأثافى الصـخور :خـوالد لطول بقائهـا بعد دروس الأطلال قال:

إذا رمادًا هامدًا دفعت عنه الرياح خوالد [1] سحم[2]

ونظيـر هذا إطلاقهم القـديم على ما تقـادم عهـده وإن كان له أول، كـما قـال تعـالى: ﴿كَـالْعُـرْجُـونِ الْقَـدِيمِ﴾ [يس :٣٩]، ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَـلالِكَ الْقَدِيمِ﴾[يوسف: ٩٥]، ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقـاف: ١١]. وقد أطلق تعـالى الخلود فى النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس، وأطلقه النبى ﷺ على قاتل نفسه .

الوجه الثانى: أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحى ولم يتقدم لآدم عليه الصـلاة والسلام نبوة يعـلم بهما ذلك وهو وإن نبـأه الله سبحـانه وتعالى وأوحى إليـه وأنزل عليه صـحفًا كـما فى حـديث أبى ذر لكن هذا بعد إهبـاطه إلى الأرض بنص القرآن قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ [طه :١٢٣]وكذلك فى سـورة البقرة :﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾[البقرة: ٣٨].

وأما قـولكم: إن الجنة وردت معرفـة باللام التى للعهد فـتنصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معـرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعًـا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[القلم :١٧]وقولكم: إن السياق ها هنا دل على أنها جنة فى الأرض.

قلنا :والأدلة التى ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام فى الأرض فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح .

وأما استـدلالكم بأثر أبى موسى «إن الله أخرج آدم عليـه السلام من الجنة وزوده

(١) خوالد: أى لطول بقائها.
(٢) سحم: الأسحم: الأسود.

من ثمارها» فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن إلا تزوده منها وهذا لا يقتضى أن تكون جنة الخلد.

وقولكم: إن هذه تتغير وتلك لا تتغير، فمن أين لكم أن الجنة التى أسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار، وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**لولا بنى إسرائيل لم يخنز[1] اللحم**»[2] أى لم يتغير ولم ينتن وقد أبقى الله سبحانه وتعالى فى هذا العالم طعام العُزَيْر وشرابه مائة سنة لم يتغير.

وأما قولكم: إن الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن يعيده إلى الجنة، فلا ريب أن الأمر كذلك ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفى سبحانه بضمانه حق الوفاء، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] وقد جعل الله سبحانه المظاهر عائدًا بإرادته الوطء ثانيًا أو بنفس الوطءأو بالإمساك وكل منها غير الأول لا عينه فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها.

الباب السادس

فى جواب من زعم أنها جنة الخلد [ق/ ١٨] عما احتج به منازعوهم

قالوا: أما قولكم إن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد، إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، فهذا حق فى الدخول المطلق الذى هو دخول استقرار ودوام وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة.

(١) يخنز: ينتن، «الغريب» لابن سلام (١٦٦/٣).
(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٣٣٠) ومسلم (١٤٧٠).

وقد دخل النبى ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشـهداء فى البرزخ فى الجنة ، وهذا غير الدخول الذى أخبر الله به فى يوم القيامة ،فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا ،وبهذا خرج الجواب على استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد؟

قالوا :وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة،وأنها لم توجد فى جنة آدم عليه السلام من العرى، والنصب ،والحزن، واللغو، والكذب، وغيرها فهذا كله حق لا ننكره ولا أحد من أهل الإسلام .

ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيـامة كما يدل عليه سيـاق الآيات كلها فإن نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها، وهذا لا ينفى أن يكون فـيها بين أبوى الثقلين ما حكاه الله سبـحانه وتعالى من ذلك ،ثم يصير الأمـر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافي بين الأمرين .

وأما قـولكم :أنها دار جزاء وثواب لا دار تكـليف، وقد كلف الله سبـحانه آدم بالنهى عن الأكل مـن تلك الشـجرة، فـدل على أن تلـك الجنة دار تكليف، لا دار خلود فجوابه من وجهين :

أحـدهما: أنه إنما تمـتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلهـا المؤمنون يوم القـيامـة فحينئذ ينقطع التكليف [وأما] وقوع التكليف فـيها فى دار الدنيا فلا دليل على امتناعه ألبتة ، وكـيف وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال :« **دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت**» [١] الحديث .

وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمـر الله ،ويعبد الله قبل يوم القيامة بل هذا هو [الواقع][٢]، فإن من فـيها الآن مؤتمرون بأوامـر من قبل ربهم لا يتعدونهـا سواء سمي ذلك تكليفًا أو لم يسم.

الوجه الثانى: أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦٨٠) ومسلم (٢٣٩٥).
(٢) فى خ : الواضح.

من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها وإنما كان حجرًا عليهما من شجرة واحدة من جملة أشجارها إما واحدة بالعين أو بالنوع وهذا القدر لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ،فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الأوقات فلا دليل عليه ،وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ،فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم فإنما ينفى النوم عن أهلها يوم دخول الخلود ،حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا .
وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء، فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم، وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ،ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعودًا عارضًا لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله تعالى، وقدر أسبابه وإن لم يكن ذلك المكان مقعدًا له مستقرًا كما كان، وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحى، وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون فى المكان الذى يصعدون إليه مع قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة :٣٦] فلا تنافى بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط، فهذا محتمل، والله أعلم .

وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث، [وتقرير] (١) الدلالة منه .

فجوابه :أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة.

وأما إخباره سبحانه أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها فهذا يوم القيامة

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض؛ فلا ريب فى ذلك، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها ؟ قد جاء فى بعض الآثار :« أن الله سبحانه ألقاه على باب

---

(١) فى خ : وتقريب.

الجنة أربعين صباحًا، فجعل إبليس يطوف به ويقول لأمر ما خلقت ،فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك فقال: لئن سلطت عليه لأهلكنه ،ولئن سلط عليّ لأعصينه». مع أن قوله سبحانه : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣] يدل على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ثم [ينزله] (١)إلى الأرض قبل يوم القيامة وقد أسري ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السموات فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم، والله أعلم [ق/ ١٩].

الباب السابع

في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا :لو كانت الجنة مخلوقة الآن، لوجب اضطرارًا أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨]، و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] فتموت الحور العين التي فيها والولدان، وقد أخبر الله سبحانه أن الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ.

قالوا :وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود قال :قال رسول الله ﷺ: **«لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله**

---

(١) في خ : يعيده.

إلا الله والله أكبر »(١) قال : هذا حديث حسن غريب .

وفيه أيضًا من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال : « **من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة** »(٢). قال : هذا حديث حسن صحيح.

قالوا : فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغًا منها لم تكن قيعانًا ولم يكن [لذا الغرس](٣) معنى، قالوا : وقد قال تعالى عن امرأة فرعون قالت : ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوبًا أو بنى له بيتًا انسج لى ثوبًا وابن لى بيتًا، وأصرح من هذا قول النبى ﷺ : «**من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا فى الجنة** »(٤) متفق عليه .

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء، تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية، وهذا ثابت عن النبى ﷺ من رواية عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وجابر بن عبد الله وأنس ابن مالك وعمرو بن عنبسة رضى الله عنهم .

قالوا : وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد ما دام يعمل فإذا فتر فتر الملك عن العمل .

قالوا : وقد روى ابن حبان فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا قبض الله ولد العبد قال : يا ملك الموت، قبضت ولد عبدي ، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ؟ قا ل: نعم قال : فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع ، قا ل: ابنوا له بيتًا فى الجنة وسموه : بيت الحمد** »(٥).

وفى المسند من حديثه أيضًا قال رسول الله ﷺ : «**من صلى فى يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله بيتًا فى الجنة** » (٦).

---

(١) حسن: أخرجه الترمذى (٣٤٦٢).
(٢) فى خ : لهذا الغراس.
(٣) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٤٦٤) والبزار (٢٤٦٨).
(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣).
(٥) حسن: أخرجه الترمذى (١٠٢١) وابن حبان (٢٩٤٨).
(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٧٢٨) وأحمد (٢٦٨٦٥).

قالوا: وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم فهذا ابن مزين قد ذكره فى تفسيره عن ابن نافع وهو من أئمة السنة أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هى ؟ فقال : السكوت عن هذا أفضل، والله أعلم.

الباب الثامن

فى الجواب عما احتجت (به)(١) هذه الطائفة

قد تقدم في الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية فنقول : ما تعنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد ، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد، بل هى بمنزلة النفخ فى الصور وقيام الناس من القبور ؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث [الصريحة الصحيحة](٢) التى تقدم بعضها، وسيأتى بعضها، وهذا [قول](٣) لم يقله أحد من السلف ، ولا أهل السنة، وهو باطل قطعًا ، أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها، وجميع ما أعد الله فيها لأهلها وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئًا بعد شيء وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورًا أخر فهذا حق لا يمكن رده.

وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر، وحديث ابن مسعود الذى ذكرتموه وحديث أبى الزبير عن جابر صريحان فى أن أرضها مخلوقة وأن الذكر ينشئ الله سبحانه لقائله منه غراسًا فى تلك الأرض ، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة والعبد كلما وسع فى أعمال البر وسع له فى الجنة ، وكلما عمل خيرًا غرس له به هناك غراس وبنى له بناء وأنشئ له من عمله أنواع مما يتمتع، به فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى :﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] فإنما

---

(١) سقط من خ.
(٢) فى خ: تقديم وتأخير.
(٣) سقط من ط .

أوتيتم من عدم فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية.

قال البخاري في صحيحه[(١)] : يقال كل شيء هالك إلا وجهه : إلا ملكه ويقال: إلا ما أريد به وجهه .

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله : فأما السماء والأرض فقد زالتا؛ لأن أهلها صاروا إلى الجنة وإلى النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة، والله سبحانه وتعالى استوى عليه فلا يهلك ولا يبيد .

وأما قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨] فذلك أن الله [ق/ ٢٠] سبحانه وتعالى أنزل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[الرحمن :٣٦] فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض [وطمعوا][(٢)] في البقاء فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال :كل شيء هالك [إلا وجهه][(٣)] يعني ميت إلا وجهه لأنه حي لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، انتهى كلامه .

وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصطخري، ذكره أبو [الحسن][(٤)] في كتابه « كتاب الطبقات» [(٥)] قال :قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة

(١) (٤ / ١٧٨٤).
(٢) في خ : فطمعوا.
(٣) سقط من ط.
(٤) في خ : أبو الحسن
(٥) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٨).

وسبيل الحق .

وساق أقوالهم إلى أن قال :وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل، وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدًا .

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ،والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة،ولا عند النفخة، ولا أبدًا ؛لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت.

فمن قال خلاف [هذا](١) فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل ،وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، [وأن](٢) الله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة وعدد الحصا والتراب والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو [على العرش](٣) فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة ،وما هو أعلم بها فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل :﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق:١٦]،وقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[الحديد :٤] ، وقوله :﴿ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[المجادلة:٧]، وقوله :﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[المجادلة:٧]. ونحو هذا من متشابه القرآن فقل : إنما يعني بذلك العلم لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم

(١) في خ: ذلل.
(٢) ليست في خ.
(٣) سقط من ط.

ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان .

وقال في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي قال : الخلال حافظ إمام في زمانه معروف بالتقدم في العلم والمعرفة كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ويسأله عن الرجال من أهل بلده .

وقال : أملى علي أحمد بن حنبل، فذكر رسالة في السنة ثم قال في أثنائها : وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر قال النبي ﷺ :«**دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً ورأيت الكوثر، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها [النساء]**[1] **وكذا** »، فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول الله ﷺ وبالقرآن ،كافر بالجنة والنار ،يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

وقال في رواية عبدوس بن مالك العطار، وذكر رسالة في السنة قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ :«**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا** »[2].

فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول ،والمباحث، والنكت، والفوائد التى لا [تظفر][3] بها [في][4] غير هذا الكتاب ألبتة ،ونحن اختصرنا الكلام في ذلك، ولو بسطناه لقام منه سفر ضخم والله المستعان وعليه التكلان وهو الموفق للصواب .

---

(١) في خ: النساء.
(٢) رواه البخاري (٣٠٦٩)، ومسلم (٩٤).
(٣) في خ : يظفر.
(٤) سقط من ط.

الباب التاسع

في [ذكر](١) عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر :٧٣] وقال فى صفة النار: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر :٧١] بغير واو فقالت طائفة :هذه واو الثمانية دخلت فى أبواب الجنة لكونها ثمانية ،وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو.

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين .

وقالت طائفة [ق١/٢] أخرى :الواو زائدة، والجواب الفعل الذى بعدها كما هو فى الآية الثانية وهذا أيضًا ضعيف فإن زيادة الواو غير معروف فى كلامهم ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة .

وقالت طائفة ثالثة :الجواب محذوف، وقوله :وفتحت أبوابها عطف على قوله: جاؤوها وهذا اختيار أبى عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم .

قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم .

قال أبو الفتح ابن جني:وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به .

بقى أن يقال :فما السر فى حذف الجواب في آية أهل الجنة وذكره فى آية أهل النار؟ [فقال](٢): هذا أبلغ فى الموضعين ،فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا [وصلوا](٣) إليها فتحت فى وجوههم ،فيفجأهم العذاب بغتة، فحين

---

(١) سقط من خ.
(٢) فى خ: فيقال.
(٣) فى خ: دخلوا.

انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه فإنها دار الإهانة والخزي فلم يستأذن لهم فى دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول وأما الجنة، فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة ،فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم، ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله فكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول :أنا لها، فيأتى إلى تحت العرش ويخر ساجدًا لربه فيدعه ما شاء أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه سبحانه فى فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيمًا لخطرها ،وإظهارًا لمنزلة رسوله وكرامته عليه . وإن مثل هذه الدار التى هى دار ملك الملوك ورب العالمين، إنما [يدخل][1] إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التى أولها من [حيث][2] عقل العبد فى هذه الدار إلى أن انتهى إليها ،وما ركبه من الأطباق طبقًا بعد طبق، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه فى فتحها لهم . وهذا أبلغ وأعظم فى تمام النعمة، وحصول الفرح، والسرور مما يقدر بخلاف ذلك، لئلا يتوهم الجاهل، أنها بمنزلة الخان الذى يدخله من شاء ،فجنة الله عالية غالية بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ولهذه الدار فليعد إلى ما هو أولى به ،وقد خلق له وهيئ له.

وتأمل ما فى سوق الفريقين إلى الدارين زمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة، [كل][3] مشتركين فى عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا فى الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا ويفرح بعضهم ببعض .

وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرًا يلعن بعضهم بعضًا ويتأذى

(١) فى خ : دخل.
(٢) فى خ: من حين.
(٣) سقط من خ.

بعضهم ببعض، وذلك أبلغ فى الخزى والفضيحة والهتيكة من أن يساقوا واحدًا واحدًا فلا تهمل تدبر قوله زمرًا .

وقال خزنة أهل الجنة لأهلهـا :سلام عليكم فبدءوهم بالسلام المتضـمن للسلامة من كل شر ومكروه ،أى سلمتم فلا يلحقكـم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قالوا لهم : طبتم فادخلوها [خالدين][(١)] ، أى سلامتكم ودخولها بطيبكم فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشرهم بالسلامة وبالطيب والدخول والخلود.

وأما أهل النـار فإنهم لما انتـهوا إليهـا على تلك الحال من الهـم والغم والحزن، وفتـحت لهم أبوابها وقـفوا عليـها وزيدوا على ماهم عـليه [من][(٢)] توبيخ خزنتـها وتبكيـتهم لهم بقـولهم :﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾[الزمر :٧١] فاعـترفوا وقالوا : بلى فبـشروهم بدخولها والخلود فـيها، وإنها بئس المثوى لهم .

وتأمل قـول خزنة الجنة لأهلهـا :ادخلوها ،وقـول خزنة النار لأهلهـا :ادخلوا أبواب جهنم ، تجد تحتـه سرًا لطيفًا ومعنى بديعًا لا يخـفى على المتأمل وهو :أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء وأشد حرًا وأعظم غـمًا يستقبل فيها الداخل من العذاب مـا هو أشد منهـا، ويدنو من الغم والخزى والحزن والـكرب بدخول الأبواب ،فقيل :ادخلوا أبوابها صغارًا لهم وإذلالاً وخزيًا ، ثم قيل لهم :لا يقتصر بكم على مـجرد دخـول الأبواب الفظيـعة، ولكن وراءها الخلود فـى النار وأما الجنة فـهى دار الكرامة والمنـزل الذى أعده الله لأوليائه فـبشـروا من أول وهلة بالدخول إلى المقـاعد والمنازل والخلود فيها .

تأمل قوله سبحانه:﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۝٥٠ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص: ٥٠ ،٥١] كيف تجد تحتـه معنى بديعًا وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة [ق/ ٢٢] كما هى .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليـهم أبوابها ،كما قال تعالى :﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم

(١) سقط من خ .
(٢) سقط من خ.

مُّؤْصَدَةٌ﴾[الهمزة :٨] أى مطبقة مغلقة، ومنه سمى الباب وصيدًا وهى ﴿مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾[الهمزة :٨، ٩] قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

قال مقاتل (١): يعنى أبوابها عليهم مطبقة، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضًا فإن [فى](٢) تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفاتهم وذهابهم وإيابهم وتبوؤهم من الجنة حيث شاءوا ،ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت .

وأيضًا [أشار](٣) إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا .

وقد اختلف أهل العربية فى الضمير العائد من الصفة على الموصوف فى هذه الجملة .

فقال الكوفيون :التقدير مفتحة لهم أبوابها، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيقولون: مررت برجل حسن العين أي عينه، ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات :٣٩] أى مأواه .

وقال بعض البصريين :التقدير مفتحة لهم الأبواب منها ،فحذف الضمير وما اتصل به قالوا: هذا التقدير فى العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف فى شيء لأن الهاء والألف اسم والألف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه .

قالوا :وأيضًا لو كانت الألف واللام بدلاً من الضمير لوجب أن يكون فى

---

(١) هو مقاتل بن سليمان الأزدى بن الخراسانى أبو الحسن توفى سنة ١٥٠هـ.
(٢) سقط من خ .
(٣) فى خ : إشارة.

«مفتحة» ضمير الجنات، ويكون المعنى مفتحة هى، ثم أبدل منها الأبواب ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد .فلما ارتفع الأبواب دل على أن مفتحة خال من ضمير والأبواب مرتفعة به وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما تقول :مررت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه ونونت حسنًا لم يجز فالألف واللام إذًا للتعريف ليس إلا ،فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذى هو جنات عدن ولا ضمير فى اللفظ فهو محذوف تقديره الأبواب منها .

وعندي أن هذا غير مبطل، لقول الكوفيين فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغنى عنه ،وإجماع العرب على قولهم :حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك، وقد قالوا :إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان وكذلك المضاف إليه يكون بدلاً من التنوين والتنوين بدل من الإضافة بمعنى التعاقب والتوارد لا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا أن معنى البدل معنى المبدل منه بل قد يكون فى كل منهما معنى لا يكون فى الآخر.

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام [في الأبواب](١) أغنت عن الضمير، لو قيل أبوابها وهذا صحيح فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة، فلما كان الضمير عائدًا على الموصوف نفى توهم الاستقلال وكذلك لام التعريف فإن كلاً من الضمير واللام يعين صاحبه هذا [يعين مفسره](٢)، وهذا يعين ما دخل عليه وقد قالوا فى «زيد نعم الرجل» :إن الألف واللام أغنت عن الضمير ، والله أعلم .

وقد أعرب [الزمخشرى](٣) هذه الآية إعرابًا اعترض عليه [فيه](٤) فقال :جنات عدن معرفة كقوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾[مريم :٦١]،

(١) سقط من ط.
(٢) فى خ: معنى تفسيره، وهو الصواب.
(٣) سقط من ط.
(٤) سقط من ط.

وانتصابها على أنها عطف بيـان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فـيها ما فى المتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضميـر الجنات، والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الأبواب كقولهم :ضرب زيد اليد والـرجل وهو من بدل الاشتمال ،وهذا إعرابه فاعترض عليه بأن جـنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعـريفها وأما قوله : ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ﴾ [مريم: ٦١] فبدل لا صفة وبأن جنات عدن لا [يسهل][1] أن تكون عطف بيان لحسن مآب على قوله ،لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به، فإن القائل قائلان :

أحدهما :أنه لا يكون إلا فى المعارف كقول البصريين .

والثانى : أنه يكون فى المعـارف والنكرات بشرط المطابقة، كقـول الكوفيين وأبى علي الفارسى.

وقوله :إن في مفتحة ضمير الجنات، فالظاهر خلافه، وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه.

وقوله :إن الأبواب بدل اشتمـال، فبدل الاشتمال قـد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظًا به وأن يكون مقـدرًا، وهنا لم يلفظ به فلا بد من تقديره أي الأبواب مـنها فإذا كان التـقدير مفتحة لهم هى الأبواب منها كان فيه تكثير للإضمار وتقليله أولى [ق/ ٢٣] .

وفى الصحيـحين من حديث أبي حازم عن سـهل [بن سعد][1] ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: «**فى الجنة ثـمـانيـة أبواب: باب منـهـا يســمى الريـان لا يدخله إلا الصائمون**»[2].

وفى الصحيـحين من حديث الزهري عن حميد بن عـبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قـال رسول الله ﷺ :«**من أنفق زوجين من شيء من الأشـياء فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة يـا عبد الله، هذا خير، فـمن كان من أهل الصلاة دعي**

(١) فى خ : يشتمل.
(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٥٧) ومسلم (١١٥٢).

من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة، دعى من باب الصدقة ،ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان » فقال أبو بكر :بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟فقال :«نعم وأرجو أن تكون منهم» (١).

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «ما منكم من أحد يتوضأ [فيبالغ](٢) أو فيسبغ الوضوء ثم يقول :أشهد أن لا إله ألا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». زاد الترمذى بعد التشهد :«اللهم اجعلنى من التوابين واجعانى من المتطهرين»(٣) زاد أبو داود والإمام أحمد :ثم رفع نظره إلى السماء فقال:

وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه :«من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح له أبواب الجنة [الثمانية](٤) من أيها شاء دخل »(٥).

وعن [عتيبة](٦) بن عبد الله السلمي قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول :«ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» (٧) رواه ابن ماجه وعبد الله بن أحمد عن ابن نمير حدثنا إسحاق بن سليمان حدثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة .

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٨٩٧) ومسلم (١٠٢٧).
(٢) سقط من ط.
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩) أما زيادة الترمذى فضعيفة، وهى عند الترمذى (٥٥).
(٤) سقط من خ.
(٥) ضعيف: أخرجه ابن ماجة (٤٦٩).
(٦) فى خ : عتبة.
(٧) حسن: أخرجه ابن ماجة (١٦٩٤).

الباب العاشر
في ذكر سعة أبوابها

عن أبي هريرة قال :وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة إليه فنهس نهسة وقال :«**أنا سيد الناس يوم القيامة**»، ثم نهس أخرى وقال:«**أنا سيد الناس يوم القيامة**» فلما رأى أصحابه لا يسألونه، قال: **ألا تقولون كيف** ؟ قالوا:كيف يا رسول الله؟ قال:يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فذكر حديث الشفاعة بطوله، وقال في آخره : «**فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي فيقيمني رب العالمين مقامًا لم يقمه أحدًا قبلي ولن يقيمه أحدا بعدي فأقول :يا رب أمتي [أمتي](١) فيقول :يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن ،وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة [لكما](٢) بين مكة وهجر أو هجر ومكة**»(٣) ، وفي لفظ : «لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى »(٤) متفق على صحته وفي لفظ خارج الصحيح بإسناده «**أن ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر**».

وعن خالد بن عمير العدوي قال :«خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ،فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء(٥)، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء [يصبها](٦) صاحبها ،وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ،فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ،ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ(٧) من الزحام ، فهذا موقوف والذى قبله مرفوع فإن كان رسول الله ﷺ هو الذاكر [لهم ذلك](٨) كان هذا [سعة] (٩) ما بين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم ،وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله ﷺ لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم .

---

(١) سقط من خ. (٢) سقط من ط.
(٣) صحيح : رواه البخارى (٤٧١٨) ومسلم (١٩٤).
(٤) صحيح : رواه البخارى (٤٧٢) ومسلم (١٩٤).
(٥) حذاء: مدبرة. «الغريب لابن سلام (٤/٦١٧).
(٦) في خ: يصطبها. (٧) كظيظ: كظيظ الوادي: امتلاؤه، «الفائق» (٣/١٦٢).
(٨) كذا في خ. (٩) سقط في ط.

ولكن قد روى الإمام أحمد في مسنده من حـديث حماد بن سلمة قال: سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا وليأتين عليه يوم وله كظيظ**»(١) وقد رواه ابن أبي داود أنبأنا إسحاق بن شاهين أنبأنا خالد عن الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه: «**ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين**»(٢).

[وروينا](٣) في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «**إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة**»(٤)، وحديث أبي هريرة أصح. وهذه النسخة ضعيفة والله أعلم](٥).

وروى أبو الشيخ أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس أنبأنا [ق/ ٢٤] يعقوب بن حميد أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبى بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «**الباب الذى يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول**»(٦) رواه أبو نعيم، عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «**إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى**»(٧) فإن الراكب المجد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهارًا يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١٩٥٢١).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن أبى داود فى «البعث» (٦١) وابن حبان (٧٣٨٨) وابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثاني» (١٤٧٥).

(٣) في خ: ورويناه.

(٤) حسن: أخرجه عبد بن حميد (٩٢٦).

(٥) سقط من ط.

(٦) ضعيف: أخرجه الترمذى (٢٥٤٨) وأبو يعلى (٥٥٥٤).

(٧) تقدم.

وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عامًا وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عامًا على طريقة دراج عن [أبى][١] الهيثم ،قال الإمام أحمد :أحاديث دراج مناكير وقال أبو حاتم الرازى :ضعيف وقال النسائى :ليس بالقوى فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبى هريرة المتفق على صحته .على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ويحتمل أنه مدرج فى الحديث موقوف فيكون كحديث عتبة بن غزوان والله أعلم.

الباب الحادي عشر

فى صفة أبوابها وأنها ذات حلق

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن : ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾[ص: ٥٠] قال: أبواب ترى وذكر أيضًا عن خليد عن قتادة قال :أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها [تتكلم][٢] وتكلم ،وتفهم ما يقال لها ،انفتحى انغلقى ،وقال أبو الشيخ أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسى أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد بن أبى الحواري أنبأنا عبد الله بن غياث عن الفزارى قال :«لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب: فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة ،وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين ،وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليهم ،وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء»وقد روى سهيل بن أبى صالح عن زياد النميرى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « **أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر** »[٣].

وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن علي بن زيد عن أنس قال:

---

(١) سقط من خ.

(٢) سقط من خ.

(٣) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٨٢).

قال رسول الله ﷺ «**فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها**»[١] وهذا صريح فى أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع ،وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :«**آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى** »[٢] ويذكر عن على رضى الله عنه :«**من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة**»[٣].

فصل

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت ،فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعي الباب فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض.

ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم كما فى المسند من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال :« **باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب ثلاثًا ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول**» .

وفيه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ :«**أتاني جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذي تدخل منه أمتى**» الحديث وسيأتى بتمامة إن شاء الله تعالى.

وقال خلف بن هشام البزار :حدثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي إسحاق بن عاصم بن حمزة عن على بن أبى طالب قال:«أن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر :٧٣] إذا هم عندها بشجرة فى أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا تترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٣١٤٨).

(٢) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٨٤).

(٣) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٨٥).

رؤوسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبدًا ،ثم قرأ :﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر : ٧٣] فيـدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقـاهم الولدان فيـستبـشرون برؤيتهم كـما يستبشر الأهل بالحميم، يقدم من الغيبة، فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقـول :أنت رأيته؟ فيقوم إلى الباب فـيدخل إلى بيته فيـتكئ على سريره فينظر إلى أساس بيته فـإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ثم ينظر فى أخضر وأحمـر وأصفر ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته فلولا أنه خلق له لالتمع بصره فيقول :﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

الباب الثاني عشر

في ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا فى معجم الطبرانى أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصقر السكري قالا: أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحـزامي حدثنا [ق/ ٢٥] عبد الرحمن ابن المغيرة بن عـبد الرحمن بن عبـد الله بن خالد بن حرام حدثنى عـبد الرحمن بن عياش الأنصاري حدثنا دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق.

قال دلهم :وحدثنيه أيضًا أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلـى رسول الله ﷺ قـال: قلت: يارسول الله، فـما الجنة والنار ؟قـال: «**لعـمر إلهك، إن للنار سبـعة أبواب ما منهن بابان إلا يسيـر الراكب بينهما سبـعين عامًا وإن للجنة ثمانية أبواب منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا**» (١) وذكر الحديث بطوله.

وهذا الظاهر منه أن هذه المسـافة بين البـاب والباب لأن ما بين مـكة وبصرى لا يحـتمل التـقديـر بسبـعين عامًـا ولا يمكن حـمله على باب مـعين لقوله :مـا منهن بابان، والله أعلم .

---

(١) ضعيف: سيأتي.

الباب الثالث عشر

في مكان الجنة وأين هي ؟

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النجم :١٣-١٥]وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك، لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها، وقال تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات :٢٢] قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هو الجنة، وكذلك تلقاه الناس عنه وقد ذكر ابن المنذر فى تفسيره وغيره أيضًا عن مجاهد قال :هو الجنة والنار وهذا يحتاج إلى تفسير فإن النار فى أسفل السافلين ليست فى السماء، ومعنى هذا ما قاله فى رواية ابن أبى نجيح عنه وقاله أبو صالح عن ابن عباس ،الخير والشر كلاهما يأتى من السماء وعلى هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت فى السماء من عند الله .

.وقال الحارث بن أبى أسامة حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا مهدى بن ميمون حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب عن بشر بن شغاف قال :سمعت عبد الله بن سلام يقول :«إن أكرم خليقة الله أبو القاسم ﷺ وإن الجنة فى السماء»[1] رواه أبو نعيم عنه، قال: ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبى يعقوب مرفوعًا ثم ساقه من طريق ابن منيع قال :حدثنا عمرو الناقد حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعًا ،ثم ساق من طريق محمد بن فضيل حدثنا محمد بن عبيد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال: «الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة،وجهنم فى الأرض السابعة » [2].

وقال ابن منده :حدثنا أحمد بن إسحاق قال:حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله قال :«الجنة

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٣١).

(٢) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٣٢).

[فى][1] السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء»[2] وقال مجاهد : «قلت لابن عباس : أين الجنة ؟قال فوق سبع سموات ؟قلت : فأين النار ؟قال : تحت سبعة أبحر مطبقة» رواه ابن منده عن أحمد ابن إسحاق عن الزبيرى عن إسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد . وأما الأثر الذى رواه أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عيسى ابن يونس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو قال : «الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر فى كل عام مرة ، وأن أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة» [3] .

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه ، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه وتعالى بالشمس [فى كل][4] مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات جعله الله تعالى [مذكرًا][5] بتلك الجنة وآية دالة عليها كما جعل هذه النار مذكرًا بتلك ، وإلا فالجنة التى عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهى فوق الشمس وأكبر منها .

وقد ثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : «**الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»[6] وهذا يدل على أنها فى غاية العلو والارتفاع ، والله أعلم .

والحديث له لفظان هذا أحدهما والثانى : «**إن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين فى سبيله** »[7] وشيخنا يرجح

---

(١) فى خ : فوق .

(٢) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٧ / ١٠٣).

(٣) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٣٥).

(٤) فى خ: كل سنة .

(٥) فى خ : مذكرة.

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٨٤).

(٧) صحيح: أخرجه البخارى (٢٧٩٠).

هذا اللفظ، وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ،ونظير هذا قوله فى الحديث الصحيح: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»(١) أي من جملة أسمائه هذا [القدر](٢) فيكون الكلام جملة واحدة فى الموضعين .

ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله فى درجة فى الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها الفردوس وسقفه العرش كما قال ﷺ فى الحديث الصحيح :«**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**»(٣).

قال شيخنا أبو الحجاج المزي(٤) :والصواب رواية من رواه وفوقُه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أى وسقفه عرش الرحمن .

فإن قيل : فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فإن الكرسى وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه .

قيل : لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش ،كان سقفًا له دون ما تحت من الجنات ،ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئًا فشيئًا درجة فوق درجة كما « يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية [ق / ٢٦] تقرؤها»(٥).وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه ،أو أن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه، والله أعلم .

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) فى خ : العدو.

(٣) تقدم.

(٤) هو إمام المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف القضاعى ثم الكلبى ثم الحلبى ثم الدمشقى المزى الشافعى صاحب «تهذيب الكمال» وكتاب «الأطراف» مات سنة ٧٤٢ هـ.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٩٧٣٧).

الباب الرابع عشر
في مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة : حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال : قال [لي][1] رسول الله ﷺ: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله** »[2] رواه الإمام أحمد فى مسنده ولفظه: «**مفتاح الجنة شهادة أن لاإله إلا الله**».[3]

وذكر البخاري فى صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : «أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟قال :بلى ،ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ،فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح»[4].

وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال :قال أعرابي :يا رسول الله ما مفتاح الجنة ؟ قال :«**لا إله إلا الله**» [5].

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة قال:«إن السيوف مفاتيح الجنة»[6].

وفى المسند من حديث معاذ بن جبل قال :قال رسول الله ﷺ :«**ألا أدلك على**

---

(١) سقط من ط .

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٢١٥٩٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥٩٧) والبزار (٢٦٦٠).

قال الهيثمي: أخرجه أحمد ، ورجاله وثقوا إلا أن شهرا لم يسمع من معاذ «مجمع الزوائد» (١٠ / ٨٢)

وضعفه الألباني فى «ضعيف الجامع» (٥٢٦٤). .و«الضعيفة» (١٣١١).

(٤) أخرجه البخارى تعليقًا ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى الجنائز.

(٥) ضعيف جدًا: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٩٠) فإن أبان هذا متروك.

(٦) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٩٨).

باب من أبواب الجنة ؟» قلت :بلى ،قال :«لا حول ولا قوة إلا بالله»(١) وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور، كما قال ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور**»(٢) ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق ،ومفتاح الجنة التوحيد ،ومفتاح العلم حسن السؤال ،وحسن الإصغاء ،ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر ،ومفتاح الولاية المحبة والذكر،ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء ،ومفتاح الرغبة فى الآخرة الزهد فى الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه ،ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له فى الحب والبغض والفعل والترك ،ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب،ومفتاح حصول الرحمة الإحسان فى عبادة الخالق والسعي فى نفع عبيده ،ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى ،ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ،ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ،ومفتاح كل خير الرغبة فى الله والدار الآخرة ،ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل .

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحًا وبابًا يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله .والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحًا للنار ،وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم وجعل الغي مفتاح الزنا،وجعل إطلاق النظر فى الصور مفتاح الطلب والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ،وجعل المعاصى مفتاح الكفر ،وجعل

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢١٦١٠) (٢١٤٩١) (٢١٥٩٤) والنسائى فى «الكبرى» (١٠١٨٩) والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ١٧٤) حديث (٣٧١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٦١) (٦١٨) والترمذى (٣) وابن ماجة (٢٧٥) وأحمد (١٠٠٩) والدارمى (٦٩١) وأبو يعلى (٦١٦) وعبد الرزاق فى «المصنف» (٢٥٣٩) والبزار (٦٣٣) وابن أبى شيبة (١/ ٢٦٠) والبيهقى فى «الكبرى» (٢٣٠٧) والدارقطنى (١/ ٣٦٠) والشافعى فى «مسنده» (١٣٥).

الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله ،وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة .

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا [كل] (١) من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر، فينبغي للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله ،له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل ،لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .

الباب الخامس عشر

فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به لأصحابها [عند] (٢) الموت وعند دخولها

قال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين :١٨-٢١] فأخبر تعالى: أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين ،ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويهًا بكتاب الأبرار وما وقع لهم به ،وإشهارًا له وإظهارًا بين خواص خلقه كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهًا باسم المكتوب له وإشادة بذكره ،وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده .

وروى الإمام أحمد فى مسنده وابن حبان وأبو عوانة الإسفرايينى فى صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال :«خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة فجلس رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال : «**أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات** »ثم قال :« **إن المؤمن إذا**

(١) ليست فى خ .

(٢) فى خ : بعد.

كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط كفن [ق/ ٢٧] فجلسوا منه مد بصره ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان» قال : « فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء ،فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض » قال«فيصعدون بها فلا يمرون بها يعنى على ملأ من الملائكة إلا قالوا :ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون :فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ،حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم ،ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عزَ وجل فيقول الله عزَ وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى » .

قال: «فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له :من ربك؟ فيقول:ربى الله ،فيقولان له:ما دينك ؟ فيقول :دينى الإسلام فيقولان له :ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول :هو رسول الله ﷺ فيقولان له :وما علمك؟ فيقول :قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال:فينادي مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة » .

قال :«فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره »،قال:«ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول :أبشر بالذى يسرك ،هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له :من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير .فيقول أنا عملك الصالح فيقول :رب أقم الساعة ،رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » .

قال :«وإن العبد الكافر إذا كان فى [انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة،][١]

(١) فى خ : وانقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا. والصواب ما فى (ط).

[تنزل][١] إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر ،ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول :أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ».

قال : «فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ،فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح [الخبيث][٢]؟ فيقولون :فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ».

ثم قرأ رسول الله ﷺ :﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ فيقول الله عز وجل :اكتبوا [كتابه][٣] فى سجين فى الأرض السفلى وتطرح روحه طرحًا .

ثم قرأ رسول الله ﷺ :﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

«فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له :من ربك؟ فيقول : هاه هاه!! لا أدري ،فيقولان له :من هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟فيقول :هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه [فى][٤] النار وافتحوا له بابًا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف [فيه][٥] أضلاعه ،ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح فيقول له : أبشر بالذى

---

(١) فى خ: تزل.
(٢) فى خ: الخبيثة.
(٣) فى خ: كتاب عبدي.
(٤) في خ: من.
(٥) سقط من ط.

يسوؤك هـذا يومك الذى كنت توعد ،فيقول :من أنـت فوجهك الوجـه الذى يجيء بالشر؟ فيقول :أنا عملك الخبيث ،فيقول :رب لا تقم الساعة»(١) رواه أبو داود بطوله بنحوه فهذا التوقيع والمنشور الأول .

فصل

وأما المنشور الثانى: فقال الطبراني فى معجمه :حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديرى عن عبـد الرزاق عن سفيان الـثوري عن عبد الرحـمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفـارسي قال: قال رسول الله ﷺ :« **لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفـلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية** »(٢).

وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنـا محمد بن عبد الواحد المقدسى [أنبأنا](٣) زاهر الثقفي أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراقى حدثنا محـمد ابن إسحاق بن منده أنبأنا محمد بن علي البلخـي حدثنا محمد بن حسام حدثنا العباس بن زياد ثقة حدثنا سعدان بن سعيد حدثنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهـدى عن سلمان الفارسي أن النبي ﷺ قال: «**يعطى المؤمن جوازًا على الصـراط بسم الله الرحمن الرحـيم هذا كتـاب من الله العـزيز الحكيم لفلان ابن فـلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية**»(٤).

قلت: وقع المؤمن فى قـبضة أصـحاب اليمين يوم القـبضتـين ،ثم كتب من أهل

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) ضـعيـف : أخرجـه الطبـرانى فى «الكبـيـر»(٦١٩١) و «الأوسط» (٣٠١١) والخليلى فى «الإرشاد» (٤٢٣/١) وابن الجوزى فى «العلل المتناهية» (١٥٤٧).

(٣) فى خ : أخبرنا.

(٤) ضعيف : أخـرجه الخطيب في« تاريخ بغداد» (٣١٩/١١) عن أبى عثمان النـهدى مرسلاً، وابن الجوزى فى «العلل المتناهية» (١٥٤٨) وقال :هذا حديث لا يصح.

الجنة يوم نفخ الروح فيه ،ثم كتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة ،فالله المستعان .

الباب [ق/ ٢٨] السادس عشر

فى توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم .
وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ولهذا يوحد سبحانه سبيله، ويجمع سبل النار كقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ** ﴾[النحل: ٩] أى ومن السبيل جائر عن القصد وهى سبيل الغى وقال: ﴿ **هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ** ﴾[الحجر: ٤١] .

وقال ابن مسعود :خط لنا رسول الله ﷺ خطًا .قال: «**هذا سبيل الله**» ،ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره ثم قال: «**هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه** »ثم قرأ: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ** ﴾ (١) [الأنعام: ١٥٣].

فإن قيل :فقد قال الله تعالى : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ** ﴾[المائدة :١٥، ١٦].

قيل :هى سبل [تجمع](٢) فى سبيل واحد وهي بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الأعظم، فهذه هي [سبل](٣) شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها.

وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره وطريق الجنة هي إجابة الداعى إليها ليس إلاّ .

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤١٣١) والنسائى فى «الكبرى» (١١١٧٤) (١١١٧٥) والدارمى (٢٠٦) وابن حبان (٧) والبزار (١٦٧٧) (١٦٩٤) (١٧١٨) (١٨٦٥) والحاكم (٢٩٣٨).

(٢) فى خ : تجتمع.

(٣) ليست فى خ.

وقد روى البخاري في صحيحه عن جابر قال: «**جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله مثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، الدار الجنة والداعي محمد، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله ومن عصى محمدًا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس**»[1].

ورواه الترمذي عنه ولفظه: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارًا ثم بنى فيها بيتًا ثم جعل مائدة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها**»[2].

وصحح الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود قال: «صلَّى رسول الله ﷺ العشاء ثم انصرف فأخذ بيدي حتى خرج بي إلى بطحاء مكة فأجلسني، ثم خط علي خطًا ثم قال: «**لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك**» ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد فبينا أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى بشرًا وينتهون إليّ لا يجاوزون الخط ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس فقال: «**لقد رآني منذ الليلة ثم دخل علي في خطي فتوسد فخذي فرقد**» وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ فبينما أنا قاعد ورسول

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨١).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٨٦٠) والحاكم (٣٢٩٩) (٨١٨٨).

الله ﷺ متوسد فخذي إذا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم ما بهم من الجمال فانتهوا إليّ فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه ثم قالوا :ما رأينا عبدًا قد أوتي مثل ما أوتي هذا النبي إن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلاً ،مثل سيد بنى قصرًا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ،ومن لم يجبه عاقبه أو عذبه، ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال: «سمعت ما قال هؤلاء ؟وهل تدرى من هم ؟» قلت : الله ورسوله أعلم قال: «[هي][1] الملائكة. فتدري ما المثل الذي ضربوه؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال:«الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عذبه»[2].

الباب السابع عشر
في درجات الجنة

قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء :٩٥، ٩٦].

ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال : «فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا درجات منه قال: هى سبعون درجة ما [ق / ٢٩] بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عامًا»[3].

وقال ابن المبارك :أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك فى قوله تعالى :﴿لهم درجات عند ربهم﴾ قال: بعضهم أفضل من بعض فيرى الذى قد فضل به فضله ولا

---

(١) فى خ : همم.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٨٦١).

(٣) صحيح: أخرجه ابن جرير (٥/ ٢٣٢) و(٩/ ١٨١).

يري الذى أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس[(١)].

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة ،ثم أوقعه ثانيًا بدرجات فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد، وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران :١٦٢، ١٦٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وفى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا :يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟قال: «بلى ،والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**[(٢)]. ولفظ البخارى فى الأفق وهو أبين والغابر هو الذاهب الماضى قد تدلى للغروب ،وفى التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتين:

إحداهما :بُعده عن العيون .

والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ،والله أعلم .

وفى الصحيحين أيضًا من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرفة فى الجنة كما ترون الكوكب فى أفق السماء»**[(٣)].

وقال الإمام أحمد :حدثنا فرات أخبرنى فليح عن هلال يعنى ابن على عن عطاء

(١) صحيح: أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (٨٧٩٩).
(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١).
(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٦٥٥٦) ومسلم (٢٨٣٠).

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل الدرجات**»، قالوا: **يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**(١).

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخاري فى صحيحه وفى هذا الحديث [الغارب] وفى حديث أبي سعيد الخدري [الغابر] وقوله: الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غاربًا وبكونه طالعًا.

وقد صرح بهذا المعنى فى الحديث الذى رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال ابن علي عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون فى الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي فى الأفق فى تفاضل الدرجات**»: **قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: «بلى، والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**(٢) وهذا على شرط البخارى أيضًا.

وفى المسند من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل**»(٣).

وفى المسند من حديث أبي سعيد الخدري أيضًا عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٨٢٦٦) وابن منده فى «الإيمان» (٤٠٦).

قال السيوطي: الكوكب الدري: بضم الدال وتشديد الياء بلا همز، وبضم الدال مهموز ممدود، وهو العظيم، وسمى دريًا لبياضه كالدر، وقيل: لشبهه بالدر فى كونه أرفع من سائر النجوم كالدر أرفع الجواهر.

الغابر: أى الذاهب الماضى الذى تدلى للغروب وبعد عن العيون، «الديباج» (٦/ ١٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٥٥٦) وأحمد (٨٢١٨) وابن أبى الدنيا فى «التوكل» (٤٠) وابن المبارك فى «الزهد» (٤١٨).

قال المنذري: أخرجه أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٨١).

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (١١٤٢٠) فإن أبا حازم لم يسمع من أبى سعيد.

مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن وسعتهم»(١) .

وفى المسند عنه أيضًا عن النبى ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه**»(٢) وهذا صريح فى أن درج الجنة تزيد على مائة درجة .

وأما حديث أبي هريرة الذى رواه البخاري فى صحيحه عن النبى ﷺ قال : «**إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ،ومنه تفجر أنهار الجنة** »(٣) فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفى ضمن كل درجة درجة،درجة بدونها .

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقًا على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه**» قلت: يا رسول الله ألا أخرج فأوذن الناس : قال: «**لا؛ ذر الناس يعملون وإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض ،وأعلى درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش وهو أوسط شيء فى الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة ، وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس** [ق/ ٣٠] »(٤) رواه الترمذي هكذا بلفظه .

وروى أيضًا من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة مائة درجة**»(٥) ثم ذكر نحو حديث معاذ.

---

(١) ضعيف : أخرجه الترمذى (٢٥٣٢) وأحمد (١٠٨٤٨) وأبو يعلى (١٣٩٩).

قال الترمذي: هذا حديث غريب. قلت: هو مسلسل بالضعفاء .

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٥٣٠) والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ١٥٧) حديث (٣٢٧).

(٥) تقدم.

وفيـه أيضًا من حديث عطاء عن أبى هريرة قال: قـال رسول الله ﷺ: «**فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام**»(١) قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه أيضًـا من حديث أبى سعيـد يرفعه: «**إن فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتـمعوا فى إحـداهن لوسعـتهم**»(٢) ورواه أحمد بدون لفظة «في» كما تـقدم وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة «فى» وبدونها وإن كـان المحفوظ ثبـوتها فـهى من جملة درجها، وإن كان المحـفوظ سقوطها فهى الدرج الكبار المتـضمنة للدرج الصغار، والله أعلم.

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير فى السرعـة والبطء والنبى ﷺ ذكر هذا تقـريبًا للأفـهام، ويدل عليـه حديث زيد بن حباب حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثنى أبو هانئ التجيبى سمعت أبا على الجنبى سمعت أبا سعيد الخـدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مائة درجة فى الجنة ما بين الدرجـتين ما بين السـماء والأرض أو بعـد ما بين السـماء والأرض**»، قلت: يا رسول الله لمن؟ قال: «**للمجاهدين فى سبيل الله**»(٣).

الباب الثامن عشر
في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعـتم المؤذن فقولوا مثل ما يقـول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة [واحدة](٤) صلى الله عليه عـشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فـإنها منزلة فى الجنة لا تنبغي إلا لعبـد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سـأل لى الوسيلة حلت عليه**

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) سقط من (خ).

شفاعتي»(١).

وقال أحمد : أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صليتم [علي]**(٢) **فسلوا الله لى الوسيلة**» قيل : يا رسول الله، ما الوسيلة ؟ قال: «**أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو**(٣)» هكذا الرواية «**أن أكون أنا هو**» ووجهها أن تكون الجملة خبرًا عن اسم كان المستتر فيها ولا يكون أنا فصلاً ولا توكيدًا بل مبتدأ.

وفى الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ،إلا حلت له [الشفاعة]**(٤) **يوم القيامة**» (٥).

هكذا لفظ الحديث «**مقامًا**» بالتنكير ليوافق لفظ الآية ،ولأنه لما تعين وانحصر نوعه فى شخصه جرى مجرى المعرفة فوصف بما توصف به المعارف وهذا ألطف من جعل الذى وعدته بدلاً، فتأمله.

وفى المسند من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لى الوسيلة**» (٦).

وذكره ابن أبى الدنيا وقال فيه: «**درجة فى الجنة ليس فى الجنة درجة أعلى منها**

---

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) سقط من (ط).

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذى (٣٦١٢) وأحمد (٧٥٤٤) وعبد الرزاق (٣١٢٠) وابن أبى شيبة (٧/ ٤٤٢) وأبو يعلى (٦٤١٤). فيه ليث بن أبى سليم، وهو ضعيف.

(٤) فى خ: شفاعتي.

(٥) صحيح أخرجه البخارى (٦١٤) ،والذى عند مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) حسن: أخرجه أحمد (١١٣٧٤) والطبرانى فى «الأوسط» (٢٦٥) و(١٤٨٩).

فسلوا الله أن يؤتينيها على رؤوس الخلائق»(١).

وقال أبو نعيم : أنبأنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال ، حدثنا عبد الله بن عمران العابدي حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها قالت: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله والله إنك لأحب إلى من نفسى وإنك لأحب إلى من أهلى وأحب إلى من ولدى وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذ ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبى ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية : ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ (٢) [النساء: ٦٩] قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأسًا .

وسميت درجة النبى ﷺ الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهى أقرب الدرجات إلى الله وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب: وهى فعلية من وسل إليه إذا تقرب إليه .

قال لبيد: «**بل كل ذي رأي إلى الله واسل**» ومعنى الوسيلة : من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نورًا ، وقال صالح بن عبد الكريم : قال لنا فضيل بن عياض: أتدرون لم حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها . وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : «**نور سقف [مساكنكم]**(٣) **نور عرشه**».

وقال مروان بن بكير عن أشعث عن الحسن: «**إنما سميت عدن؛ لأن فوقها**

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٢٠١) وفيه إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف.

(٢) **حسن**: أخرجه أبو نعيم فى « الحلية» (٤/ ٢٤٠) والطبرانى فى «الأوسط» (٤٧٧) و«الصغير» (٥٢). قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث منصور وإبراهيم تفرد به فضيل وعنه العبادي.

(٣) فى خ : مساكنهم.

العرش ومنها تفجر أنهار [ق/ ٣١] الجنة ،وللحور العدنية الفضل على سائر الحور» والقربى والزلفى واحد ،وإن كان فى الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل .

وقال الكلبى : «**اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة**» وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقـوله : ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ [الإسراء: ٥٧]. فـقوله : أيهم أقـرب هو تفسـير للوسـيلة التى يبتـغيهـا هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه.

ولما كان رسـول الله أعظم الخلق عبـودية لربه وأعلمهم به،وأشـدهم له خشـية وأعظمهم له محبة كـانت منزلته أقرب المنازل إلى الله وهى أعلى درجة فى الجنة وأمر النبي ﷺ أمتـه أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعـاء زلفى من الله وزيادة الإيمان .وأيضًا فإن الله سبحـانه قدرها له بأسباب منها: دعاء أمـته له [بهما][1] بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: «**حلت عليه**» روى «**عليه**»و«**له**» فمن رواه باللام فمـعناه حصلت له ومن رواه بـ«**على**»فمعناه :وقعت عليه شفاعتى، والله أعلم.

الباب التاسع عشر
في عرض الرب تعالى سلعته الجنة
على عباده وثمنها الذى طلبه منهم وعقد
التبايع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى :﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١] فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمنًا لنفوس المؤمنين، وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن، وعقد

(١) فى خ : بها.

معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد:

أحدها: إخباره سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن .

الثاني: الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذى وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه، وأنه هو الذى اشترى هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدًا لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة على التي للوجوب إعلامًا لعباده بأن ذلك حق عليه، أحقه هو على نفسه .

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقًا عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد، وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوراة والإنجيل والقرآن .

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضًا بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخبارًا مؤكدًا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به الفوز العظيم والبيع هاهنا بمعنى المبيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة وقوله «بايعتم به» أى عاوضتم وثامنتم به.

ثم ذكر سبحانه أهل العقد الذى وقع العقد وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره، العابدون له بما يحب، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون، السائحون وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر فى طلب العلم بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة، [والتحقق][1] فيها أنها سياحة القلب فى ذكر الله ومحبته والإنابة إليه

(١) فى خ : والتحقيق.

والشوق إلى لقائه، ويترتب عليها كل ما [ذكر][1] من الأفعال ،[ولذلك][2] وصف الله سبحانه نساء النبي ﷺ اللاتى لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن السائحات ،وليست سياحتهن جهادًا ولا سفرًا فى طلب العلم ولا إدامة صيام ،وإنما هى سياحة قلوبهن فى محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره.

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين:هذه ترك ما يكره، وهذه فعل ما يحب ،والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه بأوصاف كماله ،وسياحة اللسان في أفضل ذكره وهذه سياحة القلب فى حبه وذكره وإجلاله.

كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين فى صفة الأزواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب .

وجعل الإسلام والإيمان قرينتين فهذا علانية وهذا فى القلب كما فى المسند عنه ﷺ «**الإسلام علانية ،والإيمان فى القلب**»[3] .

وجعل القنوت والتوبة قرينين، هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره.

وجعل الثيوبة والبكارة قرينين، فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبتها، وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد .

وجعل الركوع والسجود قرينين وجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون [ق/ ٣٢] ما تقدم إعلامًا بأن أحدهما لا يكفى حتى يكون مع الآخر،وجعل ذلك قرينًا لحفظ حدوده فهذا حفظها فى نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها،وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها فإن السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو؟ وانظر إلى الثمن المبذول فيها

---

(١) فى خ : ذكره.

(٢) فى خ : وكذلك.

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (١١٩٧٣) وابن أبى شيبة (٧/ ٢١١) وأبو يعلى (٢٩٢٣) وابن عدى فى «الكامل» (٥/ ٢٠٧) والعقيلى فى «الضعفاء» (٣/ ٢٥٠) وابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ١١١) والرافعى فى «التدوين»(٢/ ٢٨٦) والخطيب فى «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٣٢٨).

ماهو؟وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله سبحانه المشتري لها،والثمن لها جنات النعيم والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه:

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن [ترعى](١) مع الهمل

وفى جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال:قال رسول الله : «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ،ألا إن سلعة الله الجنة**»(٢) قال هذا حديث حسن غريب.

وفى كتاب صفة الجنة لأبي نعيم من حديث أبان عن أنس قال:«جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال:ما ثمن الجنة؟قال: «**لا إله إلا الله**»(٣)وشواهد هذا الحديث كثيرة جدًا.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال:يا رسول الله ،دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ؟فقال: «**[أن](٤) تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة ،وتصوم رمضان**»قال:والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا ولا أنقص منه ،فلما ولى قال:«**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»(٥).وفى صحيح مسلم عن جابر قال:أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺ فقال:يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال أدخل الجنة؟فقال النبى ﷺ: «**نعم**»(٦).

---

(١) فى خ: تدعي.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٤٥٠) والبيهقى فى «الشعب» (١٠٥٧٦) والحاكم (٦٨٥١) وعبد بن حميد (١٤٦٠) والرامهرمزى فى « أمثال الحديث» (٨٣) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (١١١/٢) والعقيلى فى «الضعفاء»(٣٨٢/٤).

(٣) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٥١).

(٤) سقط من خ.

(٥) صحيح: أخرجه البخارى (١٣٩٧) ومسلم (١٤).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (١٥).

وفى صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله: **«من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»**(١) .

وفى المسند وسنن أبى داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**(٢) .

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«أتانى آت من ربى فأخبرنى أو قال فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق»**(٣) .

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : **«من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ،ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء»**.

وفى لفظ: **«أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»**(٤) .

وفى صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال: **« اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة»**(٥) .

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: **«ثمن الجنة: لا إله إلا الله»**.

وروى أبو نعيم من حديث أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣١١٦) وأحمد (٢١٥٢٩) والبيهقى فى «الشعب» (٩٢٣٤) والحاكم (١٢٩٩) والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ١١٢) حديث (٢٢١).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (١٤٧٨) ومسلم (٩٤).

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٣١).

[يقول] (١) «**لا يدخل أحدًا منكم الجنة عمله ولا يجيره من النار ولا أنا إلا بتوحيد الله تعالى** » (٢)وإسناده على شرط مسلم وأصل الحديث فى الصحيح.

فصل

وها هنا أمر يجب التنبيه عليه وهو :أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سببًا، ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال فى قوله: ﴿[**ادخلوها**] (٣) **بما كنتم تعملون**﴾[الأعراف: ٤٣] ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله:«**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» (٤) ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون :النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته ،واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ويدل على هذا حديث أبى هريرة الذى سيأتى إن شاء الله تعالى: «**أن أهل الجنة إن دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم**» (٥) رواه الترمذي.

والثاني: أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بحصوله وقد جمع النبى ﷺ بين الأمرين بقوله :«**سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحدًا منكم لن ينجو بعمله، قالوا :ولا أنت يا رسول الله قال:ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته**»(٦).

---

(١) سقط من ط.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨١٧) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (٥٢).

(٣) سقط من ط .

(٤) انظر السابق.

(٥) سقط من ط.

(٦) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٨).

ومن عرف الله سبحانه وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به، والله سبحانه وتعالى المستعان.

الباب العشرون
فى طلب أهل الجنة لها من ربهم
وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل

قال الله تعالى حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

والمعنى: وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة وقالت طائفة: معناه وآتنا على الإيمان برسلك وليس بسهل حذف الاسم والحرف معًا، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك، وحينئذ فيتكافأ التقديران، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم: ﴿ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ وهذا صريح فى الإيمان بالرسول والرسل، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل فإنهم إنما سمعوا وعده لهم بذلك من الرسل وذلك أيضًا يتضمن التصديق بهم وإنهم بلغوهم وعده فصدقوا به، وسألوه أن يؤتيهم إياه. وهذا هو الذى ذكره السلف والخلف فى الآية.

وقيل: المعنى آتنا ماوعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل، والأول أعم وأكمل.

وتأمل: كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق وعده والخوف من وعيده، واستجابتهم لأمره فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه. وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده مع أنه فاعل لذلك ولا بد.

وأجاب: بأن هذا تعبد محض كقوله: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وقول الملائكة: ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ [غافر: ٧] وخفى على هؤلاء أن الوعد

معلق بشروط منها: الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به ،وأن لا يلحقه ما يحبطه فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التى ينجز لهم بها وعده، فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية.

وأما قوله [قال] (١) ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة .

وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين ،هو من الأسباب التى يوجب بها لهم المغفرة فهو سبحانه نصب الأسباب التى يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه، وجعلها أسبابًا لإرادته، كما جعلها أسبابًا لوقوع مراده ،فمنه السبب والمسبب ،وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى خلقه الأسباب التى توجب محبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التى خلقها وشاءها فالكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده،وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون بالله ،ونظير هذه الآية فى سؤاله ما وعد به قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۝١٥ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴾[الفرقان : ١٥ ،١٦] يسأله إياه عباده المؤمنون ويسأله إياه ملائكته لهم،فالجنة تسأل ربها أهلها وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم ،ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين،وفى هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ،فالرب تعالى جواد له الجود كله يحب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه ،فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله،وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يُسأل:

[الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب](٢)

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً ،وهو يحب الملحِّين فى الدعاء وكلما ألح العبد عليه فى السؤال أحبه وقربه وأعطاه.

---

(١) سقط من ط. (٢) سقط من خ .

وفى الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[1] فلا إله إلا الله، أى جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله!!! والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

قال أبو نعيم الفضل: حدثنا يونس هو ابن أبى إسحاق حدثنا يزيد بن أبى مريم قال قال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يسأل الله [ق/ ٣٤] الجنة ثلاثًا إلا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار بثلاثًا قالت النار: اللهم أجره من النار»**[2] رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن يزيد به.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا عثمان بن أبى شيبة: حدثنا جرير عن ليث عن يونس ابن خباب عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله: **«ما سأل الله عبد الجنة فى يوم سبع مرات إلا قالت: الجنة يا رب إن عبدك فلانًا [يسألنى][3] فأدخلنيه»**[4].

وقال أبو يعلى الموصلى: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا جرير عن يونس عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار يا رب: إن عبدك فلانًا استجار منى فأجره، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلانًا سألنى**

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٣٧٣) وأبو يعلى (٦٦٥٥) والحاكم (١٨٠٦) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٦٧٥) والطبرانى فى «الأوسط» (٢٤٥٢).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٥٧٢) والنسائى (٥٥٣٦) وأحمد (١١٧٦٠) وابن حبان (١٠١٤) والحاكم (١٩٦٠) وأبو يعلى (٣٦٨٢) والنسائى فى «الكبرى» (٧٩٦٢) وابن ماجة (٤٣٤٠) وابن أبى شيبة (٧/ ١٣٠).

(٣) فى خ: سألنى.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٦٨).

فأدخله الجنة»[١] وإسناده على شرط [الشيخين][٢].

وقال أبو داود في مسنده :حدثنا :شعبة حدثني يونس بن خباب سمع أبا علقمة عن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ: **«من قال:أسأل الله الجنة سبعًا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة»**[٣].

وقال الحسن بن سفيان :حدثنا المقدمي حدثنا عمر بن على عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار فإنهما شافعتان مشفعتان ،وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة يا رب عبدك هذا الذي سألنيك فأسكنه إياي ،وتقول النار :يا رب عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فأعذه»[٤].

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون حسبنا أن يجيرنا من النار ، فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر ثم رفع يديه وقال:اللهم أجرني من النار أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة، ومنهم عطاء السلمي كان لا يسأل الجنة فقال له [أبو][٥] صالح المرى :إن أبانا حدثني عن أنس أن النبي ﷺ قال: **«يقول الله عز وجل انظروا في ديوان عبدي فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته ومن [استعاذ بي]**[٦] **من النار أعذته»**.

فقال عطاء:كفاني أن يجيرني من النار ،ذكرهما أبو نعيم[٧].

وقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي ﷺ قال للفتى -يعني الذي شكاه-«كيف تصنع يابن أخي إذا صليت؟قال :

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو يعلى (٦١٩٢).

(٢) في خ : الصحيح.

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود في «مسنده» (٢٥٧٩) وفيه يونس هو ابن خباب،ضعيف.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٧٠).

(٥) سقط من : ط .

(٦) في خ : استعاذني.

(٧) ضعيف:أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٧٢) وفيه أبان بن عياش،وقد تقدم حاله.

أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار وإنى لا أدرى ما دندنتك ودندنة معاذ فقال النبى ﷺ : **«إنى ومعاذًا حولها ندندن»**(١).

وفى سنن أبى داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» (٢) رواه عن أحمد بن عمرو العصفرى حدثنا يعقوب بن إسحاق حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد فذكره، وقد تقدم فى أول الكتاب حديث الليث عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبى بشير يرفع الحديث: **«ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان تقول الجنة يا رب قد طابت ثمارى واطردت أنهارى ،واشتقت إلى أوليائى ،فعجل إلىَّ بأهلى»** الحديث.

فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم إليها جذبًا والنار كذلك وقد أمرنا رسول الله أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما .

كما روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل حدثنا أيوب بن أبى شبيب الصنعانى قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حدثنى عبد الله بن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تنسوا العظيمتين»** قلنا: وما العظيمتان يا رسول الله ﷺ؟ قال : **«الجنة والنار»**(٣).

وذكر أبو بكر الشافعى من حديث كليب بن حزن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم فإن الجنة لا ينام طالبها وإن النار**

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٧٩٢) (٧٩٣) وابن ماجة (٩١٠) (٣٨٤٧) وأحمد (١٥٤٦٨) وابن حبان (٨٦٨) وابن خزيمة (٧٢٥) وابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل» (٩/ ٢٥٠).

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٦٧١) والبيهقى فى «الكبرى» (٧٩٨١) و«الشعب» (٣٥٣٧) والديلمى فى «مسند الفردوس» (٧٩٨٦) وابن عدى فى «الكامل» (٣/ ٢٥٧) والخطيب فى «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٣٥١).

(٣) لم أقف عليه عند أبى يعلى .

لا ينام هاربها وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره،وإن الدنيا محفوفة [باللذات][(١)] والشهوات ،فلا تلهينكم عن الآخرة»[(٢)].

الباب الحادى والعشرون

في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ،ومسماها واحد باعتبار الذات فهى مترادفةمن هذا الوجه،وتختلف باعتبار الصفات فهى متباينة من هذا الوجه،وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى ،وأسماء كتابه وأسماء [رسله][(٣)] وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار.

الاسم الأول: الجنة ،وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين ،وأصل اشتقاق / [ق٣٥] هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن ،والجان لاستتاره عن العيون والمجن لستره ووقايته الوجه،والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه،والجان وهى الحية الصغيرة الرقيقة ومنه قول الشاعر:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحسن جنت

أي لو غطى وستر عن الأعين لفعل بها ذلك ،ومنه سمى البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه،ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير من الأشجار مختلف الأنواع، والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره ،ومنه قوله تعالى :﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة:١٦] أى يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم، ومنه الجنة

---

(١) في ط : بالذات.

(٢) ضعيف : أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٢٠٠) حديث (٤٤٩) و«الأوسط» (٣٦٤٣). وقال: لم يسند كليب بن حزن عن النبيﷺ غير هذا الحديث، ولا يروى عنه إلا بهذا الإسناد.

(٣) فى خ : رسوله.

بالكسر الجن [وهم][(١)] كما قال تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[الناس:٦] وذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[الصافات:١٥٨] قالوا :وهذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوا هذا القول بوجهين:

أحدهما : أن النسب الذى جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين [الجنة][(٢)] وبينه.

والثانى: قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[الصافات:١٥٨] أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب ،والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء ،وأن الجنة هم الجن [نفسهم][(٣)] كما قال تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[الناس:٦] وعلى هذا ففى الآية قولان :

أحدهما :قول مجاهد :قالت كفار قريش :الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر: فمن أمهاتهم ؟قالوا :سروات الجن ،وقال الكلبى :قالوا تزوَّج من الجن فخرج من بينهما الملائكة ، وقال قتادة :قالوا:صاهر الجن.

والقول الثانى: هو قول الحسن قال :أشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه، والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم ،فإنهم لما قالوا:الملائكة بنات الله، وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسبًا بهذا الإيلاء، وجعلوا هذا النسب متولدًا بينه وبين الجن وأما قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[الصافات:١٥٨] فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة أنهم محضرون الحساب قاله مجاهد :أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾[المائدة:١٨] فجعل سبحانه وتعالى عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى إبطال قولهم من

(١) سقط فى ط.

(٢) فى خ: الجن.

(٣) في خ: أنفسهم.

التقدير الأول فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة.

فصل

الاسم الثانى :دار السلام وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأنعام:١٢٧]وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ﴾[يونس:٢٥]، وهى أحق بهذا الاسم، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سلمها وسلم أهلها : ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾[يونس:١٠] ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[الرعد:٢٣، ٢٤] والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس:٥٧، ٥٨] وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب تبارك وتعالى عليهم فى الجنة ، وكلامهم [كلهم](١) فيها سلام أى لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل ،كما قال تعالى : ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا﴾[مريم :٦٢]وأما قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠ ،٩١] فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه وقالوا أقوالاً لا يخفى بعدها عن المقصود .

وإنما معنى الآية والله أعلم: فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين، أى فسلامة لك كائنًا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ومن النار وعذابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله، كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: أبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان، وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة .

فصل

الاسم الثالث: دار الخلد ،وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالى : ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود:١٠٨] وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾

(١) فى خ : كله.

[ص: ٥٤]وقال:﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥]،وقال:﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] وسيأتي إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى.

فصل

الاسم الرابع :دار المقامة ،قال تعالى حكاية عن أهلها:﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود ،أقاموا فيها أبدًا لا يموتون ولا يتحولون منها أبدًا، قال الفراء[1] والزجاج[2]: المقامة مثل الإقامة ،يقال: أقمت بالمكان إقامة [ق / ٣٦] ومقامة ومقامًا .

فصل

الاسم الخامس: جنة المأوى، قال تعالى :﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٥].

والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به.

وقال عطاء عن ابن عباس: هى الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة.

وقال مقاتل والكلبى :هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء .

وقال كعب :جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء .

وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حبيش :هى جنة من الجنان .

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى :﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] وقال فى النار:﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩]، وقال:﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ [الجاثية: ٣٤].

---

(١) انظر:« معانى القرآن» (٢/ ٣٧٠) للفراء.

(٢) انظر : «معانى القرآن» (٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) للزجاج .

فصل

الاسم السادس: جنات عدن ،فقيل :هى اسم لجنة من جملة الجنان، والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] وقال تعالى : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[فاطر :٣٣] وقال تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢]، والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام، يقال عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه.

وقال الجوهري (١): ومنه جنات عدن أي جنات إقامة ومنه سمى المعدن -بكسر الدال- لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ،ومركز كل شيء معدنه. والعادن: الناقة المقيمة فى المرعى .

فصل

الاسم السابع: دار الحيوان ،قال تعالى : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والمراد الجنة عند أهل التفسير ،قالوا: وإن الآخرة يعني الجنة لهى الحيوان لهى دار الحياة التى لا موت فيها، فقال الكلبى :هى حياة لا موت فيها وقال الزجاج : هى دار الحياة الدائمة ،وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة قال أبو عبيدة وابن قتيبة: الحياة الحيوان قال أبو عبيدة: الحياة والحيوان الحى -بكسر الحاء-واحد قال أبو على يعنى أنها مصادر، فالحياة فعله كالجلبة، والحيوان كالنزوان والغليان والحى كالعى قال العجاج:

كنا بها إذا الحياة حى

أى إذا الحياة حياة ،وأما أبو زيد فخالفهم وقال: الحيوان ما فيه روح ،والموتان والموات ما لا روح فيه ،والصواب :أن الحيوان يقع على ضربين :

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» (ص: ٦٩).

أحدهما: مصدر كما حكاه أبو عبيدة.

والثاني: وصف كما حكاه أبو زيد، وعلى قول أبي زيد: الحيوان مثل الحى خلاف الميت ورجح القول الأول، بأن الفعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات، فإن بابها فعلان كسكران وغضبان، وأجاب من رجح القول الثانى بأن فعلان قد جاء فى الصفات أيضًا، رجل ضميان للسريع الخفيف وزفيان قال فى الصحاح: ناقة زفيان سريعة، وقوس زفيان سريعة الإرسال للسهم، فيحتمل قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾ [العنكبوت: ٦٤] معنيين:

أحدهما: أن حياة الآخرة هى الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها، أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار فيكون الحيوان مصدرًا على هذا.

الثاني: أن يكون المعنى أنها الدار التى لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء فى هذه الدنيا فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت.

فصل

الاسم الثامن: الفردوس، قال تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[المؤمنون: ١٠، ١١] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا**﴾[الكهف: ١٠٧، ١٠٨]والفردوس: اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات وأصل الفردوس: البستان والفراديس البساتين، قال كعب هو البستان الذى فيه الأعناب، وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم، يقال كرم مفردس أى معرش، وقال الضحاك: هى الجنة الملتفة بالأشجار وهو اختيار المبرد، وقال: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب والجمع الفراديس، قال: ولهذا سمى باب الفراديس بالشام، وأنشد لجرير:

فقلت للركب إذ جد المسير بنا ... يا [عبد][1] يبرين من باب الفراديس

وقال مجاهد: هو البستان بالرومية واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول إلى

---

(١) فى خ: يعد.

لفظ العربية قال: وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون فى البساتين قال حسان :

وأن ثواب الله كل مخلد جنات من الفردوس فيها يخلد

فصل

الاسم التاسع: جنات النعيم قال تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨] وهذا أيضًا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم [بها][1] من المأكول، والمشروب، والملبوس، والصور، والرائحة الطيبة، والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة، وغير ذلك [ق / ٣٧] من النعيم الظاهر والباطن.

فصل

الاسم العاشر: المقام الأمين قال تعالى :﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] . والمقام: موضع الإقامة والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذى قد جمع صفات الأمن كلها ،فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النغص وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد و﴿الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ [التين: ٣] الذى قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن فى قوله تعالى :﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]وفى قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك ،وأمن الموت فلا يخافون فيها موتًا.

فصل

الاسم الحادى عشر والثانى عشر: مقعد الصدق وقدم الصدق، قال تعالى :﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[القمر: ٥٤، ٥٥] فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها، كما يقال: مودة صادقة، إذا كانت

(١) سقط فى ط .

[ثابتة][(١)] تامة وحلاوة صادقة وحملة صادقة، ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال، ومنه الصدق فى الحديث والصدق فى العمل ،والصديق الذى يصدق قوله بالعمل ،والصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال للرجل الشجاع ،إنه لذو مصدق أى صادق الحملة ،وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالة، ومنه صدقنى القتال وصدقنى المودة ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شيء تحته وهو لا يتضمن أمرًا ثابتًا قط،وفسر قوم قدم صدق بالجنة ،وفسر بالأعمال التى تنال بها الجنة، وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله ،وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك،والتحقيق أن الجميع حق، فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أى بالأسباب التى قدرها لهم على يد رسوله ﷺ وادخر لهم جزاءها يوم لقائه ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق ،وفى كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع وأنه ثناء بحق لا بباطل ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامنًا على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلاً فى أمر وخارجا من أمر فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق،والله المستعان.

الباب الثانى والعشرون

فى عدد الجنات وأنها نوعان :جنتان من ذهب وجنتان من فضة

الجنة :اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهى جنات كثيرة جدًا كما روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك:أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة :**«أتت رسول الله ﷺ فقالت:يا نبى الله ألا تحدثنى عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب ،فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان غير**

(١) سقط من ط .

ذلك اجتهدت عليه في البكاء؟ قال: «يا أم حارثة ،إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما ،وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما،وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم [إلا]**(٢) **رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**(٣) **وقد قال تعالى:**﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] **فذكرهما ثم قال :**﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٦٢] **فهذه أربع، وقد اختلف في قوله ومن دونهما هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين؟ فقالت طائفة :من دونهما أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما».**

وقالت طائفة: بل معنى من دونهما، تحتهما قالوا: وهذا المنقول في لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا أي دونه في المنزلة، كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك ، وفي الصحاح(٤) : دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ثم قال: ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه، والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

[أحدها](٥) : قوله:﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[الرحمن: ٤٨]وفيه قولان :أحدهما: أنه جمع فنن وهو الغصن والثاني :أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في [ق / ٣٨] اللتين بعدهما.

الثاني :قوله:﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾[الرحمن : ٥٠] وفي الأخريين:﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضاخة: هي الفوارة والجارية السارحة، وهي

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٠٩).

(٢) سقط من ط.

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٨٧٨) ومسلم (١٨٠).

(٤) انظر: «مختار الصحاح» (ص: ٩٠) .

(٥) كذا في خ.

أحسن من الفوارة، لأنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[الرحمن: ٥٢] وفى الأخرين: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[الرحمن: ٦٨] ولا ريب أن وصف الأولين أكمل، واختلف فى هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان، فقالت طائفة: الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس، وفيه نظر لا يخفى، وقالت طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب وقالت طائفة: نوعان ولم تزد، والظاهر والله أعلم، أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها وفى الأخرين قال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[الرحمن: ٧٦]وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأولين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أى قريبًا سهلًا يتناولونه كيف شاؤوا ولم يذكر ذلك فى الأخرين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا [يردن][1] غيرهم، لرضاهن بهم، ومحبتهن لهم وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهن حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال فى الأخرين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[الرحمن: ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون وإشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك فى التي بعدها.

---

(١) فى خ: يرون

الثامن : أنه قـال سبـحانه وتعـالى فى الجنتين الأولين : ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن : ٦٠] وهـذا يقتضى أن أصـحابهـما من أهل الإحسـان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأولين وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنه أعلى جزاء الخائف لمـقامه، فرتب الجزاء المذكور عـلى الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون على نوعـين مقربين وأصحاب يمين، ذكر جنتى المقربين ثم ذكر أصحاب اليمين .

العـاشر: أنه قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] والسـياق يدل على أنه نقيض فوق، كما قال الجـوهرى ، فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقـام ربه قيل : لما كان الخائفون نوعين كـما ذكرنا كان للمقـربين منهم الجنتان العاليتـان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتـان دونهما ، فإن قيل : فهل الجنتـان لمجموع الخائفين يشتركون فـيهما، أم لكل واحد جنتان وهما البستـانان: قيل : هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثانى بوجهين:

أحدهما: من جهة النقل.

الثانى: من جهة المعنى، فأما الذى من جـهة النقل، فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هما بسـتانان فى رياض الجنة**»[1] وأما الذى من جـهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية: جزاء اجتناب المحارم .

فإن قـيل : فكيف قـال فى ذكر النساء «فـيهن» فى الموضـعين؟ ولما ذكر غـيرهن قال «فيهما»؟

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن : ٧٠] ثم أعاده فى الجنتين الأخرتين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى، والله أعلم.

---

(١) انظر : «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٦).

الباب الثالث والعشرون
في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان بيده وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده فهي سيدة الجنان ،والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمداً ﷺ ومن السموات العليا ومن [البلد](١) مكة ومن [الأشهر](٢) الأشهر [الحرم](٣):[شهر رمضان](٤)، ومن الليالي ليلة القدر ،ومن الأيام يوم الجمعة.ومن الليل وسطه ،ومن الأوقات أوقات الصلاة إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص:٦٨].

وقال الطبراني في معجمه:حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث،قال الطبراني :وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال:قال رسول الله ﷺ:«ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء [ق/ ٣٩] ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية [إلى](٥) جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم تراه عين أحد،ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول :ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ألا داع

(١) في خ: البلاد.
(٢) سقط من ط.
(٣) كذا في خ.
(٤) سقط من ط.
(٥) في خ: في.

يدعونى فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر» .

قال تعالى :﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] فيشهده الله تعالى وملائكته(١) .

وقال الحسن بن سفيان :حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال: حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبي هند عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر**» (٢) وقد ذكر الدارمى والنجار وغيرهما، من حديث أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن -متكلم فيه- عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال :قال رسول الله ﷺ :«**خلق الله ثلاثة أشياء بيده:خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده، وغرس [الفردوس]** (٣) **بيده ،ثم قال: وعزتى وجلالى، لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث**» قالوا يا رسول الله ،قد عرفنا مدمن الخمر، فما الديوث؟قال: «**الذى يقر السوء فى أهله**»(٤) قلت :المحفوظ أنه موقوف.

قال الدارمى: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد ابن مهران حدثنا مجاهد قال: قال عبد الله بن عمر: «**خلق الله أربعة أشياء بيده،**

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٨٦٣٥) وابن جرير في«جامع البيان» (١٠/ ١٨٠) واللالكائى فى «اعتقاد أهل السنة» (٧٥٦) والعقيلى فى «الضعفاء» (٢/ ٩٣) قال الذهبي: فهذه ألفاظ منكرة. «الميزان»(٣/ ١٤٥)، قال الهيثمي: أخرجه البزار وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف. «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٢).

(٢) ضعيف: أخرجه الهروى فى «الأربعين فى دلائل التوحيد» (٢٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (٣/ ٩٥) والديلمى فى « الفردوس» (٦٠٣) وتمام الرازى فى «الفوائد» (١١٨١). داود بن أبى هند لم يسمع من أنس.

(٣) فى خ : جنة عدن.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٢٣) وابن أبى الدنيا فى « صفة الجنة» (٤١) والبيهقى فى «الصفات» (٦٩٢).

العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام ،ثم قال لسائر الخلق كن فكان»[١] وحدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرةقال: «**إن الله لم يمس شيئًا من خلقه غير ثلاث:خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده**»[٢] حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: «لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده ،وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها تكلمي قالت: قد أفلح المؤمنون. وقال أبو الشيخ: أبو يعلي حدثنا أبو الربيع حدثنا يعقوب القمى حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال: « **خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خميس فيقول :ازدادى طيبًا لأوليائى.ازدادى حسنًا لأوليائى**»[٣] .

وذكر الحاكم عن مجاهد قال: إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت، فهى تفتح فى كل سحر فينظر الله إليها فتقول: قد أفلح المؤمنون .

وذكر البيهقى من حديث البغوى حدثنا يونس بن عبيد الله البصرى حدثنا عدي بن الفضل عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة،وغرس غرسها بيده وقال لها:تكلمى :فقالت :قد أفلح المؤمنون ،فقال طوبى :لك منزل الملوك**»[٤].

وقال ابن أبي الدنيا[٥]: حدثنا محمد بن المثنى البزار حدثنا محمد بن زياد

---

(١) صحيح: أخرجه عثمان بن سعيد فى «رده على بشر المريسي» (٤٤) وابن جرير فى «جامع البيان» (٢٣/ ١٨٥).

(٢) صحيح: أخرجه عثمان بن سعيد فى «رده على بشر المريسي» (٤٥) وابن جرير فى «جامع البيان» (١٨/ ١).

(٣) حسن: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٨١).

(٤) ضعيف: أخرجه البزار (٣٥٠٨) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٢٠٤) فيه عدى بن الفضل، وهو متروك.

(٥) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٧) وابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٢٠).فيه محمد بن زياد والكلبي، وهوضعيف ، وبشر بن الحسين وهو متروك .

الكلبى حدثنا بشر بن حسين عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «**خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، بلاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ ،وحشيشها الزعفران ،ثم قال لها انطقى قالت :قد أفلح المؤمنون ،فقال الله عز وجل:وعزتى وجلالى لا يجاورني فيك بخيل**»ثم تلا رسول الله ﷺ :﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] وتأمل هذه العناية، كيف جعل هذه الجنة التى غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناءً وتشريفًا وإظهارًا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتميزه بذلك عن غيره وبالله التوفيق، فهذه الجنة فى الجنان كآدم فى نوع الحيوان.

وقد روى مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال: «**سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال :رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة فيقال له:ادخل الجنة فيقول :رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟!! فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له:لك مثله ومثله ومثله ومثله،فقال فى الخامسة :رضيت رب قال:رب فأعلاهم منزلة؟قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى ،وختمت عليها فلم تر عين ،ولم تسمع أذن،ولم يخطر على قلب بشر**» ومصداقه من كتاب الله﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾(1)[السجدة: ١٧].

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى :﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ [ق/ ٤٠] زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[الزمر: ٧٣] والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤتمن على الشيء الذى قد استحفظه.

وروى مسلم فى صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٩).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: [بلى]**[١] **، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**»[٢].

وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه: «**من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي قل، هلم**»[٣]، **قال أبو بكر: يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه، فقال النبي** ﷺ: «**إني لأرجو أن تكون منهم**» وفي لفظ: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**»[٤].

لما سمت همه الصِّديق إلى تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها، سأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس؟ ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله، كأنه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟

فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس، قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير الخزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا، وسمى خازن النار مالكًا وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.

الباب الخامس والعشرون

في ذكر أول من يقرع باب الجنة

وقد تقدم من حديث أنس ورواه الطبراني بزيادة فيه قال: «**فيقوم: الخازن فيقول لا أفتح لأحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك**» وذلك أن قيامه إليه ﷺ خاصة إظهارًا لمزيته ومرتبته ولا يقوم في خدمة أحد بعده، بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم، وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، عنه ﷺ أنه قال: «**أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا**

(١) في خ: بك.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٧).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٤١) ومسلم (١٠٢٧).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٦٦).

أن امرأة تبادرني فأقول لها مالك، ومن أنت؟ فتقول :أنا امرأة قعدت على يتامى»[١]
وفي الترمذي من حديث ابن عباس قال: «جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم : عجبًا، إن لله من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: ما ذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليمًا

وقال آخر :فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر :آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال: «**سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ،وموسى نجي الله وهو كذلك،وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ،وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ،وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر،وأنا أول من يحرك حلقة الجنة ،فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**»[٢].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا ،وشافعهم إذا حبسوا،وأنا مبشرهم إذا أيسوا ،لواء الحمد بيدي ،ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي ، وأنا أكرم [ولد آدم يومئذ]**[٣] **على ربي ولا فخر،يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون**»[٤]رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له.

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «**أنا أكثر الناس تبعًا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة**»[٥].

---

(١) حسن: أخرجه أبو يعلى (٦٦٥١).

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٦١٦) والدارمي (٤٧) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣٩) ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٠٧٧). وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣) سقط من ط.

(٤) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٦١٠) والرافعي في «التدوين» (١/ ٢٣٤) والدارمي (٤٨). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قلت : ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٣٠٩).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٦).

الباب السادس والعشرون
في ذكر أول الأمم دخولاً الجنة

وفى الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**»(١) أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر فمعنى بيد تعني سوى وغير وإلا ونحوها.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه**»(٢).

وفى الصحيحين من حديث طاوس عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة. نحن أول الناس دخولاً الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»(٣).

وروى الدارقطنى من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى**»(٤) قال الدارقطنى: غريب عن الزهرى ولا أعلم من روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى غير هذا الحديث ولا رواه إلا عمرو بن أبى سلمة عن زهير.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨٥٥).
(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٨٩٨).
(٤) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٩٤٦).

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان فى الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها [ق/ ٤١] محمد ﷺ ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته.

وأما أول الأمم دخولاً فقال أبو داود فى سننه: حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن ابن محمد المحاربى عن عبد السلام بن حرب عن أبى خالد الدالانى عن أبى خالد مولى آل جعدة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى**» فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى**»[1] وقوله: «**وددت أنى كنت معك**» حرصًا منه على زيادة اليقين وأن يصير الخبر عيانًا كما قال إبراهيم الخليل: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠] وأما الحديث الذى رواه ابن ماجة فى سننه: حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحى أنبأنا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة**»[2] فهو حديث منكر جدًا قال الإمام أحمد: داود بن عطاء ليس بشيء، وقال البخارى: منكر الحديث.

الباب السابع والعشرون

في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم

وفى الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٦٥٢) والطبرانى فى «الأوسط» (٢٦١٥) والحاكم (٤٤٤٤).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن ماجة (١٠٤) والطبرانى فى «الأوسط» (٤٣١٠)، (٥٥٨٤) والحاكم (٤٤٨٩).

قال رسول الله ﷺ : «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ،ولا يتمخطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ،ومجامرهم الألوة . ورشحهم المسك ،ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ،لا اختلاف بينهم ولا تباغض ،قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيًا**» [١].

وفى الصحيحين أيضًا من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة قال :قال رسول الله ﷺ : «**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ،والذين يلونهم على [ضوء]** [٢] **أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ،ولا يتغوطون ،ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ،أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ،أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء**» [٣].

وروى شعبة [بن] [٤] قيس عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء**» [٥].

وقال الإمام أحمد :حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى ابن أبى كثير عن عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**عرض علىَ أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار ،فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه**

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٣٢٤٦) ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) سقط من ط.

(٣) صحيح :رواه البخارى (٣٢٥٤) ومسلم (٢٨٣٤).

(٤) فى خ: و.

(٥) ضعيف : أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٢٣٤٥) و«الأوسط» (٣٠٥٧) و «الصغير» (٢٨٩) والحاكم (١٨٥١) والبيهقى فى «الشعب» (٤٤٨٣). انظر «ضعيف الجامع» (٢١٤٧) و«الضعيفة» (٦٣٢).

وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار:فأمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله من ماله،وفقير فخور» (١).

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه واللفظ له من حديث أبى عشابة المعافرى أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ: **«هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟قالوا :الله ورسوله أعلم،قال :فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء ،تقول الملائكة :ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ،فيقول :عبادى لا يشركون بى شيئًا تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته فى صدره لم يستطع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»** (٢).

ولما ذكر الله تعالى أصناف بنى آدم سعيدهم وشقيهم قسم [سعيدهم] (٣) إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[الواقعة: ١٠] واختلف فى [تقريرها] (٤) على ثلاثة أقوال:

[أحدها] (٥) : أنه من باب التوكيد اللفظى ويكون الخبر قوله: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١] .

والثاني : أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثانى خبر له على حد قولك: زيد زيد أى زيد الذى سمعت به هو [زيد] (٦)، وكقول الآخر:

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٩٨٤٩) وابن خزيمة (٢٢٤٩) وابن حبان (٤٦٥٦) وابن أبى شيبة (٨/ ٣٥١) والحاكم (١٤٢٩) والبيهقى فى «الكبرى» (٧٣٢٨) وفى «الشعب» (٨٦١٠). انظر: «ضعيف الجامع» (٣٧٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٢٣٩٣) والبيهقى فى «الشعب» (٤٢٥٩) و(١٠٣٨٠) وأحمد (٦٥٣٥).

(٣) فى خ: سعداءهم.

(٤) فى خ: تقديرها.

(٥) كذا في خ : وهو الصواب.

(٦) سقط من ط.

أنا أبو النجم وشعري شعري   إذ الناس ناس والزمان زمان

قال ابن عطية : وهذا قول سيبويه.

والثالث: أن يكون الأول غير الثاني ويكون المعنى السابقون فى الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان وهذا أظهر والله أعلم.

«فإن قيل» : فما تقولون فى [ق/ ٤٤] الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: **«يا بلال، بم سبقتنى إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى، ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامى، فأتيت على قصر مربع[1] مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر، قالوا: لرجل عربى، قلت: أنا عربى، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا من قريش، لمن هذا القصر؟. لرجل من أمة محمد، قلت: «أنا محمد لمن هذا القصر؟» قالوا: لعمر بن الخطاب[2]، فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين، وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله عَلَىَّ ركعتين فقال رسول الله ﷺ : «فبذلك»**[3].

قيل : نتلقاه بالقبول والتصديق ، ولا يدل على أن أحدًا يسبق رسول الله ﷺ إلى الجنة وأما تقدم بلال بين يدى رسول الله ﷺ فى الجنة فلأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولاً بالأذان فتقدم أذانه بين يدى النبى ﷺ فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم.

وقد روى فى حديث: «أن النبى ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان» فتقدمه بين يدي رسول الله ﷺ كرامة لرسوله وإظهارًا لشرفه وفضله، لا سبقًا من بلال له بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخول المسجد ونحوه

---

(١) مربع: خصيب.

(٢) صحيح : وقد تقدم.

(٣) صحيح : أخرجه الترمذى (٢٣٥٤) وأحمد (١٨٣١٦) وأبو يعلى (٦٠١٨) وابن أبى شيبة=

والله أعلم.

الباب الثامن والعشرون

في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**» (١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه.

وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدوري عن المقرى عن سعيد بن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا**»(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفًا**»(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن محمد حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «**التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غني ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: أي أخي وماذا حبسك؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك، فيقول: أي أخي إني حبست بعدك محبسًا [بفظيعا](٤) كريهًا، ما وصلت**

= (١٣٨/٨) والطبراني في «الأوسط» (٨٨٦٥). قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٣٥٥)، وأحمد (١٤٠٦٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١١١٧)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٩٢٦).

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٣٥٥) وأحمد (١٤٠٦٧) وعبد بن حميد في «مسنده» (١١١٧). وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٩٢٦).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٧٩).

(٤) سقط من ط.

إليك حتى سال منى العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه» (١).

وقال الطبراني :حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى وعلى بن عبد الله الرازى قالا :حدثنا على بن مهران العطار حدثنا عبد الملك بن أبى كريمة عن سفيان الثورى عن محمد ابن زيد عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ،وذلك خمسمائة عام**»(٢) وذكر الحديث بطوله.

والذى فى الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفًا،فإما أن يكون هو المحفوظ وإما أن يكون كلاهما محفوظًا وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين،ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب [أحوالهم](٣)، والله أعلم.

ولكن هـهنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم،بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره فى الدخول والدليل على هذا، أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم،والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فالمزية مزيتان: مزية سبق ومزية رفعة ،وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة ،ويعدمهما آخر ،ويحصل لآخر السبق دون الرفعة،ولآخر الرفعة دون السبق،وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه،وبالله التوفيق.

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٢٧٦٦)، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده مشكل عندي.

(٢) ضعيف: تقدم.

(٣) فى خ : جرائمهم.

الباب التاسع والعشرون
في ذكر / [ق٤٣] أصناف أهل الجنة
الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٦] .

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالتى العسر واليسر والشدة والرخاء، فإن من الناس من يبذل فى حال اليسر والرخاء ولا يبذل فى حال العسر والشدة ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو. ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم فى ذنوبهم وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه.

وقال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها ،وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢، ٤] فوصفهم بإقامة حقه باطنًا وظاهرًا وبأداء حق عباده.

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من صحابة النبى ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد فقال رسول الله ﷺ: «**كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**يابن الخطاب، اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**» قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وللبخارى معناه[1].

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً ينادى فى الناس: «**أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**» وفى بعض طرقه ومؤمنة، وفى الحديث قصة[2].

وفى صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني من يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم [فحرمت]**[3] **عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان وإن الله أمرنى أن أحرق قريشا فقلت: رب إذا يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما أخرجوك واغرهم [نعنك]،**[4] **وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشًا نبعث خمسة مثله قاتل بمن أطاعك من عصاك، وقال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب [لكل]**[5] **ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة:**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١١٤)

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٣) فى خ: وحرمت.

(٤) فى خ: نعينك.

(٥) فى خ: بكل.

الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبعًا لا يبغون فيكم أهلاً ولا مالا، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه،ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل ، والكذب والشنظير الفحاش ،وإن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى [أحد][1] على أحد» [2].

وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال: سمعت النبى ﷺ يقول : **«ألا أخبركم بأهل الجنة ،كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار؟كل عتل جواظ متكبر»**[3].

وقال الإمام أحمد :حدثنا علي بن إسحاق قال: أنبأنا عبد الله أنبأنا موسى بن على بن رباح قال: سمعت أبي يحدث عن عبد الله [بن][4] عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: **«إن أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع ،وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»** [5].

وذكر خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن سعيد [ق/ ٤٤] بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة :النبى فى الجنة والصديق فى الجنة، والشهيد فى الجنة ، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة، ونساؤكم من أهل الجنة الودود [الولود][6] التى إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها فى يد زوجها ثم تقول لا أذوق غمضًا حتى ترضى»**[7] أخرج

---

(١) سقط من ط.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).

(٤) سقط من ط .

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٦٥٤٤) والبيهقى فى «الشعب» (٨١٧٢) وابن أبى الدنيا فى «التواضع والخمول» (٢٢٠) والحاكم (٣٨٤٤).

(٦) سقط من ط .

(٧) حسن: أخرجه البيهقى فى «الشعب» (٨٧٣٢) (٩٠٢٨) وابن أبى الدنيا فى «الإخوان» (١٠٣) والطبرانى فى «الكبير» (١٢٤٦٧) والضياء فى « المختارة » (٤٢٥) وأبو نعيم فى=

النسائى من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقى الحديث على شرطه.

وروى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ: «**إن أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون**» (١).

وقال ابن ماجه فى سننه: حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخرم قالا: أنبأنا مسلم ابن إبراهيم حدثنا أبو هلال الراسبى حدثنا عقبة بن أبى ثبيت الراسبى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيرًا وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه شرًا من ثناء الناس وهو يسمع**» (٢).

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: مر بجنازة فأثنى [عليها](٣) خيرًا فقال نبى الله «**وجبت وجبت وجبت**»، ومر بجنازة فأثنى عليها شرًا فقال: «**وجبت وجبت وجبت**»، فقال عمر: فداك أبى وأمى، مر بجنازة فأثنى عليها خيرًا فقلت: «**وجبت وجبت وجبت**»، ومر بجنازة فأثنى عليها شرًا، فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، وأنتم شهداء الله فى الأرض**».

وفى الحديث الآخر: «**يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**» قالوا: كيف يارسول الله ﷺ؟ قال: «**بالثناء الحسن وبالثناء السيئ**» (٤).

وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

= «الحلية» (٤/ ٣٠٣).

(١) تقدم.

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٤٢٢٤) والبيهقى فى «الشعب» (٧٠١٨) والطبرانى فى «الكبير» (١٢٧٨٧).

(٣) فى خ: عليه.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (١٣٦٧) ومسلم (٩٤٩).

الباب الثلاثون

في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟فكبرنا ،ثم قال :أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟فكبرنا ،ثم قال :إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ،وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض**»[1] هذا لفظ مسلم.

وعند البخارى : «**وكشعرة سوداء فى ثور أبيض** »[2] بغير ألف.

وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ : «**أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفًا**»[3] رواه الإمام أحمد والترمذى وإسناده على شرط الصحيح ورواه الطبرانى فى معجمه من حديث عبد الله بن عباس وفى إسناده خالد ابن يزيد البجلى وقد تكلم فيه ورواه أيضًا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «**كيف أنتم وربع الجنة لكم ،ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟قالوا:الله وسوله أعلم ،قال:كيف أنتم وثلثها؟ قالوا:ذاك أكثر ،قال :كيف أنتم والشطر لكم؟قالوا :ذاك أكثر ، فقال رسول الله :أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفًا**»[4] قال الطبرانى :لم يرو هذا الحديث عن

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢١).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٦٥٢٨).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢٢٤٣١) (٢٢٤٩٣) وابن أبى الدنيا فى «حسن الظن بالله » (٧٣) والطبرانى فى «الأوسط» (٥٧٦٣) (٨٤٩٣) وابن أبى شيبة (٧/ ٤٢٧) والحاكم (٢٧٣) وابن حبان (٧٤٥٩).

(٤) صحيح: أخرجه الحاكم (٢٧٥) وأحمد (٤٣١٦) وأبو يعلى (٥٣٥٨) والبزار (١٩٩٩) =

القاسم بن عبد الرحمن ، إلا الحارث بن [خضيرة][١] تفرد به عبد الواحد بن زياد.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠] قال رسول الله ﷺ: «**أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة**» قال الطبراني: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري[٢].

وقال خيثمة بن سليمان القرشي: حدثنا أبوقلابة -هو عبد الملك بن محمد بن بكار الصيرفي- حدثنا حماد بن عيسى حدثنا سفيان الثوري عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفًا**»[٣] وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاد عليه [سدسًا] [٤] آخر.

وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير أنه سمع جابرًا يقول [ق/ ٤٥]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة، قال فكبرنا، ثم قال: فأرجو أن تكونوا الشطر**»[٥] وإسناده على شرط مسلم.

= والطبراني في «الصغير» (٨٢) و«الأوسط» (٥٤٣) و«الكبير» (١٠٣٥٠) وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٧).

(١) في خ: حصين.

(٢) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٠١) وقال: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري، وأبو عمرو اسمه محمد، وهو والد أسباط بن محمد الكوفي القرشي.

(٣) صحيح: أخرجه خيثمة في «حديثه» (ص: ٧٩).

(٤) في خ: شيئا.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٦٩٤) (١٤٣١٤) قال ابن كثير: هو على شرط مسلم. «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٩٦).

الباب الحادى والثلاثون

فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار

ثبت فى الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء؟فقال أبو هريرة :ألم يقل أبو القاسم ﷺ :«**إن أول زمرة تدخل على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضوء كوكب درى في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة عزب**»فإن كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر ،من الرجال وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكنَّ فى الدنيا أكثر(١).

والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد :حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين ،عن أبى هريرة عن النبى ﷺ :«**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**»(٢).

فإن قيل :فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه:«**شهدت مع رسول الله ﷺ صلى العيد قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال، فذكرهن وأمرهن بالصدقة ،قال :فجعلت المرأة تلقى خاتمها،وخرصها والشيء كذلك فأمر النبى ﷺ بلالاً فجمع ما هناك ،قال :إن منكن فى الجنة ليسير ،فقالت امرأة :يا رسول الله لم؟قال:«إنكن تكثرن اللعن ،وتكفرن العشير**»(٣).

وفى الحديث الآخر :«**إن أقل ساكنى الجنة النساء**»(٤).

---

(١) تقدم .

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٨٣٣٧).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٠٤) ومسلم (٨٠)

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣٨).

قيل: هذا يدل على أنهن إنما كُنَّ فى الجنة أكثر بالحور العين التى خلقن فى الجنة، وأقل ساكنيها نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار.

وأما كونهن أكثر أهل النار فلما روى البخارى فى صحيحه من حديث عمران بن حصين قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ: قال: «**اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»(١).

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»(٢).

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»(٣).

وفى المسند أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء**»(٤).

وفى الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار**» فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن**» قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: «**أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل؛ فهذا نقصان العقل، وتمكث الأيام لا تصلى وتفطر فهذا نقصان الدين**»(٥).

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٤١).
(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٢٩) ومسلم (٢٧٩٧).
(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٧٨٩١). صححه الشيخ أحمد شاكر.
(٤) ضعيف: أخرجه أحمد (٦٥٧٤).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٨٠).

وأما كونهن أقل أهل الجنة ففى أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله :أنه كانت له امرأتان فجاء من عند إحداهما فقالت الأخرى :جئت من عند فلانة فقال: جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أقل ساكني الجنة النساء»**(١).

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذى رواه أبو يعلى الموصلى ،حدثنا عمرو بن الضحاك ابن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد محدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد ابن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه فذكر حديثًا طويلاً وفيه: **«فيدخل الرجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله تعالى واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله ،بعبادتهما الله فى الدنيا»**(٢)وذكر الحديث.

قيل :هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل ابن رافع وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الداراقطنى وغيره: متروك الحديث وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر.

وأما البخاري فقال فيه ما حكاه الترمذي عنه قال: سمعت محمدًا يقول :هو ثقة مقارب الحديث.

قلت: ولكن إذا روى [ق/ ٤٦] مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته وأيضًا فالرجل الذى روى عنه القرظى لا يدرى من هو؟

وقد روى عنه أحمد فى مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: «كنا مع عمرو بن العاص فى حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة فى هودجها قال: فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال: كنا مع رسول الله ﷺ فى هذا المكان فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب [أعصم](٣) أحمر المنقار والرجلين ، فقال رسول الله

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣٨).

(٢) ضعيف: أخرجه إسحاق بن راهويه فى «مسنده» (١٠).

(٣) فى (خ): عظيم.

ﷺ: «**لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل الغراب فى هذه الغربان**» [(١)] والأعصم من الغربان الذى فى جناحه ريشة بيضاء قال الجوهرى: ويقال هذا كقولهم: الأبلق العقوق وبيض الأنوق، لكل شيء يعز وجوده.

وفي النهاية: الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين وقيل: الأبيض الرجلين أراد قلة من يدخل الجنة من النساء، لأن هذا الوصف فى الغربان قليل عزيز.

وفى حديث آخر: «**المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم**»، قيل: وما الغراب الأعصم يا رسول الله؟ قال: «**الذى إحدى رجليه بيضاء**» [(٢)].

وفى حديث آخر: «**عائشة فى النساء كالغراب الأعصم فى الغربان**»[(٣)].

الباب الثاني والثلاثون

فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**»، فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعله منهم**» ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[(٤)].

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلن**

---

(١) صحيح: أخرجه النسائى فى «الكبرى» (٩٢٦٨) وأحمد (١٧٣٧١) والحاكم (٨٧٨٢) والبيهقى فى «الشعب» (٧٨١٨) وعبد بن حميد (٢٩٤).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبرانى وفيه مطرح بن يزيد وهو مجمع على ضعفه، «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٣) وضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع»(٥٢٤٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٤٧) ومسلم (٢١٦).

الجنة من أمتى سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» (١) فهذه هى الزمرة الأولى وهم يدخلونها بغيرحساب.

والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين والسياق لمسلم، حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: «أيكم [الذى] (٢) رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟قلت: أنا ،ثم قلت: أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت، قال: فما صنعت؟قلت: استرقيت ،قال: فما حملك على ذلك؟قلت: حديث حدثناه الشعبى ،قال: وما حدثكم الشعبى ؟قلت: حدثنا عن بريدة ابن الحصيب الأسلمى أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ،ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى ﷺ قال: **«عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط ،والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه أحد،إذ رفع [إلى]** (٣) **سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»** ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ،وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: **«ما الذى تخوضون فيه؟»** فأخبروه فقال: **«هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»** فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم ،فقال: **«أنت منهم»**ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم ،فقال: **«سبقك بها عكاشة»** (٤)وليس عند البخارى لا يرقون.

قال شيخنا : وهو الصواب وهذه اللفظة وقعت مقحمة فى الحديث وهى غلط

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠).
(٢)سقط من خ.
(٣)فى خ : لي.
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٠).

من بعض الرواة فإن النبى ﷺ جعل الوصف الذى استحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيره أن يرقيهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، والطيرة نوع من الشرك ،ويتوكلون على الله وحده لا على غيره وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله، كما فى الحديث «**الطيرة شرك**» [(١)].

قال ابن مسعود: وما منا إلا تطير ،ولكن الله يذهبه بالتوكل فالتوكل ينافي التطير وأما رقية [الغير][(٢)] ،فهى إحسان من الراقى وقد رقى رسول الله ﷺ جبريل وأذن فى الرقى وقال: «**لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك**»**واستأذنوه فيها فقال**:«**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**» [(٣)] وهذا يدل على أنها نفع وإحسان [ق/ ٤٧] وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله فالراقى محسن والمسترقى سائل راج نفع الغير والتوكل ينافى ذلك.

فإن قيل :فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ ،وجبريل قد رقاه ،قيل :أجل، ولكن هو لم يسترق وهو ﷺ لم يقل: ولا يرقيهم راق وإنما قال: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم وفى امتناعه ﷺ أن يدعو للرجل الثانى سد لباب [الطلب][(٤)] فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله، والله أعلم.

وفى صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ :«**يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب ،قيل ومن هم؟ قال:هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم**

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩١٠) والترمذى (١٦١٤) وابن ماجة (٣٥٣٨) وأحمد (٤١٨٣) وابن حبان (٦١٢٢) وفى «الموارد» (١٤٢٧) والحاكم (٤٣) وأبو يعلى (٥٢١٩) وابن أبى شيبة (٦/ ٢٢٤) والبيهقى فى « الكبرى» (١٦٩٨٥) وفى «الشعب» (١١٦٧) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٩٣٤) وابن أبى الدنيا فى « التوكل » (٤٢) والشاشى (٦٥٤).
(٢) كذا في خ.
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٩٩).
(٤) كذا في خ .

يتوكلون»[1] .

وفي صحيحه أيضًا من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يذكر حديثًا طويلاً وفيه: «**فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوء نجم في السماء**»[2] ثم كذلك وذكر تمام الحديث.

وقال أحمد بن منيع في مسنده: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت على الأمم بالموسم فتراءيت على أمتي، ثم رأيتهم، فأعجبني كثرتهم. وهيئتهم قد ملئوا السهل والجبل فقيل أرضيت يا محمد؟ فقلت، فقال: إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**» فقام عكاشة ابن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أنت منهم**» فقام رجل آخر، فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[3] وإسناده على شرط مسلم.

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب مع كل ألف سبعون ألفًا لا حساب**

(١) تقدم.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩١).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤٣٢٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٣٦) وابن حبان (٦٠٨٤) والحاكم (٨٢٧٨) وأبو يعلى (٥٣٤٠).

عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربى»(١).

قلت: وإسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه، فأما تدليسه فقد قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن إسحاق التسترى قالا: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش قال: أخبرنى محمد بن زياد الألهانى قال: سمعت أبا أمامة فذكره، فأما ضعفه فإنما هو فى غير حديث الشاميين وهذا من روايته عن الشاميين، وأيضًا فقد جاء من غير طريقه.

قال أبو بكر بن أبى عاصم: حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان ابن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى اليمان الهوزنى عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بغير حساب»** قال يزيد ابن الأخنس: والله ما أولئك فى أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب [الأصفر](٢) فى الذباب قال رسول الله ﷺ: **«فإن الله وعدنى سبعين ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا وزادنى ثلاث حثيات»** (٣).

قال أبو عبد الله المقدسى: أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضى شيخ البخارى ومن فوقه إلى أبى أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزنى، وما علمت فيه جرحًا.

قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد ابن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنى عامر بن زيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثى ربى تبارك**

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٤٣٧) وابن ماجة (٤٢٨٦) وأحمد (٢١٨٠٠) وابن أبى شيبة (٧/٤٢٧) والطبرانى فى «الكبير» (٧٥٢٠).

(٢) فى خ: الأصهب.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢١٦٥٢) وابن حبان (٦٤٥٧) والطبرانى فى «الكبير» (٧٦٧٢) وفى «مسند الشاميين» (٩٥٤) وابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثاني» (١٨٤٧) وفى «السنة» (٥٨٨) وأبو موسى المدينى فى «خصائص مسند أحمد» (ص: ٢٠).

وتعالى بكفيه ثلاث حثيات» فكبر عمر، وقال: إن السبعين الأولى يشفعهم الله فى آبائهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلنى الله فى إحدى الحثيات الأواخر [١]. قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد: لا أعلم لهذا الإسناد علة.

قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنى عبد الله بن عامر بن قيس الكندى أن أبا سعيد الأنمارى حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفًا ثم يحثى ربى ثلاث حثيات بكفيه»** قال ابن قيس: فقلت لأبى سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم بأذنى ووعاه قلبى، قال أبو سعيد: فقال رسول الله ﷺ: «**وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجرى أمتى، ويوفى الله عز وجل بقيته من أعرابنا»** [٢] قال الطبرانى: لم يرو هذا الحديث [ق/ ٤٨] عن أبى الأنمارى إلا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية بن سلام وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبى توبة الربيع بن نافع بإسناده، وفيه قال أبو سعيد: «فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف فقال رسول الله ﷺ: «**إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجرى أمتى»**[٣].

قال الطبرانى: حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسى ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهانى قالا: أخبرنا أبو حفص عمرو بن على حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أبى بكر بن أنس عن أبى بكر بن عمير عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «**إن الله وعدنى أن يدخل من أمتى ثلاثمائة ألف الجنة» فقال عمير: يا رسول الله زدنا فقال: هكذا بيده، فقال عمير يا رسول الله، زدنا، فقال عمر: حسبك يا عمير، فقال: ما لنا ولك يابن الخطاب وما عليك أن يدخلنا الله الجنة، قال عمر: إن الله عز**

---

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٤٠٤) وفى «الكبير» (١٧/ ١٢٦) حديث (٣١٢).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٤٠٦) وفى «الكبير» (٢٢/ ٣٠٤) حديث (٤٧٧١).

(٣) ضعيف: تقدم.

وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة،فقال نبى الله ﷺ : «صدق عمر»(١) قال محمد بن عبد الواحد لا أعرف لعمير حديثًا غيره.

وفي الحلية من حديث سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«وعدنى [ربي]**(٢) **عز وجل أن يدخل من أمتى الجنة مائة ألف» فقال أبو بكر يا رسول الله زدنا، قال :وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال يا رسول الله زدنا، فقال عمر: إن الله قادر أن يدخل الناس بحفنة واحدة،فقال رسول الله ﷺ «صدق عمر»**(٣) رواه عنه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدي وفيه ضعف تفرد به أبو هلال الراسبي بصرى واسمه محمد بن سليمان .

وقال عبد الرزاق :أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف» قال أبو بكر: زدنا، يا رسول الله ،قال :وهكذا ،وجمع بين يديه،قال : زدنا يا رسول الله، قال :وهكذا ،فقال عمر: حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر دعنى وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا!! فقال عمر :إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحد ،فقال النبي ﷺ : «صدق عمر»**(٤) تفرد به عبد الرزاق.

وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده :حدثنا محمد بن أبى بكر عبد القاهر بن السرى السلمى حدثنا حميد عن أنس عن النبى ﷺ قال:**«يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا»** قالوا:زدنا يا رسول الله ،فقال :وهكذا وحثا بيده ،قالوا :يا نبى الله

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٦٤) حديث (١٢٣) انظر كلام الحافظ ابن حجر عليه فى «الإصابة» (٤/ ٧٢٩).

(٢) سقط من : (ط).

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (١٢٢٨٤) وعبد الرزاق (٢٠٥٥٦) والطبرانى فى «الأوسط» (٣٤٠٠) والصغير (٣٤٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٣٣٤).

(٤) ضعيف: أخرجه الضياء فى «المختارة» (٢٧٠٣) والطبرانى فى «الصغير» (٣٤٢) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٥٩٠) والمزى فى «تهذيب الكمال» (١/ ٤٣١) وعبد الرزاق (٢٠٥٥٦) وأحمد (١٢٢٨٤).

أبعد الله من دخل النار بعد هذا» (١) قال محمد بن عبد الواحد: لا أعلمه روى عن أنس [إلا] (٢) بهذا الطريق وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال: صالح، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا فى قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين.

فإن قيل: فكيف كانوا قبضة واحدة، ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور؟ «قيل» الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم [القيامة](٣) القبضتين صورهم وأشباحهم، وقد روى أنهم كانوا كالذر وأما يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقة وأكمل أجسامًا، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين، والله أعلم.

الباب الرابع والثلاثون
في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا: أنبأنا زهير، حدثنا سعيد الطائى حدثنا أبو مدله مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: «**قلنا يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد قال: «لو تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم فى بيوتكم، ولولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر الله لهم، قال: قلنا يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب، ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، ومن يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح**

(١) ضعيف: أخرجه أبو يعلى (٣٧٨٣).
(٢) سقط من ط.
(٣) سقط من ط.

لها أبواب السموات ويقول الرب:وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين» [١].

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة ،فقال :«**من يدخل الجنة يحيا لا يموت، وينعم لا يبأس ،لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**» قيل يا رسول الله كيف بناؤها ؟قال :«**لبنة من ذهب ولبنة من فضة .ملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ،وترابها الزعفران**» [٢] هكذا جاء فى هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران.

وكذلك روى عن يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ :«**الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وترابها الزعفران، وطينها [ق/ ٤٩] المسك**» [٣] .

وفى الصحيحين من حديث الزهري عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**»[٤] وهو قطعة من حديث المعراج.

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال: «**درمكة بيضاء مسك خالص ،فقال رسول الله ﷺ :صدق**» [٥] ثم رواه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن الجريرى عن أبى نضرة أن ابن صياد سأل النبى ﷺعن تربة الجنة فقال: «**درمكة بيضاء مسك خالص**» .

وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال :جاء

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٥٢٦) وأحمد (٧٩٨٣) وابن حبان (٧٣٨٧) والبيهقى فى «الشعب» (٧١٠١).

(٢) حسن: أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ٦٧).

(٣) حسن: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٢٥٥٣) وأحمد (٨٥٢٩) وعبد الرزاق (٢٠٨٧٥).

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٣٤٩) ومسلم (١٦٣).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٢٨).

رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : **«يا محمد قد غلب أصحابك اليوم قال :وبأى شيء غلبوا؟»قال :سألهم اليهود كم عدد خزنة النار؟فقالوا:لا ندرى ،حتى نسأل نبينا ،فقال رسول الله ﷺ :«أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا؟!! ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم، أن يريهم الله جهرة ،عليَّ بأعداء الله، فإنى سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة»فلما أن جاؤوه قالوا:يا أبا القاسم، كم عدة خزنة أهل النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما هكذا وهكذا وقبض واحدة أى تسعة عشر ،فقال لهم رسول الله ﷺ :ما تربة الجنة ؟فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا : خبزة يا أبا القاسم ، فقال النبى ﷺ :«الخبزة من الدرمكة»** (١) .

فهذه ثلاث صفات فى تربتها لا تعارض بينها ،فذهبت طائفةمن السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين :المسك والزعفران ،قال أبو بكر بن أبى شيبة :حدثنا محمد ابن أبى عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال:قال مغيث بن سمى : «الجنة ترابها المسك والزعفران» ويحتمل معنيين آخرين.

أحدهما: أن يكون التراب من زعفران ،فإذا عجن بالماء صار مسكًا، والطين يسمى ترابًا ويدل على هذا قوله فى اللفظ الآخر: ملاطها المسك (٢) والملاط الطين ويدل عليه أن فى حديث العلاء بن زياد :«ترابها الزعفران وطينها المسك» فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيبا فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكًا.

المعنى الثانى : أن يكون زعفرانًا باعتبار اللون ومسكًا باعتبار الرائحة ،وهذا من أحسن شيء يكون ،البهجة والإشراق [في](٣) لون الزعفران والرائحة [في](٤) رائحة المسك، وكذلك [تشبهها](٥) بالدرمك وهو الخبز الصافى الذى يضرب لونه إلى صفرة

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذى (٣٣٢٧) وأحمد (١٤٤٦٩).

(٢) تقدم.

(٣) سقط من ط .

(٤) سقط من ط .

(٥) فى خ: تشبيههما.

مع لينها ونعومتها وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بهذا، أرض الجنة من فضة وترابها المسك فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك.

وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى سبرة عن عمر بن عطاء بن وراز عن سالم أبى الغيث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل ،فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنًا وطيبًا فتقول:لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد إعجابًا»** (١) .

وقال ابن أبي شيبة :حدثنا معاوية بن هشام حدثنا علي بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال: قيل يا رسول الله كيف بناء الجنة؟قال: **«لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وملاطها أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران»**.

وقال أبو الشيخ حدثنا الوليد بن أبان ،حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضى ، حدثنا عدى بن الفضل حدثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله بنى جنات عدن وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وجعل ملاطها المسك الأذفر ، وترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ ،ثم قال لها تكلمى، فقالت:قد أفلح المؤمنون ،فقالت الملائكة :طوبى لك منزل الملوك»**(٢) .

وقال أبو الشيخ :حدثنا عمرو بن الحسين حدثنا أبو علاثة حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى بن كعب قال :قال رسول الله ﷺ :**«قلت ليلة أسرى بى يا جبريل، إنهم سيسألونى عن الجنة ؟قال:أخبرهم أنها من درة بيضاء وأن**

---

(١) ضعيف جدا: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٢٨) فيه من اتهم بالوضع.

(٢) تقدم.

أرضهـا عقـيان» والعقـيان :الذهب ،فإن كـان ابن علاثة حفـظه فهى أرض الجنتين الذهبيتين، فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما، والله أعلم.

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر نورها وبياضها [ق/ ٥٠]

قال أحـمد بن منصور الرمـادي :أنبأنا كثـير بن هشام حـدثنا هشام بن زياد أبو المقدام عن حبيب بن الشهيد عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**خلق الله الجنة بيضاء .وأحب الزى إلى الله البياض ،فيلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ،ثم أمر برعاء الشاء فجـمعت ،فقال من كان [منكم]** [١] **ذا غنم سود فليخلط بهـا بيضـاء»فجـاءته امرأة فـقالت:«يا رسـول الله إني اتخـذت غنمًا سـودًا فلا أراها تنمو؟قال: عفري»** [٢] وقوله «عفري» أى بيضي.

وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عبـاد حدثنا هشام بن زياد عن يحيي بن عبد الرحمن عن عطـاء عن ابن عباس يرفـعه: «**إن الله خلق الجنة بيـضاء وإن أحب اللون إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم ،وكفنوا فيه موتاكم**» [٣] .

وذكر من طريق عبد الحـميد بن صالح ،حدثنا أبو شهاب عن حـمزة عن عمرو ابن دينار عن ابن عباس قـال : قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالبيـاض ،فإن الله خلق الجنة بيضاء، فليلبسه أحياؤكم،وكفنوا فيه موتاكم**» [٤] .

وروينا من طريق البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفى عن خاله الزميل بن السـماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقى عبد الله بن

---

(١) سقط من خ .

(٢) ضعـيف جدا: أخرجـه ابن عدى فى «الكامل» (٧/ ١٠٦) وأبو سـعد السمـعانى فى «أدب الإملاء والاستعلاء» (ص: ٣٠) وفيه هشام بن أبى هشام أبى المقدام، قال النسائي: متروك.

(٣) ضعيف جدا:رواه الآجرى فى «الشريعة» (٩٢٨).

(٤) ضعيف جدا: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١١٢٠١) وابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٣٧٧).

عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال: «**يابن عباس ما أرض الجنة ؟قال:مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة،قلت :فما نورها؟قال:ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير**» وذكر الحديث وسيأتى إن شاء الله تعالى.

وفى حديث لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه عن النبى ﷺ وذكر الحديث وقال: «**وتحتبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحدًا ، قال :قلت :يا رسول الله ،فبم نبصر؟قال:«بمثل بصرك فى ساعتك هذه ذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال**» (١) .

وفى سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ : «**ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها،هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ،ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة ،وحلل كثيرة ،ومقام فى أبد فى دار سليمة ،وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية،قالوا:نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها،قال :قولوا :إن شاء الله قال القوم :إن شاء الله**» (٢) .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها

قال الله تعالى :﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر : ٢٠] فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل،

---

(١) ضعيف: تقدم.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن ماجة (٤٣٣٢) وابن حبان (٧٣٨١) والضياء فى «المختارة» (١٣٤٣) والبزار (٥٢٩١) والطبرانى فى «الكبير» (٣٨٨) وفى «مسند الشاميين» (١٤٢١)وخيثمة فى «حديثه» (ص: ٢٠٥).

وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالى بعضها فوق بعض حتى كأنها تنظر إليها عيانًا ،ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية أى لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها وقال تعالى :﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[الفرقان: ٧٥].

والغرفة جنس كالجنة وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأفعال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله الغرفة والتحية والسلام، فى مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالى :﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقال ـ تعالى :﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ [الصف: ١٢].

وقال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت:﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾[التحريم: ١١].

وروى الترمذي فى جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن فى الجنة لغرفًا يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها»فقام أعرابى فقال يا رسول الله :لمن هى؟قال: «لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام ،وأدام الصيام ،وصلى بالليل والناس نيام**»[١] .

قال الترمذي :هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق.

وقال الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام قال: حدثنى أبو سلام حدثنى أبو معانق الأشعرى حدثنى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة غرفًا**

---

(١) حسن: أخرجه الترمذى (٢٥٢٧) وأحمد (١٣٤٠) وأبو يعلى (٤٢٨) (٤٣٨) والبزار (٧٠٢) وابن أبى شيبة (٨/ ٦٩).

يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» (١) .

وقال ابن وهب : حدثنا حيى عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ [ق/ ٥١] قال: «**إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها**»، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟قال :«**لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائمًا والناس نيام**»(٢).

قال محمد بن عبد الواحد وهو عندى إسناد حسن، وذكر أبى مالك فيه يدل على صحته؛ لأن أبا مالك قد رواه وإسناده أيضًا حسن ،وقد تقدم حديث أبى سعيد المتفق علي صحته :«**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف [فوقهم]** (٣) **كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق**» (٤) .

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: «**إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ،للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضًا**» (٥) وقد تقدم قوله ﷺ : فى الحديث الصحيح «**من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا فى الجنة** (٦)» وقوله فى حديث أبى موسى: «**يقول الله عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده:ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسموه بيت الحمد**» (٧).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة «**أن**

---

(١) حسن: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٣٤٦٧) وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (٣٠٣) وعبد الرزاق (٢٠٨٨٣).

(٢) تقدم.

(٣) سقط من ط.

(٤) تقدم.

(٥) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٤٣) ومسلم (٢٨٣٨).

(٦) تقدم.

(٧) تقدم.

جبريل قال للنبى ﷺ :هذه خديجة أقرئها السلام من ربها،وأمره أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» [١] والقصب هنهنا : قصب اللؤلؤ المجوف، وقد روى ابن أبى الدنيا من حديث يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«إن فى الجنة لقصراً من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن أعده الله -عز وجل- لخليله إبراهيم»** [٢] .

وفى الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبى ﷺ قال: **«دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت:لمن هذا القصر ؟قالوا:لشاب من قريش فظننت أنى هو،فقلت :ومن هو؟قالوا:لعمر بن الخطاب»** [٣] وهو فيهما من حديث جابر ولفظه: **«فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب»** وقد تقدم.

وقال ابن أبى الدنيا :حدثنا شجاع بن الأشرس قال: سمعت عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: **«دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض،قال :قلت:لجبريل لمن هذا القصر؟قال:لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا ،فقلت :لأى قريش؟قال لعمر بن الخطاب»** [٤] وهذا إن كان محفوظًا فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه والله أعلم.

وقال الحسن :«قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته».

وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمى قال: **«إن فى الجنة قصوراً من ذهب وقصوراً من فضة وقصوراً من لؤلؤ وقصوراً من ياقوت وقصوراً من زبرجد»**، وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها»** [٥].

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٧٩٢) ومسلم (٢٤٣٢).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (١٧٤) والبزار (٢٣٤٦).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٤٢) ومسلم (٢٣٩٥).

(٤) صحيح: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (١٧٥).

(٥) أخرجه هناد فى الزهد (١٢٦) عن عبد الله بن عمير مرسلا.

وروى البيهقى من حديث حفص بن عمر حدثنا عمرو بن قيس الملائى عن عطاء ابن أبى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : **«إن فى الجنة لغرفًا فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها،وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها،قيل :لمن هى يا رسول الله؟قال : «لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام»قيل :وما طيب الكلام؟قال :سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر،فإنها تأتى يوم القيامة ولها مقدمات ومنجيات ومعقبات ،قيل :وما وصال الصيام؟قال:من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه،قيل :وما إطعام الطعام؟قال:من قات عياله وأطعمهم ،قيل :وما إفشاء السلام؟قال: مصافحة أخيك وتحيته ،قيل :وما الصلاة والناس نيام ؟قال:صلاة العشاء الآخرة»** (١) . قال حفص بن عمر هذا مجهول لم يروه عنه غير على بن حرب فيما أعلم.

قلت: هذا يلقب بالكَفْر ـ بفتح الكاف وسكون الفاء ـ وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام وعلى بن حرب وهما ثقتان ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد، والله أعلم.

وفى فوائد ابن السماك :حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا أبى ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال: سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال :قال النبى ﷺ: **«ألا أحدثكم بغرف الجنة ؟قال :قلنا :بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا،قال :إن فى الجنة غرفًا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها،فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ،قال :قلنا :يا رسول الله لمن هذه الغرف ؟قال :لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام ، قال :قلنا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟قال :أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك :من لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه**

= ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٣٣٠٤) والضعيفة (٢٩٧٦).

(١) ضعيف: أخرجه ابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٣٨٧) وابن حبان فى «المجروحين» (١/ ٢٦٠).

فقد أفشى السلام ،ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى صلاة العشاء الآخرة فى جماعة فقد صلى الليل والناس نيام ،اليهود والنصارى والمجوس» (١) وهذا الإسناد وإن كان لا يحتج به وحده فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روى بإسنادين آخرين.

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤-٦].

قال مجاهد : «يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدًا».

وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح :«هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم»،وقال محمد بن كعب :«يعرفونها كما تعرفون بيوتكم فى الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة» ،وهذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرَّفها لهم أى بيَّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

وقال مقاتل بن حيان:«بلغنا أن الملك الموكل بحفظ عمل بنى آدم يمشى فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله في الجنة فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه» وقال سلمة بن كهيل: طرقها لهم ومعنى

(١) هذا إسناد فيه نظر.

هذا أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها.

وقال الحسن : وصف الله الجنة فى الدنيا لهم فإذا دخلوها عـرفوها بصفتها وعلى هذا القول فالتعريف وقع فى الدنيا، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم وعلى القول الأول يكون التعريف واقعًا فى الآخرة ،هذا كـله إذا قيل إنه من التعريف وفيها قول آخر : إنه من العرف وهو الرائحة الطيبة وهذا اختيار الزجَّاج أى طيبها ومنه طعام معرف أى مطيب.

وقيل هو من الـعرف ،وهو التتـابع أى تابع لهم طيبـاتها ومـلاذها ،والقول هو الأول وأنه-سبـحانه- أعلمها وبيَّنهـا بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتـعداه إلى غيره.

وفى صحـيح البخارى من حديث قـتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سـعيد الخدري أن نبى الله ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقـاصون مظالم كانت بينهـم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقـوا أذن لهم بدخول الجنة ،والذى نفسى بيـده إن أحدهم بمنزله فى الجنة [أهدى]**[1] **منه بمسكنه الذى كان فى الدنيا**».

وفى مـسند إسحـاق من حديث أبى هريرة قـال: قال رسـول الله ﷺ : «**والذى بعثنى بالحق مـا أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومسـاكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة**»[2] .

الباب الثامن والثلاثون

فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها

قد تقدم قوله تعالى :﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

---

(١) فى خ : أذل.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٢٤٤٠).

وقال - تعالى-: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلي، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي حدثنا إسماعيل بن عبد الله المكي حدثنا أبو عبد الله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحارث، عن علي أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

قال: قلت: يا رسول الله ﷺ ما الوفد إلا ركب؟ قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوت حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدًا، فيضربون الحلقة بالصفيحة فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب فلولا أن الله -عز وجل- عرفه نفسه لخر له ساجدًا مما يرى من النور والبهاء، فيقول: أنا قيمك الذي وكلت بأمرك، فيتبعه فيقفو أثره فيأتي زوجته، فتستخفها العجلة، فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول: أنت حبي وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبدًا، وأنا الناعمة فلا أبأس أبدًا والخالدة فلا أظعن أبدًا، فيدخل بيتًا من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق [ق/ ٥٣] صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشًا عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضي جماعهن في مقدار ليلة، تجري من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض، فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أي الألوان

شاؤوا ثم تطير فتذهب ، فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انشعب الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاءوا إن شاء قائمًا وإن شاء متكئًا ، وذلك قوله عز وجل ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[الرحمن: ٥٤] وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ» (١) هذا حديث غريب [وفي إسناده ضعف] (٢) وفي رفعه نظر والمعروف أنه موقوف على علي.

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد في هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[مريم: ٨٥].

قال : «**أما والله [لا] (٣) يحشر الوفد على أرجلهم ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة**».

وقال علي بن الجعد في الجعديات : أنبأنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق ، عن عاصم ابن ضمرة عن علي قال: «**يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذىً وقذي وبأس ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير أبشارهم ولا تغير بعدها أبدًا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**».

قال : ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته ، فيقولون : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة كذا قال: ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته : وهو ذا بأثري فيستخف إحداهن

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٧) والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٨٦).

(٢) سقط من ط.

(٣) في خ: ما.

الفرح حتى تقوم على أسكفه بابها فإذا انتهى إلى منزله نظرإلى أساس بنائه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفـر وأحمر ومن كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق فلولا أن الله قـدره له لألم أن يذهب ببصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب موضـوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثـوثه فنظر إلى تلك النعمة ،ثم اتكئوا وقالوا: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ،ثم ينادى مناد :تحيون فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصحون فلا تمرضون أبدًا».

وقال عبد الله بن المبارك :أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: «**ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صـور صـورة أهل الجنة ، وألبس لباسـهم وحلى حليـهم [ورأى]**[1] **أزواجـه وخدمـه ويأخذه سـوار الفرح، لـو كان ينبـغى أن يموت لمات من سوار فرحه ، فيقال له أرأيت سوار فرحتك هذه ، فإنها قائمة لك أبدًا**».

قال ابن المبارك: وأخبـرنا رشدين بن سعد :أنبأنا زهرة بن معـبد القرشى عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «**إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ**».

قال ابن المبارك وأنبأنـا يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زحـر عن محمد بن أبى أيوب المخزومى عن أبى عبد الرحـمن المعافرى قال: «**إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه**».

وقال أبو نعيم: أنبـأنا سلمة عن الضحاك قـال: إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك، فأخذ به فى سككها ،فيقول له: انظر مـا ترى ؟قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضـة وأكثـر أنيس فيـقول له الملك: فإن هـذا أجمع لك حتى إذا رفـع إليهم استـقبلوه من كل باب ومن كل مكان ،يقولون نحن لـك ثم يقول امش، فيقـول ماذا ترى ؟ فيقـول :أرى أكثر عسـاكر رأيتها من خيـام وأكثر أنيسى قـال: فإن هذا أجمع لك، قال فإذا رفع إليهم استقبلوه يقولون :نحن لك نحن لك».

وفى الصحيـحين من حديث سهل بن سعـد أن رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلن**

---

(١) فى خ : وأرى.

الجنة من أمتى سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف [ق/ ٥٤] **متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ،وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»**(١).

الباب التاسع والثلاثون
فى ذكر صفة أهل الجنة فى خَلقهم وخُلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد :حدثنا عبد الرزاق قال:حدثنا معمر [عن همام](٢) عن أبى هريرة -رضى الله عنه-قال: قال رسول الله ﷺ :**«خلق الله -عزوجل- آدم على صورته طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر ،وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك،قال :فذهب فقال:السلام عليكم ،فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله ،قال :فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعًا، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن»**(٣) متفق على صحته.

وقال الإمام أحمد :حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا:حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : **«يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعًا فى عرض سبعة أذرع»**(٤) قيل تفرد به حماد عن على بن زيد.

وفى جامع الترمذى من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن

---

(١) تقدم.

(٢) سقط من (ط).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١).

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٧٨٧٤) وابن أبى شيبة (٨/ ٧٥) والطبرانى فى «الأوسط» (٥٤٢٢) و«الصغير» (٨٠٩).

معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة جردًا مردًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين»** (١) قال: هذا حديث حسن غريب.

وقال أبو بكر بن أبى داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال: حدثنا: عمر عن الأوزاعى عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين جردًا ومردًا مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها لاتبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»** (٢).

وقال الترمذي: حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجًا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار»** (٣) فإن كان هذا محفوظًا لم يناقض ما قبله فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه، وهذا معروف فى كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا القاسم بن هشام حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد ابن الجراح العسقلانى، حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون»** (٤).

---

(١) حسن: أخرجه الترمذى (٢٥٤٥) والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ٦٤) حديث (١١٨).

(٢) حسن: أخرجه ابن أبى داود فى «البعث» (٦٥) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (٢٥٥).

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذى (٢٥٦٢) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين. قلت: رشدين هو ابن سعد، وهو ضعيف.

(٤) حسن: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٤٢٠).

وقال ابن وهب: حدثنا معاوية بن صالح ،عن عبد الوهاب بن بخت عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعًا وعلى ذلك قطعت سررهم** »(١).

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ،وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب فى السماء إضاءة وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[الحجر: ٤٧].

فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم،وفى الصحيحين: «**أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعًا فى السماء**»(٢) والرواية على خلق [بفتح الخاء وسكون اللام] والأخلاق كما تكون جمعًا للخلق [بالضم] فهي جمع للخلق- بالفتح - والمراد تساويهم فى الطول والعرض والسن، وإن تفاوتوا فى الحسن والجمال ولهذا فسره بقوله: على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعًا فى السماء ،وأما أخلاقهم وقلوبهم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة: «**أول زمرة تلج الجنة**»(٣) الحديث.

وقد تقدم ،وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباغض ،قلوبهم علي قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية، وكذلك وصف الله-سبحانه وتعالى- نساءهم بأنهن أتراب أى: فى سن واحدة ليس فيهن العجائز والشواب ،وفى هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمل فى استيفاء اللذات لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة ،وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها بحيث يصل فى اليوم إلى مائة عذراء، كما سيأتى إن شاء الله تعالى ،ولا يخفى التناسب الذى بين هذا الطول والعرض فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال [ق/ ٥٥] وتناسب الخلقة ويصير طولاً مع دقة، أو غلظًا مع قصر كلاهما غير مناسب، والله أعلم .

---

(١) حسن: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٢٤٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٣٢٧) ومسلم (٢٨٣٤).

(٣) تقدم.

الباب الأربعون

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم وأعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾[البقرة: ٢٥٣].

قال مجاهد وغيره : منهم من كلم الله موسى، ورفع بعضهم درجات، هو محمد ﷺ، وفي حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن يرفع على أحد»[(١)] ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ: «أن موسى سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: أدخل الجنة. فيقول: رب كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم. فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال: في الخامسة: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١٧) ومسلم (١٦٤).

(٢) تقدم.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٩).

وقال الترمذي[1] : حدثنا عبد بن حميد أنبأنا شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ : «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزوجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية**» ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

قال: وقد روى هذا الحديث من غير وجه، عن إسرائيل عن ثوير، عن ابن عمر غير مرفوع قال: ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثور عن ابن عمر موقوفًا ورواه عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه.

قلت: ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية: عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه**»[2] الحديث.

ورواه أبو نعيم عن إسرائيل عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال إسرائيل: لا أعلم ثويرًا إلا رفعه إلى النبي ﷺ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن -هو ابن موسى- حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة له سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له ثلاثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة ولا أعلمه قال: إلا من ذهب في كل صحفة لون ليس في الآخر، وأنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وعن الأشربة بثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وأنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وأن الواحدة منهن**

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٥٥٣) انظر «الضعيفة» (١٩٨٥).

(٢) ضعيف: أخرجه الحاكم (٣٨٨٠) وأحمد (٤٦٠٩) وأبو يعلى (٥٧٢٩) وابن أبي شيبة (٨/ ٧٤).

لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض»[١].

قلت: سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائى وشهر بن حوشب ضعفه مشهور والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة ،فإن طول ستين ذراعًا لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض،والذى فى الصحيحين فى أول زمرة تلج الجنة لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين،فكيف يكون لأدناهم اثنتان وسبعون من الحور العين ،وأقل ساكنى الجنة نساء الدنيا فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن وأيضًا فإن الجنتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين؟فكيف يكون أدناهم فى الذهبيتين؟

قال الدولابى :شهر بن حوشب لا يـ به حديثه حديث الناس وقال ابن عون :إن شهرًا تركوه وقال النسائى وابن عدي :ليس بالقوى ،وقال أبو حاتم :لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعيد ،وهذان من أعلم الناس بالحديث ورواته وعلله وإن كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه ،فلا ريب أنه إذا انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل،والله أعلم.

الباب الحادى والأربعون

فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها [ق/ ٥٦]

روى مسلم فى صحيحه :من حديث ثوبان قال:«**كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال:السلام عليك يا محمد ،فدفعته دفعة كاد يصرع منها.فقال :لم تدفعنى ؟فقال :ألا تقول يا رسول الله ؟،فقال اليهودى :إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله،فقال رسول الله ﷺ :«إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى» فقال اليهودى :جئت أسألك ،فقال له رسول الله ﷺ :«أينفعك بشىء إن حدثتك؟» فقال :أسمع بأذنى فنكت رسول الله ﷺ بعود معه؛ فقال :«سل؟» فقال اليهودى :أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟فقال رسول**

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (١٠٥٤٩).

الله ﷺ :«في الظلمة دون الجسر ،قال :فمن أول الناس إجازة» يوم القيامة؟ قال : «فقراء المهاجرين»قال اليهودى :فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟قال :«زيادة كبد النون» ،قال : فما غذاؤهم على أثرها؟قال :«ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها»،قال:فما شرابهم ؟قال:«من عين فيها تسمى سلسبيلاً»قال :صدقت ؛قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان ، قال :أينفعك إن حدثتك؟قال :أسمع بأذنى ،قال :جئت أسألك عن الولد؟قال :«ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر،فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله تعالى ،وإن علا منى المرأة منى الرجل آنثا بإذن الله تعالى»،قال اليهودى: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فقال رسول الله ﷺ :«لقد سألني هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشيء منه حتى أتانى الله عز وجل به»[(١)] .

وفى صحيح البخارى عن أنس قال:«سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، وهو فى أرض يخترف، فأتى النبى ﷺ فقال: «إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى :فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال:«أخبرنى بهن جبريل آنفًا» قال:جبريل؟ قال :«نعم»،قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] .

«أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ،وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت»،قال :أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ،يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت ،وإنهم إن يعلموا لإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى، فجاءت اليهود فقال:«أى رجل عبد الله فيكم؟»قالوا:خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال:«أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟» فقالوا : أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال:أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا:شرنا ،

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣١٥).

وابن شرنا، وانتقصوه فقال:هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله»(١).

وفى الصحيحين من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدرى قال: قال النبى ﷺ : «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلاً لأهل الجنة»فأتى رجل من اليهود فقال:تبارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟قال :بلى ،قال:تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبى ﷺ ،فنظر النبى ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : ألا أخبرك بإدامهم ؟قال :بلى.إدامهم بالام والنون ،قال:وما هذا؟قال:ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفًا»**(٢).

وقال عبد الله بن المبارك حدثنا ابن لهيعة حدثنى يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبر أبا العوام أخبره أنه سمع كعبًا يقول: «**إن الله -عز وجل -يقول لأهل الجنة:ادخلوها إن لكل ضيف جزوراً وأنى أجزركم اليوم فيؤتى بثور وحوت فيجزر لأهل الجنة»**(٣).

الباب الثانى والأربعون

في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبرانى: حدثنا موسى بن حازم الأصبهانى حدثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ،عن الحسن بن عمرو ،عن مجاهد عن جنادة بن أبى أمية عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «**من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام**»(٤) ورواه البخارى فى الصحيح عن قيس بن حفص عن عبد الواحد ابن زياد عن الحسن بن عمرو الفقيمى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة ،وقال «**ليوجد من مسيرة**

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٤٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢).

(٣) حسن: أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٤٣٢).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٦٧٠٦) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف.

أربعين عامًا»[١].

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن بشار حدثنا معدي بن سليمان هو البصري، عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«ألا من قتل نفسًا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله، فقد** [ق / ٥٧] **أخفر بذمة الله، فلا يراح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»**[٢].

قال: وفي الباب عن أبي بكرة وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح قال محمد بن عبد الواحد: وإسناده عندي على شرط الصحيح.

قلت: وقد رواه الطبراني من حديث عيسى بن يونس عن عوف الأعرابي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة يرفعه: **«من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»**[٣].

وقال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أو غيره عن أبي بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»**[٤].

وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس قال: **«لم يشهد عمي مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، فإن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واهًا لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته عمة الربيع بنت**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣١٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (١٤٠٣) وابن ماجة (٢٦٨٧).

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٩٤٤).

(٤) صحيح: أخرجه البيهقي في «الكبرى» (١٦٩٥٢) والحاكم (٢٥٧٩) وأحمد (١٩٩٥٦) وابن حبان (٧٣٨٢) وعبد الرزاق (١٩٧١٢).

النضر: فما عرفت أخى إلا ببنانه،ونزلت هذه الآية: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾[الأحزاب: ٢٣] **قال: «فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه»** (١) وريح الجنة نوعان: ريح توجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد وريح تدرك بحاسة الشم للأبدان ،كما تشم روائح الأزهار وغيرها،وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قُرب وبُعد ،وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله،وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الأول،والله أعلم.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن معمر،حدثنا محمد بن أحمد المؤذن حدثنا عبد الواحد ابن غياث أنبأنا الربيع بن بدر حدثنا هارون بن رياب عن مجاهد عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام**»(٢).

وقال الطبرانى :حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى ،حدثنا محمد بن أحمد بن محمد ابن طريف حدثنا أبى حدثنا محمد بن كثير ،حدثنى جابر الجعفى عن أبى جعفر محمد بن على عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «**ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، لا يجدها عاق ولا قاطع رحم**»(٣).

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده: حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبىﷺ قال: «**من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة [خمسين]**(٤) **عام**»(٥).

وقد أشهد الله -سبحانه- عباده فى هذه الدار آثارًا من آثار الجنة وأنموذجًا منها من الرائحة الطيبة، واللذات المشتهاة، والمناظر البهية، والفاكهة الحسنة، والنعيم، والسرور،وقُرَّة العين.

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٤٨) ومسلم (١٩٠٣).
(٢) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الصغير» (٤٠٩) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٩٤).
(٣) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٥٦٦٠) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٩٥).
(٤) فى خ : خمسمائة.
(٥) صحيح: أخرجه الطيالسى (٢٢٧٤).

وقد روى أبو نعيم(١) من حديث الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله -عز وجل- للجنة: طيبى لأهلك فتزداد طيبًا فذلك البرد الذى يجده الناس بالسحر من ذلك»** كما جعل -سبحانه- نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها مذكرة بنار الآخرة قال تعالى فى هذه النار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣].

وأخبر النبى ﷺ أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها، والله المستعان.

الباب الثالث والأربعون
في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا»**. وذلك قوله الله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال عثمان بن أبى شيبة حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حمزة الزيات عن أبى إسحاق عن الأغر عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى ﷺ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢) قال: نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبدًا واخلدوا فلا تموتوا أبدًا، وانعموا فلا تبأسوا أبدًا»(٣).

وفى صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب أن النبى ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة [ق/ ٥٨] وينجينا من النار؟ فيكشف الحجاب**

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٢٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

(٣) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٢٩٠).

فينظرون إلى الله ،فوالله ما أعطاهم شيئًا هو أحب إليهم من النظر إليه» (١).

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا أبو بكر الهذلي أخبرني أبو تميمة الهجيمي، قال: سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: إن الله - عزّ وجلّ- يبعث يوم القيامة ملكًا إلى أهل الجنة فيقول: يا أهل الجنة ،هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلي والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون :نعم قد أنجزنا ما وعدنا قالوا: ذلك ثلاث مرات ،فينظرون فلا يفتقدون شيئًا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول :قد بقي شيء، إن الله يقول: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس: ٢٦] قال: **«ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله»** (٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة :يأهل الجنة ،فيقولون :لبيك ربنا وسعديك ،فيقول :هل رضيتم ؟ فيقولون :وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك ،فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ؛قالوا :ربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؟قال:أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»** (٣).

ومن تراجم البخاري عليه : باب كلام الرب مع أهل الجنة؛ وسيأتي في هذا أحاديث نذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله.

وفي الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول :يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ،كل خالد فيما هو فيه»** (٤) وهذا الأذان، وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملكًا فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيادة كما يؤذن مؤذن الجمعة ، وذلك مقدار يوم الجمعة، كما سيأتي مبينًا في باب زيارتهم الرب عز وجل، والله أعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨١).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن المبارك (٤١٩).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ومسلم (٢٨٢٩).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٤٤) ومسلم (٢٨٥٠).

الباب الرابع الأربعون

فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى :﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ *وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٣] وقال تعالى :﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن:٤٨] وهو جمع فنن وهو الغصن وقال تعالى:﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن :٦٨].

والمخضود: الذى قد خضد شوكه أى نزع فلا شوك فيه، هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبى الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة، واحتج هؤلاء بحجتين:

إحداهما: أن الخضد فى اللغة: القطع وكل رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود ،ومنه الخضد على مثال الثمر وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب، والخضاد شجر رخو لا شوك له.

الحجة الثانية: قال ابن أبى داود حدثنا محمد بن مصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا ثور بن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمى قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال :يا رسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكًا منها-يعنى الطلح ، فقال رسول الله ﷺ :«**إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لون آخر**».[الملبود] الذى قد اجتمع شعره بعضه على بعض وقال عبدالله بن المبارك :أنبأنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال:«كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون :إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ، وأقبل أعرابى يومًا فقال: يا رسول الله ،ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ،قال رسول الله ﷺ :«**وما هى ؟قال :السدر فإن له**

شوكًا مؤذيًا ،قال :أليس الله يقول في سدر مخضود ؟!! خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكه ثمرة» [١]. وقالت طائفة :المخضود هو:الموقر حملاً وأنكر عليهم هذا القول وقالوا: لا يعرف في اللغة الخضد بمعنى الحمل ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل والحديثان المذكوران يجمعان القولين.

وكذلك قول من قال: المخضود الذى لا يعقر اليد ولا يرد اليد منه شوك ولا أذى فيه فسره بلازم المعنى وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة وفردًا من أفراده [ق/ ٥٩] تارة، ومثالاً من أمثلته فيحكيها الجماعون للغث والسمين أقوالا مختلفة ولا اختلاف بينها.

فصل

وأما الطلح، فأكثر المفسرين قالوا :إنه شجرة الموز ،قال مجاهد: أعجبهم طلح وج وحسنه فقيل لهم :[وطلح منضود] وهذا قول على بن أبى طالب وابن عباس وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى.

وقالت طائفة أخرى بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادى الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم:

بشرها دليلها وقالا   غدًا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة طيبة وظل ظليل ،وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك وقال ابن قتيبة :هو الذى نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز وقال مسروق :ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها ،وأنهارها تجرى فى غير أخدود.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن المبارك (٢٦٣).

وقال الليث: الطلح شجر أم غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكًا وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا قال أبو إسحاق :يجوز أن يعنى به شجر أو غيلان لأن له نورًا طيب الرائحة جدًا فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على سائر ما فى الدنيا فإنه ليس فى الجنة مما فى الدنيا إلا الأسامى ،والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلح فى اللغة :هو الشجر العظام من شجر البوادى،والله أعلم.

وفى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال :قال رسول الله ﷺ :«**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ،فاقرءوا إن شئتم**» ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[1].

وفى الصحيحين أيضًا من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال:«**إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها**»قال أبو حازم :فحدثنا به النعمان بن أبى عياش الزرقى فقال :حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبىﷺ قال:«**إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها**»[2].

وقال الإمام أحمد :حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا شعبة عن أبى الضحاك سمعت أبا هريرة يقول:قال رسول الله ﷺ :«**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو مائة سنة ،هى شجرة الخلد**»[3].

وقال وكيع:حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن زياد مولى بنى مخزوم عن الزهرى عن أبى هريرة رضى الله عنه:«إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام اقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ فبلغ،ذلك كعبًا فقال:صدق ،والذى أنزل التوراة على لسان موسى والفرقان على لسان محمد ﷺ لو أن رجلاً ركب جذعة أو جذعًا

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (٣٢٥١) ومسلم (٢٨٢٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٦٦٥٣) ومسلم (٢٨٢٨).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٩٥٦٠) والدارمى (٢٧٣٤).

ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرمًا وإن الله غرسها بيده ونفخ فيها وإن أصلها من وراء سور الجنة، وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة»[1].

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا إبراهيم عن سعيد الجوهرى حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا زمعة ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: «الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون فى ظلها قال فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا».

وفى جامع الترمذى من حديث أبى حازم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»**[2] قال: هذا حديث حسن.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرءوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] **وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] **وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم:** ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران]»[3] رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذى والنسائى وابن ماجه، وصدره فى الصحيحين.

وفى صحيح البخارى من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى**

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٤٤).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٥٢٥) وابن حبان (٧٤١٠) وأبو يعلى (٦١٩٥).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٢٩٢) وابن أبى شيبة (٨/ ٧٠) وأحمد (٩٣٦٥) والنسائى فى «الكبرى» (١١٠٨٥) والدارمى (٢٧٢٤) وأبو يعلى (٦٢٧٦) وابن ماجة (٤٣٢٨) وابن حبان (٣٦٩) والبيهقى فى «الشعب» (٣٨٢) وصدره فى الصحيحين.

الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ،وإن شئتم فاقرءوا :﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ . وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾» .

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجًا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: **«قال رجل: يا رسول الله ما طوبى؟ قال: شجرة فى الجنة مسيرة [ألف]**[١] **سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »**[٢] وقد رواه عنه حرملة بزيادة وقال :أخبرنى [ق/ ٦٠] ابن وهب أخبرنى عمرو أن دراجًا حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد الخدرى :أن رجلاً قال :يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال: **«طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى [ثم طوبى]**[٣] **لمن آمن بى ولم يرنى»** فقال رجل :يا رسول الله وما طوبى ؟قال :**شجرة فى الجنة مسيرة مائة [عام]**[٤] **ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»**[٥].

قلت :وأول هذا الحديث فى المسند ولفظه: **«طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات»**[٦].

وقال ابن المبارك: حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: **«نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرفها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ،وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل ،وألين من الزبد ليس فيها عجم»**.

وقال الإمام أحمد: حدثنا على بن بحر حدثنا هشام بن يوسف حدثنا معمر عن يحيى ابن أبى كثير عن عامر بن زيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى يقول:

---

(١) فى خ : مائة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١١٢٧٦) وابن حبان (٧٤١٣) وأبو يعلى (١٣٧٤).

(٣) سقط من ط .

(٤) فى خ : سنة.

(٥) تقدم.

(٦) أخرجه أحمد (١١٢٧٦).

«جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «**نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى**»، فذكر شيئًا لا أدرى ما هو؟ فقال: أى شجر أرضنا تشبهه؟ قال: «**ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك**» **فقال النبي ﷺ: أتيت الشام؟** قال: لا، **قال: تشبه شجرة بالشام تدعى [الجوزة]**[1] **تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها**»، قال: «**لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا**، قال: فيها عنب؟ قال: نعم، قال: فما عظم العنقود؟ قال: **مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر**»، قال: فما عظم الحبة؟ قال: «**هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا؟**» قال: نعم، قال: «**فسلخ إهابه فأعطاه أمك وقال لها اتخذى لنا منه دلوًا؟**» قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي، قال: «**نعم وعامة عشيرتك**»[2].

قال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «سمعت رسول الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهى فقال: «**يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة، أو قال: يستظل في الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال**»[3] ورواه الترمذي وقال: شك يحيى وهو حديث حسن غريب.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائمًا لم يؤذه، ومن أكل جالسًا لم يؤذه ومن أكل مضطجعًا لم يؤذه وذللت قطوفها تذليلاً».

---

(١) هكذا في (خ).

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٧١٩٠) وابن حبان (٧٤١٦) والطبراني في «الكبير» (١٧/١٢٦) حديث (٣١٢) و«الأوسط» (٤٠٤).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٢٥٤١) والحاكم (٣٧٤٨) والطبراني في «الكبير» (٢٤/٨٧) حديث (٢٣٤).

وقال أبو معاوية: حدثنا الأعمش عن أبى ظبيان عن جرير بن عبد الله قال: «نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه قال فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظلله، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال: يا جرير تواضع لله [فإن](١) من تواضع لله [في الدنيا](٢) رفعه الله يوم القيامة، يا جرير هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدرى، قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويدًا لا أكاد أراه بين إصبعيه فقال: يا جرير لو طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده، قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر».

الباب الخامس والأربعون

في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل أى شبيهه ونظيره لا عينه، وهل المراد أن هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار أو هذا نظير الذى رزقنا قبل فى الجنة؟

قيل: فيه قولان: ففى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ قالوا: «**هذا الذى رزقناه من قبل أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا**» قال مجاهد: «**ما أشبهه به**» وقال ابن زيد: «هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا من قبل وأتوا به متشابهًا يعرفونه» وقال آخرون: هذا الذى رزقنا من قبل من ثمار الجنة، من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضًا فى اللون والطعم، واحتج أصحاب هذا القول بحجج:

---

(١) فى خ: فإنه.

(٢) سقط من ط.

إحداها: أن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ولشدة المشابهة قالوا: هذا هو.

الحجة الثانية: ما حكاه ابن جرير عنهم قال: ومن علة قائلى هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما كان، حدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدى حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن أبى عبيدة «وذكر ثمر الجنة وقال [ق/ ٦١]: كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى».

الحجة الثالثة: قوله: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾.

الحجة الرابعة: أن من المعلوم أنه ليس كل ما فى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوه، قال ابن جرير: والذى تحقق صحة قول القائلين: أن معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا أن الله جلّ ثناؤه قال: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ [البقرة: ٢٥] يقولون: هذا الذى رزقنا من قبل ولم يخصص أن ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض، فإذا كان قد أخبر جلّ ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة فلا شك أن ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوا من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذى لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة: هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيره هذا هو الذى رزقنا من قبل إلا أن ينبسهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم لأول رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب دلالة على أن ذلك فى حال من أحوالهم دون حال فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة رزقًا قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا.

قلت: أصحاب القول الأول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول لدلالة العقل

والسياق عليه وليس هذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات:

أحدها: أن كثيرًا من ثمار الجنة وهى التى لا نظير لها فى الدنيا لا يقال فيها ذلك.

الثانى: أن كثيرًا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى الجنة.

الثالث: أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذى رزقنا فى الدنيا ويستمرون على هذا الكلام دائمًا إلى غير نهاية، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعتنى بهم من نعيمهم ولذتهم وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من المخاطب.

ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضًا ليس أوله خيرًا من آخره ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر [ثمار](١) وغير ذلك بل أوله مثل آخره، وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضًا فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه، والذى يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه والله أعلم.

وأما قوله عز وجلّ: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ (البقرة: ٢٥) قال الحسن: «خيار كله لا رذل فيه ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل» وقال قتادة: «خيار لا رذل فيه وإن ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها» وكذلك قال ابن جريج وجماعة، وعلى هذا فالمراد بالمتشابه المتوافق والمتماثل.

وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ: «متشابهًا فى اللون والمرأى وليس يشبه الطعمُ الطعمَ» قال مجاهد: «متشابهًا لونه مختلفًا طعمه» وكذا قال الربيع بن أنس. وقال يحيى بن أبى كثير: «عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذى جئتمونا به آنفًا، فيقول لهم الخدم كلوا فإن اللون واحد والطعم

---

(١) فى خ: ثمرها.

مختلف»فهـو قوله عزّ وجلّ :﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ (البقرة: ٢٥).

وقالت طائفة: معنى الآية أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب قال ابن وهب قال عبد الرحمن بن زيد: «يعرفون أسماءه كما كانوا فى الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا فى الجنة هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا يعرفونه وليس هو مثله فى الطعم» واختار ابن جرير هذا القول وقد دللنا على فساد قول من قال الدلالة على فساد ذلك القول هى أن معنى الآية هذا الذى رزقنا من قبل أى فى الجنة وتلك الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله:﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم: هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا.

قلت: وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال:﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾(ص: ٥٠، ٥١)وقال تعالى [ق٦٢/]: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾(الدخان: ٥٥) وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها وقال تعالى:﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢، ٧٣) وقال تعالى:﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣] أى لا تكون فى وقت دون وقت ولا تمنع ممن أرادها، قال تعالى:﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ٢١-٢٣) والقطوف: جمع قطف وهو ما يقطف، والقطف-بالفتح- الفعل أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف شاء قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم، وقال تعالى:﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (الإنسان: ١٤).

قال ابن عباس: إذا همّ أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد وقال غيره: [قريب][1] إليهم مذللة كيف شاءوا فهم يتناولونها قيامًا وقعودًا ومضطجعين فيكون كقوله تعالى:﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾(الحاقة: ٢٣) ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله، وأهل المدينة يقولون: ذلل النخل أى سوَّى عذوقه وأخرجها من السعف حتى

(١) فى خ: قربت.

يسهل تناولها وفى نصب دانية وجهان:

أحدهما: أنه على الحال عطفًا على قوله متكئين.

الثانى: أنه صفة الجنة ،وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾(الرحمن :٥٢) وفى الجنتين الأخريين ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾(الرحمن:٦٨) وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما كما نص على حدائق النخل والأعناب فى سورة النبأ إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها وقد قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد :١٥).

وقال الطبرانى: حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا على بن المدينى ،حدثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبى قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى**» [(١)] قال عبد الله بن الإمام أحمد :حدثنى عقبة بن مكرم العمى حدثنا ربعى بن إبراهيم بن علية ، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة وعلمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة ،فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تتغير وتلك لا تتغير**»[(٢)] وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال: «**عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفًا أخذته**» وفى لفظ: «**فتناولت منها قطفًا فقصرت عنه يدى**»[(٣)] وقال أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: «بينا نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبىّ بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم فى [صلاتك][(٤)] شيئًا ما كنت تصنعه؟قال: «**إنه عرضت على الجنة وما**

(١) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٤٤٩) وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) فى خ : الصلاة.

فيهـا من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفًا من عنب لآتيكـم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه».

وقال ابن المبارك :أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: **«ثمر الجنة أمثـال القلال والدلاء ،أشد بياضًـا من اللبن ،وأحلى من العسل ،وألين من الزبد ليس فيه عجم»**.

وقال سعيد بن منصور: حدثنا شـريك عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب قال: «إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قيامًا وقعودًا ومضطجعين على أى حال شاءوا».

وقال البزار فى مسنده :حـدثنا أحمد بن الفرج الحمصى حدثنا عثـمان بن سعيد ابن كثـير ابن دينار الحـمصى حدثنا مـحمـد بن المهاجر عن الضـحاك المعـافرى عن سليمان بن موسـى قال: حدثنى كريب أنه سمع أسامة بـن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ : **«ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ، وهى ورب الكعبة نور يتلألأ ،وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام [أبد]** [١]**فى دار سليمة ، فاكهة وخضرة وحبـرة ونعمة فى محلة عالية بهية»** قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشـمرون لها قال: **«قولوا إن شاء الله»** قال القوم :«إن شاء الله»[٢]. ال البزار وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبى ﷺ إلا أسامة ، ولا نعلم له طريقًا عن أسـامة إلا هذا الطريق ،ولا نعلم من رواه عن الضحـاك المعافرى إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر.

وفى حديث لقـيط بن صبرة الذى رواه عبـد الله بن أحمد فى مسند أبيـه وغيره قلت: يا رسول الله على ما يطلع أهل الجنة؟قال: **«على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كـأس ما بهـا صداع ولا ندامـة ،وأنهار من لـبن لم يتغـير طعـمه،ومـاء غيـر آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخيـر من مثله معه ،وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة»** [٣] قال الحسـن وأبو العالية : وهو ريحان هذا يؤتى بغـصن من [ريحان][٤] الجنة فنشمه.

---

(١) هكذا فى خ.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) فى خ: ريحاننا.

الباب السادس والأربعون

في زرع الجنة

قال تعالى:﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾ (الزخرف: ٧١).

وعن أبى هريرة أن النبىﷺ كان يحدث يومًا وعنده رجل من أهل البادية: «**أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل فى الزرع فقال له أو لست فيما اشتهيت؟ فقال: بلى** [ق/ ٦٣] **ولكنى أحب أن أزرع فأسرع ،وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل :دونك يابن آدم فإنه لا يشبعك شيء**، فقال الأعرابى :يا رسول الله لا نجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ،فضحك رسول اللهﷺ »[١] رواه البخارى فى كتاب التوحيد فى باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه فى غيره أيضًا ،وهذا يدل على أن فى الجنة زرعًا وذلك البذر منه وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع.

فإن قيل :فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه قيل: لعله إستأذنه في زرع يباشره ويبذره بيده وقد كان في غنية عنه وقد كفي مؤنته. ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث، والله أعلم.

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: بينما رجل فى الجنة فقال فى نفسه: لو أن الله يأذن لى لزرعت، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون :سلام عليكم يقول لك ربك :تمنيت فى نفسك شيئًا فقد علمته، وقد بعث الله معنا البذر فيقول :ابذروا ، فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه :كل يابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع» والله أعلم.

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٧٥١٩).

الباب السابع والأربعون
في ذكر أنهار الجنة وعيونها
وأصنافها ومجراها الذى تجرى عليه

وقد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى: ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ وفى موضع: ﴿تجرى تحتها الأنهار﴾ وفى موضع: ﴿تجرى من تحتهم الأنهار﴾ وهذا يدل على أمور:

أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة.

الثانى: أنها جارية لا واقفة.

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود فى أنهار الدنيا وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاءوا وكأن الذى حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجرى فى غير أخدود، فهى جارية على وجه الأرض حملوا قوله: **﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾** على أنها تجرى بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم فإن أنهار الجنة وإن جرت فى غير أخدود فهى تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس فى الدنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ (الأنعام: ٦) فهذا على ما هو المعهود المتعارف وكذلك ما حكاه من قول فرعون: ﴿وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾ وقال تعالى: ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ (الرحمن: ٦٦) قال ابن أبى شيبة: حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد قال: «نضاختان بالماء والفواكه» وحدثنا ابن يمان عن أبى إسحاق عن أبان عن أنس قال: نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا»، وحدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء قال: «اللتان تجريان أفضل من النضاختين»، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ

الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (محمد: ١٥).

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ،ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ،وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا ،وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافى للذة شربها ،وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة فى الدنيا بإجرائها ويجريها فى غير أخدود وينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها كما ينفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب [لشرابها][1] ذلك إلا باللغو وتنزف فى نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهى كريهة المذاق وهى رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزى والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذى فى إفشائه مضرته أو إهلاكه ومؤاخاة الشياطين فى تبذير المال الذى جعله [ق/ ٦٤] الله قيامًا له ولم يلزمه مؤنته وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم وتخرج من القلب تعظيم المحارم ومدمنها كعابد وثن ،وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى، وأذلت من عزيز ،ووضعت من شريف ،وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة، وفسخت مودة،ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه،وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت فى وجه شاربها بابًا من الخير وفتحت له بابًا من الشر ،وكم أوقعت فى بلية

(١) فى خ : لشاربها.

وعجلت من منية وكم أورثت من خزية ،[وجرأت][1] على شاربها من محنة،وجرت عليه سفلة فهى جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم ،ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هى وخمر الجنة فى جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة»** لكفى. وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل :فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسن فما فائدة قوله: غير آسن؟

[قيل :الماء الجارى وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن][2] وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم ،وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم.

فصل

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: **«إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ،ومنه تفجر أنهار الجنة»** [3].

وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ولفظ حديث

---

(١) هكذا هو فى : خ.
(٢) سقط من خ.
(٣) صحيح: تقدم.

عبادة : **«الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى»**(١).

وفى المعجم للطبرانى من حديث الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة»**(٢).

وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن قتادة قال أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«رفعت لى سدرة المنتهى فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، ويخرج من ساقها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: [أما النهران الباطنان ففى الجنة]**(٣) **وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات»**(٤).

وفى صحيحه أيضًا من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، قال: فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر»**(٥).

وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: **«الكوثر نهر فى الجنة وعدنيه ربى عز وجل»**(٦) وقال محمد بن عبد الله الأنصارى، حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : **«دخلت**

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) حسن: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٦٨٨٦) من حديث سمرة، وأخرجه الترمذى (٢٥٣١) وابن أبى شيبة (٨/ ٨٥) من حديث عبادة بن الصامت.

(٣) سقط من خ.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٠٧).

(٥) صحيح: أخرجه البخارى (٦٥٨١).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٤٠٠).

الجنة فإذا بنهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ ،فضربت بيدي إلى ما يجرى فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر ، فقلت :لمن هذا يا جبريل ؟ قال: [الكوثر](١) **هذا الذى أعطاكه الله عز وجل»**(٢).

قال الترمذى :حدثنا هناد حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول ﷺ : «**الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ،تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج**»(٣) قال: هذا حديث حسن صحيح وقال أبو نعيم الفضل : حدثنا أبو جعفر الرازى حدثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر:١) قال: «الخير الكثير .وقال أنس بن مالك :نهر فى الجنة وقالت عائشة: هو نهر فى الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر» وهذا معناه والله أعلم: أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل إصبعيه فى أذنيه.

وفى جامع الترمذى من حديث الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ،ثم يشقق الأنهار بعده**»(٤) قال: هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن سمرة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ [ق/ ٦٥] : «**من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، ومن سره أن [يكسيه]**(٥) **الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا،وأنهار الجنة**

---

(١) سقط من (ط).

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (١٣٧١١).

(٣) صحيح : أخرجه الترمذى (٣٣٦١) وابن ماجة (٤٣٣٤) وأحمد (٥٣٣٢) والدارمى (٢٧٣٢) وابن أبى شيبة (٨/ ٨٨) والطبرانى فى «الأوسط» (٩٢٤٦).

(٤) صحيح : أخرجه الترمذى (٢٥٧١) وأحمد (١٩٥٤٨) وابن حبان (٧٤٠٩) والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٤٢٤) حديث (١٠٣٢).

(٥) سقط من ط.

تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعًا فكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعًا»(١).

وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: «إن أنهار الجنة تفجر جبل مسك» وهذا موقوف صحيح.

وذكر ابن مردويه في مسنده: حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد ابن النعمان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة ثم تصدع بعد أنهارًا»**(٢).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا الجريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: «أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا، والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت، وطينها المسك الأذفر، قلت: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له». ورواه ابن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا مهدي بن حكيم حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا الجريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فذكره رواه مرفوعًا.

وقال أبو خيثمة: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(الكوثر: ١) فقال: رسول الله ﷺ: **«أعطيت الكوثر فإذا هو يجري ولم يشق شقًا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ»**(٣).

وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيد عن مسروق في قوله تعالى:

---

(١) حسن: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٨٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٩٢٣٢) والنسائي في «الكبرى» (٧٧٦٥) والدارمي (٢٧١٨).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٣٦٦٥) وابن حبان (٦٤٧١).

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾(الواقعة: ٣١) قال: أنهار تجرى فى غير أخدود قال: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾(الشعراء: ١٤٨) قال: من أصلها إلى فرعها أو كلمة نحوها.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة**»(١) وقال عثمان بن سعيد الدارمى حدثنا سعيد بن سابق حدثنا مسلمة بن على عن مقاتل بن حبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم، فذلك قوله**: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾(المؤمنون: ١٨).

فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾(المؤمنون: ١٨).

«فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد حرم أهلها خيرى الدنيا والآخرة»(٢)، ورواه [أحمد](٣) بن عدى فى ترجمة مسلمة هذا مع أحاديث غيره وقال عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء قال البخارى: منكر الحديث وقال النسائى: متروك وقال أبو حاتم لا [تشتغل](٤) به، وقال عبد الله بن وهب: حدثنا سعيد بن أبى أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس قال: «إن فى الجنة نهرًا يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٣٩).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٣٢٦).

(٣) فى خ: أبو أحمد.

(٤) فى خ: يُشتغل.

فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجلاً منهم جارية مس معصمها فتتبعه».

فصل

وأما العيون فـقد قال تعالى :﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الذاريات: ١٥) وقال تعالى :﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإنسان: ٥، ٦).

قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم، وقد اختلف فى قوله يشرب بها.

فقال الكوفيون: الباء بمعنى «من» أى: يشرب منها.

وقال آخـرون: بل الفعل مضـمن معنى يشرب بـها، أى يروي بها، فلمـا ضمنه معناه عداه تعديته، وهذا أصح وألطف وأبلغ.

وقالت طائفة: الباء للظرفية والعين اسـم للمكان كما تقول: كنا بمكان كذا وكذا ونظيره هذا التضمين قوله تعالى:﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ (الحج: ٢٥) ضمن معنى يهم فعدى تعديـته وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾ (الإنسان: ١٧، ١٨).

فأخبـر سبحانه عن العين التى يـشرب بها المقربون صرفًـا أن شراب الأبرار يمزج منهـا لأن [ق/ ٦٦] أولئك أخلصوا الأعـمال كلهـا لله فأخلص شـرابهم، وهؤلاء مزجوا فـمزج شرابهم، ونظير هذا قـوله تعالى:﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ٢٢-٢٨).

فأخبر سبحانه عن مزاج شـرابهم بشيئين: بالكافور فى أول السورة والزنجبيل فى آخرها، فإن فى الكافـور من البرد وطيب الرائحة، وفى الزنجبـيل من الحرارة وطيب

الرائحة ، وما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده وتعتدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر وما ألطف موقع ذكر الكافور فى أول السورة والزنجبيل فى آخرها فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب (أحدهما) مزج بكافور، و(الثانى)مزج بزنجبيل أيضًا فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده فى مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التى نبه بوفائهم بأضعفها وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم ولهذا قال:﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان:١٢) .

فإن فى الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون فى جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة ،وجمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذاحال بواطنهم كما جملوا فى الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان ،ونظيره قوله فى آخر السورة:﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ (الإنسان:٢١).

فهذا زينة الظاهر ثم قال:﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان:٢١). فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص ونظير هذا قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام:﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ (طه:١١٨، ١١٩) فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعرى وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضحى ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباسًا يوارى سوآتهم ويزين ظواهرهم ولباسًا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى وأخبر أنه خير اللباسين وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظها من كل شيطان مارد فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد

الزاد الباطن وهو التقوى ،وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ (يوسف :٣٢)فأرتهن حسنه وجماله ثم قالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف:٣٢) فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة وهذا كثير فى القرآن لمتأمله.

الباب الثامن والأربعون

فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(المرسلات:٤١ ، ٤٣).

وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾(الحاقة:١٩ ، ٢٤).

وقال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢ ،٧٣).

وقال تعالى : ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد:٣٥).

وقال تعالى : ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾ (الطور: ٢٢ ،٢٣).

وقال تعالى : ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٥ ،٢٦).

وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : **«يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ،طعامهم ذلك ؛ جشاء كريح المسك ، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس»**[1]. ورواه أيضًا **من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه«قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح**

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٣٥).

كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد».

وفى المسند وسنن النسائى بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال: **«جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى ﷺ فقال :يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟قال:«نعم والذى نفسى محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة، قال:فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى قال:تكون حاجة أحدهم رشحًا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه»**[١].

ورواه الحاكم [ق/ ٦٧] فى صحيحه ولفظه: « أتي النبي ﷺ **رجل من اليهود فقال:يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ؟-ويقول لأصحابه : إن أقر لى بهذا خصمته فقال رسول الله ﷺ : «[بلى]**[٢] **والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع»، فقال له اليهودى : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : «حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك ،فإذا البطن قد ضمر».**

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال: قال لى رسول الله ﷺ : **«إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًا»**[٣].

وقد تقدم حديث أنس فى قصة عبد الله بن سلام : فى أول [ما][٤] يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره وحديث أبى سعيد الخدرى : **«تكون الأرض يوم القيامة خبزة**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٨٧٨٣) (١٨٨٢٧) والنسائى فى «الكبرى» (١١٤٧٨) والطبرانى فى «الأوسط» (١٧٤٣) و«الكبير» (٥٠٠٤) (٥٠٠٦) (٥٠٠٨) وابن حبان (٧٤٢٤) والدارمى (٢٧٢١) وابن أبى شيبة (٨/ ٧٣).

(٢) سقط من ط .

(٣) ضعيف: أخرجه البزار (٢٠٣٢) وسعيد بن منصور (١١٧١) والهيثم بن كليب فى «مسنده» (٨٥٨) وابن المبارك فى «الزهد» (١٤٥٢) وابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٢٧٣).

(٤) فى خ : طعام.

واحدة يتكفؤها الجبار بيده نزلاً لأهل الجنة»(١).

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم ،حدثنا إبراهيم بن منقذ ،حدثنا إدريس بن يحيى حدثنى الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمى عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن فى الجنة طيراً أمثال البخاتى» فقال أبو بكر** : إنها لناعمة يا رسول الله ،قال: **«أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر»**(٢).

قال الحاكم وأنبأنا الأصم حدثنا يحيى بن أبى طالب أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء أنبأنا سعيد عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال: «ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله إنى لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون، قال: **«من يأكلها أنعم منها وأنها أمثال البخاتى وإنى لأحتسب على الله أن تأكل منها ياأبا بكر»** وبهذا الإسناد عن قتادة عن أبى أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾(الزخرف: ٧١) قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس في الآخر.

وقال الدراوردى :حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول فى الكوثر :قال رسول الله ﷺ :**«هو نهر أعطانيه ربى أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر»** ،فقال عمر ابن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة ،فقال رسول الله ﷺ : **«آكلها أنعم منها»**(٣) تابعه إبراهيم بن سعيد عن ابن أخى ابن شهاب وقال: فقال أبو بكر بدل عمر.

وقال عثمان بن سعيد الدارمى :حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ وكأس من معين﴾ يقول : الخمر لا فيها غول يقول ليس فيها صداع وفى قوله تعالى: ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾

(١) تقدم.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن عدى فى «الكامل» (٦/ ١٥) والبيهقى فى «البعث».

(٣) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٥٤٢) وأحمد (١٢٠٦٣) والحاكم (٣٩٧٨).

يقول: لا تذهب عقولهم وقوله تعالى: ﴿وكأسا دهاقا﴾ يقول: ممتلئة وقوله: ﴿رحيق مختوم﴾ يقول: الخمر ختم بالمسك» وقال علقمة عن ابن مسعود: ﴿ختامه مسك﴾قال خلطه وليس بخاتم يختم.

قلت: يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة وليس من الخاتم.

وقال زيد بن معاوية: سألت علقمة عن قوله تعالى: ﴿ختامه مسك﴾ فقرأتها ﴿خاتمه مسك﴾ فقال لى علقمة ليست خاتمه ولكن اقرأه ﴿ختامه مسك﴾ قال علقمة ختامه خلطه ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب: إن خلطه من مسك لكذاوكذا.

وذكر سعيد بن منصور: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق والرحيق الخمر والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك، وبهذا الإسناد عن مسروق عن عبد الله فى قوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾قال: تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفًا وكذلك قال ابن عباس: يشرب منها المقربون صرفًا وتمزج لمن دونهم.

وقال مجاهد: ختامه مسك يقول طينه مسك وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير ولفظ الآية أوضح منه، وكأنه والله أعلم، يريد ما يبقى فى أسفل الإناء من الدردى.

وذكر الحاكم من حديث آدم حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبى الدرداء فى قوله: ﴿ختامه مسك﴾قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال: «التسنيم» اسم العين الذى تمزج بها الخمر.

وقال الإمام أحمد[1]: حدثنا هشيم أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله: ﴿وكأسًا دهاقًا﴾ قال: هى المتتابعة الممتلئة قال: وربما سمعت العباس يقول: اسقنا

(١) أخرجه الحاكم (٣٨٩١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: على شرط البخاري.

وادهق لنا وقد تقدم الكلام على قوله تعالى :﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ .وعلى قوله:﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾(الإنسان: ١٧ ، ١٨).

فقالت فرقة :سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل وسبيلاً منصوب على المفعول أى سل سبيلاً إليها وليس هذا بشيء وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهى اسم للعين [ق/ ٦٨] نفسها باعتبار صفتها ولقد سعى قتادة ومجاهد فى اشتقاق اللفظة فقال قتادة سلسلة فهم يصرفونها حيث شاؤوا.

وهذا من الاشتقاق الأكبر ،قال مجاهد :سلسلة السيل حديدة الجرية،وقال أبو العالية:والمقاتلان تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم وهذا من سلاستها وحدة جريتها،وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق وقال أبو إسحاق:سلسبيل صفة لما كان فى غاية السلاسة ، فسميت العين بذلك.

وقال ابن الأنبارى :الصواب فى سلسبيل :أنه صفة للماء وليس باسم العين واحتج على ذلك بحجتين :إحداهما: [أن سلسبيلا][(١)] مصروف ولو كان اسمًا للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية.

الثانية: أن ابن عباس قال: معناه أنها تنسل فى حلوقهم انسلالاً.

«قلت» :ولا حجة له فى واحدة منهما،أما الصرف فلاقتضاء رءوس الآى له كنظائره ، وأما قول ابن عباس فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة،فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر وليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء ،وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر،فإن قيل :فأين يشوى اللحم وليس فى الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ«كن» وأجاب آخرون بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتى به إليهم والصواب: أنه يشوى فى الجنة

(١) فى خ : بأن سلسبيل.

بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه كما قدر هناك أسبابًا لإنضاج الثمر والطعام على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئًا.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الألوة**»[1] و(المجامر): جمع مجمر وهو البخور الذى تنبخر بإحراقه و(الألوة): العود الطرى فأخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته.

وقد أخبر سبحانه أن فى الجنة ظلالاً، والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال: ﴿ **هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ** ﴾ (يس: ٥٦) وقال: ﴿**إن المتقين فى ظلال وعيون**﴾ وقال: ﴿**وندخلهم ظلاً ظليلاً**﴾ فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعى أسبابًا تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابًا تصرف الطعام من الجشاء إلى العرق الذى يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه وذاك سبب إنضاجه، وكذلك جعل فى أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحًا وجشاء، وكذلك ما هناك الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها فُرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يجعله فى الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر وذلك محض الجهل والظلم وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصورة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لم تقصر قدرته فى هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته وليس هذا بأهون عليه من ذلك.

ولعل النشأة الأولى التى أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التى وعدنا بها إذا تأملها اللبيب ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجنة ومائها وهوائها.

---

(١) تقدم.

ولعل إخراج هذه الأشربة التى هى غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قيء ذباب أعجب من إجرائها أنهارًا فى الجنة بأسباب أخر، ولعل إخراج جوهرى الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخرى ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من إخراجه من أكمام [تنشق][1] عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها فى الجنة فى غير أخدود.

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التى دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه وعلى توحده بالربوبية والإلهية ، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار ، تجد هذه أدل شيء على تلك، شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد فبعدًا لقوم لا يؤمنون.

الباب التاسع والأربعون
في ذكر آنيتهم التى يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها

قال تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ [ق/ ٦٩] وَأَكْوَابٍ﴾ (الزخرف: ٧١) فالصحاف جمع صحفة ، قال الكلبى : بقصاع من ذهب وقال الليث : الصحفة قصعة مسلطحة عريضة فالجمع صحاف، قال الأعشى:

والمكاكيك والصحاف من الفضـ ـــة والضامرات تحت الرجال

وأما الأكواب فجمع كوب ، قال الفرّاء : الكوب المستدير الرأس الذى لا أذن له وأنشد لعدى:

(١) فى خ : تتفتق.

متكئًا تصفق أبـــــوابه يسعى عليه العبد بالكوب

وقال أبو عبيد: الأكواب :الأباريق التى لا خراطيم لها قال أبو إسحاق: واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له، وقال ابن عباس :هى الأباريق التى ليست لها آذان وقال مقاتل : هى أوان مستديرة الرأس ليست لها عرى.

وقال البخارى فى صحيحه: الأكواب :الأباريق التى لا خراطيم لها وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ⑰ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨].

الأباريق هي الأكواب التي لهــا خراطيم فإن لم يكن لها خـراطيم ولا عرى فهى أكواب، وإبريق إفـعيل من البريق ،وهـو الصفاء فهـو الذى يبرق لونه من صـفائه ثم سمى كل ما كـان على شكله إبريقًا وإن لم يكن صافيًــا، وأباريق الجنة من الفضة فى صفـائه القوارير يرى من ظاهرها مــا فى باطنها والعرب تســمى السيف إبريقًــا لبريق لونه، ومنه قول ابن أحمر:

تعلقت إبريقًا وعلقت جفنه ليهلك حيًا ذا زهاء وخامل

وفى نوادر اللحيانى: امرأة إبريق إذا كانت براقة، قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ⑮ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ (الإنسان: ١٥، ١٦) فالقوارير هى الزجاج فأخبر سبحـانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهم كون [تلك][1] القوارير من زجــاج قال: ﴿قوارير من فضة﴾ قال مـجاهد وقتادة ومـقاتل والكلبى والشعبى :قوارير الجنة من الفـضة فاجتمع لها بياض الفضــة وصفاء القوارير قال ابن قتيـبة :كل ما فى الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكـوابها مخالف لما فى الدنيـا من صنعة العـباد كمـا قال ابن عـباس :ليس فى الدنيــا شيء مما فى الجنة إلا الأسماء والأكواب فى الدنيا قد تكون من فضة وتكون من قوارير فأعلمنا الله أن هناك أكوابًا لها بياض الفـضة وصفاء القوارير قال: وهذا على التشبـيه أراد قوارير كأنها من فضة وهذا كـقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن :٥٨). أى لهن ألوان

---

(١) سقط من ط .

المرجان فى صفاء الياقوت . وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة . و«من» هاهنا لبيان الجنس كما تقول خاتم من فضة ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة بل جنسه ومادته الفضة ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهى قوارير وهو الزجاج وليس فى ذلك إشكال لما ذكرناه.

وقوله: ﴿قدروها تقديرا﴾ التقدير : جعل الشيء بقدر مخصوص فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه وهذا أبلغ فى لذة الشارب فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقى هذا قول جماعة من المفسرين.

قال الفراء: قدروا الكأس على [قد](١) رى أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ريه وهو ألذ الشراب.

وقال: الزَّجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه.

وقال أبو عبيد : يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها ثم يسقون يعنى : أن الضمير فى قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرى فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم وقالت طائفة : الضمير يعود على الشاربين أي قدروا في أنفسهم شيئًا فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه، وقول الجمهور أحسن وأبلغ فهو مستلزم لهذا القول ،الله أعلم.

وأما الكأس فقال أبو عبيدة(٢) : هو الإناء بما فيه وقال أبو إسحاق(٣): الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه والمفسرون فسروا الكأس بالخمر وهو قول عطاء والكلبى ومقاتل ، حتى قال الضحاك كل كأس فى القرآن فإنما عنى به الخمر وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود فإن المقصود ما فى الكأس لا الإناء

---

(١) سقط من خ .
(٢) مجاز القرآن (٢ / ١٦٩).
(٣) بيان القرآن (٤ / ٣٠٣).

نفسه، وأيضًا فإن من الأسماء ما يكون اسمًا للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس فإن النهر اسم للماء ولمحله معًا ولكل منهما على [انفراد](١) وكذلك الكأس والقرية ولهذا يجيء لفظ القرية مرادًا به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معًا.

وقد أخرجا فى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال: **«جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما .وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ،وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى [جنة](٢) عدن»**(٣) وفيهما أيضًا من حديث أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : **« إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة / [ق ٧٠] البدر والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون،أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد ،على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعًا فى السماء»**(٤).

وفى الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى ﷺ قال: **«لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة»**(٥) وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده: حدثنا شيبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال: قال أنس: «كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل [الرؤيا](٦) فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا [أثنى](٧) عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت

---

(١) فى (خ): على انفراده.
(٢) سقط من ط.
(٣) صحيح : أخرجه البخارى (٤٨٧٨) ومسلم (١٨٠).
(٤) صحيح : أخرجه البخارى (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤).
(٥) صحيح : أخرجه البخارى (٥٦٣٣) ومسلم (٢٠٦٧).
(٦) سقط من (ط).
(٧) فى (خ): أتى.

وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت فإذا فلان ابن فلان وفلان ابن فلان فسمت اثنى عشر رجلاً، كان رسول الله ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدج فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من ذلك البسر ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، فجاء البشير من تلك السرية فقال أصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلاً فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: «قصي رؤياك» فقصتها وجعلت تقول جيء بفلان وفلان كما قال»[(١)] رواه الإمام أحمد فى مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم.

الباب الخمسون

فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الدخان: ٥١-٥٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ۝٣٠ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ (الكهف: ٣٠، ٣١).

قال جماعة من المفسرين: السندس ما رق من الديباج والإستبرق: ما غلظ منه وقالت طائفة ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق. وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الأخضر وألين الملابس الحرير فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (الحج: ٢٣).

ها هنا مسألة وهذا موضع ذكرها وهى أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٣٢٨٦) وابن حبان (٦٠٤٥) وأبو يعلى (٣٢٨٩) وابن أبى الدنيا فى «المنامات» (٣١١).

الجنة حرير وصح عن النبى ﷺ أنه قال: «**من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة**» متفق على صحته من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وقد اختلف فى المراد بهذا الحديث فقالت طائفة من السلف والخلف: أنه لا يلبس الحرير فى الجنة ويلبس غيره من الملابس قالوا: وأما قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ فمن العام المخصص، وقال الجمهور: وهذا من الوعيد الذى حكم [له][1] أمثاله من نصوص الوعيد التى تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف عنه [لمانع][2].

وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضًا الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين وشفاعة من يأذن الله له فى الشفاعة فيه وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر: «**من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة**»،[3] وقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (الإنسان: ١٢) وقال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ (الإنسان: ٢١).

وتأمل ما دلت عليه لفظة «عاليهم» من كون ذلك اللباس ظاهرًا بارزًا يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

وقد اختلف القراء السبعة فى نصب «عاليهم» ورفعه على قراءتين[4]، واختلف النحاة فى وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين واختلف المفسرون: هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق أو للسادات الذين يطوف عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم وعلى السادات هذه الثياب وليس الحال ها هنا بالبين ولا تحته [ق/ ٧١] ذلك المعنى البديع الرائع فالصواب أنه منصوب على الظرف فإن عاليًا لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه، قال أبو

---

(١) سقط من ط.

(٢) وهكذا فى خ.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٥٨٣٢) ومسلم (٢٠٧٣).

(٤) قرأ نافع وأبان عن عاصم: [عَالِيْهِمْ] ساكنة الياء، وكذلك الفضل عن عاصم مثله. وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائي: [عَالِيَهُمْ] بفتح الياء. الحجة (٦ / ٣٥٤).

على: وهذا الوجه أبين وهو أن عاليا صفة فجعل ظرفًا كما كان قوله: ﴿والركب أسفل منكم﴾ كذلك وكما قالوا: هو ناحية من الدار، وأما من رفع عاليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره، ولا يمنع من هذا إفراد عالٍ وجمع الثياب فإن فاعلاً قد يراد به الكثير كما قال:

ألا إن جيراني العشية رائح دعتهم دواع من هوى ومناوح

قال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾(المؤمنون: ٦٧) ومن رفع خضرًا أجراه صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه.

[أحدها][١]: المطابقة بينهما في الجمع.

الثاني: موافقته لقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾(الكهف: ٣١).

الثالث: تخلصه من [وصف][٢] المفرد بالجمع ومن جر أجراه صفة للسندس على إرادة الجنس كما يقال: أهلك الناس الدينار [الصفر][٣] والدرهم البيض.

وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضًا وهو: أن العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ (يس: ٨٠) وكقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾(القمر: ٢٠) فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفراد صفة الواحد وإن كان في معنى الجمع أولى.

وفي إستبرق قراءتان: الرفع عطفًا على ثياب والجر عطفًا على سندس وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريبًا فجمَّل البواطن بالشراب الطهور، والسواعد بالأساور، والأبدان بثياب الحرير، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾(الحج: ٢٣)

---

(١) هكذا في خ.
(٢) سقط من ط.
(٣) في خ: الأصفر.

واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه فمن نصبه ففيه وجهان:

أحدهما: أنه عطف على موضع قوله: من أساور

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول أي ويحلون لؤلؤًا ومن جره فهو عطف على الذهب ثم يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معًا: الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن رزق حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني عتبة ابن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: «إن لله عز وجل ملكًا منذ يوم خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة لو أن قلبًا من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس، فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة» حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري، حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: «الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء» حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم**»[١].

وقال ابن وهب: حدثني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة قال: إن أبا أمامة حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال: «**مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب جرد مرد مكحلون**»[٢].

وقد أخرجا في الصحيحين -والسياق لمسلم- عن أبي حازم قال: «كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه فقلت يا أبا هريرة ما هذا

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٥٣٨) وأحمد (١٤٥٢) والبزار (١٢٢٦) والطبراني في «الأوسط» (٨٨٨٠).

(٢) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٦٧).

الوضوء؟ فقال: يا بنى فروخ أنتم ها هنا ؟لو علمت أنكم ها هنا ما توضأت هذا الوضوء وسمعت خليلى ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»(١) وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته والصحيح أنه لا يستحب وهو قول أهل المدينة وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة فإن الحلية إنما تكون زينة فى الساعد والمعصم لا فى العضد والكتف،وأما قوله: «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»(٢) فهذه الزيادة مدرجة من كلام أبى هريرة لا من كلام النبى ﷺ بين ذلك غير واحد من الحفاظ. وفى مسند الإمام أحمد فى هذا الحديث قال نعيم: فلا أدرى قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل(٣) من كلام النبى ﷺ أو شىء قاله أبو هريرة من عنده ،وكان شيخنا يقول هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله ﷺ فإن الغرة لا تكون فى اليد ،لا تكون [ق/ ٧٢] إلا فى الوجه وإطالته غير ممكنة إذ تدخل فى الرأس فلا تسمى ذلك غرة.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعم ولايبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ،وفى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»(٤).

وقوله لا تبلى ثيابه: الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل أن يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد كما أنها لا ينقطع أكلها فى جنسه بل كل مأكول يخلفه مأكول آخر والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا محمد بن أبى الوضاح حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع حدثنا [حنان](٥) بن خارجة عن عبد الله بن عمرو

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٣٦) ومسلم (٢٥٠).
(٢) انظر السابق.
(٣) انظر: أحمد (٨٢٠٨) و (٨٩٤٢).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٣٦).
(٥) فى خ: حبان

قال: «جاء أعرابى حرمى فقال: يا رسول الله ﷺ أخبرنا عن الهجرة؟ إليك أينما كنت، أم لقوم خاصة، أم إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس، فسكت رسول الله ﷺ يسيرًا ثم قال: «**أين السائل**» فقال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: «**الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر**» فقام آخر فقال: يا رسول الله أخبرنى عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقًا أم [تنسج][1] نسجًا؟ قال فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**تضحكون من جاهل يسأل عالمًا !!**» فسكت النبى ﷺ ثم قال: «**أين السائل عن ثياب أهل الجنة؟**» فقال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: «**لا بل تشقق عنها [ثمر][2] الجنة**»[3] ثلاث مرات.

وقال الطبرانى فى معجمه: حدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى والحسن بن على الفسوى قالا: حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «**أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب درى فى السماء لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهما من وراء لحومهما وحللهما، كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء**»[4] وهذا الإسناد على شرط الصحيح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد حدثنا [الخزرج][5] بن عثمان السعدى حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة**

---

(١) سقط من ط.
(٢) فى خ: ثمار.
(٣) صحيح: أخرجه النسائى (٤١٧٦) وأحمد (٧٠٥٥) والبزار (٢٤٣٤).
(٤) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٦٧) والبزار (١٨٥٥) والطبرانى فى «الأوسط» (٩١٩) و«الكبير» (٨٨٦٤) (١٠٣٢١).
(٥) فى خ: الخررجي.

خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها» قال: قلت: يا أبا هريرة وما النصيف؟ قال: «الخمار»(١).

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو أن دراجًا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الرجل ليتكيء فى الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها : من أنت؟ فتقول : أنا المزيد ، وأنه ليكون عليها سبعون ثوبًا أدناها مثل النعمان من [طوبى]**(٢) **فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب**»(٣). وروى الترمذى وذكر التيجان :وإن أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشدين بن سعد عن عمرو به .

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا محمد بن إدريس الحنظلى حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل ابن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله ﷺ - قال: «**ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا أنطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أى ذلك شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر ،وإن شاء أسود ،مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن**».

قال ابن أبى الدنيا: وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفى عن خاله الزميل أنه سمع أباه قال: «قلت لابن عباس :ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولى الله كسوة انحدرت [فيه](٤) إليه من غصنها فانفلقت

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٩٩٠٠).

(٢) فى خ: طوى.

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذى (٢٥٦٢) وأحمد (١١٧٣٣)، وابن حبان (٧٣٩٧)، والحاكم (٣٥٩٤)، وأبو يعلى (١٣٨٦)، بسند ضعيف.

(٤) سقط من خ .

عن سبعين حلة ألوانًا بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت».

قال: وحدثنا عبد الله بن أبى خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله: طوبى لمن رآك وآمن بك فقال: **طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى** / [ق٧٣] **ولم يرنى» فقال له رجل: وما طوبى؟ قال: «شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».**

قال: وحدثنى يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبى المهزم قال: قال أبو هريرة: «دار المؤمن فى الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بإصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام سبعين حلة متمنطقة باللؤلؤ والمرجان».

قال: وحدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان ابن عمرو عن شريح بن عبيد قال: قال كعب: «لو أن ثوبًا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم».

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشير ابن كعب أو غيره قال: ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هى أرق من شقيقكم هذا، يرى مخ ساقها من وراء اللحم.

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «أهدى أكيدر دومة إلى النبى ﷺ جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها، فقال: «لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا» (١).

وفى الصحيحين أيضًا من حديث البراء قال: أهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول الله ﷺ: **«تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا»** (٢).

(١) صحيح أخرجه البخارى (٢٦١٦) ومسلم (٢٤٦٩).
(٢) صحيح أخرجه البخارى (٢٣٤٩) ومسلم (٢٤٦٨).

ولا يخفى ما فى ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ها هنا فإنه كان فى الأنصار بمنزلة الصدِّيق فى المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم ،وختم له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ،ووافق حكمه الذى حكم به حكم الله فوق سبع سمواته،ونعاه جبريل إلى النبى ﷺ يوم موته،فحق له أن تكون مناديله التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حلل الملوك.

فصل

ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم

ذكر البيهقى من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب أنبأنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبرى وزيد بن أسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ،وجعله رفيق السفرة الكرام البررة،وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجًا ،فقال يا رب كل عامل يعمل فى الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلانًا كان يقوم فى آناء الليل والنهار فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول :يا رب ،فأعطه ،فيتوجه الله تاج الملك ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول : هل رضيت؟فيقول:يا رب أرغب له فى أفضل من هذا فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله ثم يقول له:هل رضيت؟فيقول :نعم يا رب»**[1].

وذكر الإمام أحمد فى المسند من حديث ابن بريدة عن أبيه يرفعه: **«تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة،ثم سكت ساعة ثم قال:تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ،وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ،والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له:هل تعرفنى ؟فيقول له:ما أعرفك فيقول له القرآن :أنا الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك،وإن كل تاجر**

(١) ضعيف: أخرجه البيهقى فى «الشعب» (١٩٩١) فيه إسماعيل بن رافع، وهو ضعيف.

من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة ،فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟فيقال بأخذ ولدكما القرآن ،ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هزًا كان أو ترتيلاً»(١) . (البطلة) السحرة (الغياية) ما أظل الإنسان فوقه . وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ : «تلا قوله عز وجل:﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ (فاطر: ٣٣) فقال إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة [منها] (٢) لتضيء ما بين المشرق والمغرب»(٣) .

فصل

وأما الفرش فقد قال تعالى:﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ (الرحمن: ٥٤) وقال تعالى :﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ (الواقعة: ٣٤) فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق وهذا يدل على أمرين:

أحدهما :أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة ،قال سفيان [ق/ ٧٤] الثورى عن أبى إسحاق عن هبيرة بن يريم عن عبد الله فى قوله بطائنها من إستبرق قال هذه البطائن قد خبرتم بها فكيف بالظهائر؟ .

الثانى: يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة وقد روى فى سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمراد ارتفاع محلها كما رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ :فى قوله:﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ (الواقعة: ٣٤) قال : «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٢٢٤٤١) والدارمى (٣٢٦٨) والبيهقى فى «الشعب» (١٩٨٩) وابن أبى شيبة (٧/ ١٧٠).

(٢) سقط من ط.

(٣) تقدم.

عام»[1] قال الترمذى: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قيل ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها قلت: رشدين بن سعد[2] عنده مناكير قال الدارقطنى ليس بالقوى وقال أحمد: لا يبالى عمن روى وليس به بأس فى الرقاق وقال: أرجو أنه صالح الحديث وقال يحيى بن معين: ليس بشيء وقال أبو زرعة: ضعيف وقال الجوزجانى: عنده مناكير ولا ريب أنه كان سيئ الحفظ فلا يعتمد على ما ينفرد به.

وقد قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: فى قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: «ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض»[3] وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ فالله أعلم.

وقال الطبرانى: حدثنا المقدام بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن كعب فى قوله عزّ وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: مسيرة أربعين سنة.

قال الطبرانى: حدثنا إبراهيم بن نائلة حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: «لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف»[4] وفى رفع هذا الحديث نظر فقد قال ابن أبى الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا معاذ بن هشام قال: وجدت فى كتاب أبى القاسم عن أبى أمامة: فى قوله عزّ

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذى (٢٥٤٠) وأبو يعلى (١٣٩٦) قال الترمذي: هذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد.

(٢) ميزان الاعتدال (٣ / ٧٥).

(٣) ضعيف: أخرجه البيهقى فى «البعث» (٣٤٢).

(٤) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى الكبير (٧٩٤٧). قال الهيثمى: فيه جعفر بن الزبير الحنفى وهو ضعيف. المجمع (٧ / ٢٥٧) وقال الشيخ الألباني: ضعيف جدا. ضعيف الجامع (١٠٢٩٤).

وجلّ: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾قال: «لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفًا».

فصل

وأما البسط والزرابى فقد قال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن: ٧٦) وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية: ١٣-١٦).

وذكر هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال: (الرفرف) رياض الجنة و(العبقرى) عتاق الزرابى وذكر إسماعيل بن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ قال: هى البسط قال: وأهل المدينة يقولون: هى البسط وأما النمارق فقال الواحدى: هى الوسائد فى قول الجميع واحدها: نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسرها وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاته أنماطه ونمارقه

قال الكلبى: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، وقال مقاتل: هو الوسائد مصفوفة على الطنافس وزرابى: [بمعنى] (١) البسط والطنافس واحدها زربية فى قول جميع أهل اللغة [والتعبير] (٢) ومبثوثة: مبسوطة منشورة.

فصل

وأما الرفرف فقال الليث: هو ضرب من الثياب خضر تبسط، الواحد: رفرفة وقال أبو عبيد: الرفارف البسط وأنشد لابن مقبل:

وإنا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ريط ورفرف

وقال أبو إسحاق: قالوا: الرفرف هنهنا رياض الجنة، وقالوا: الرفرف الوسائد وقالوا: الرفرف المحابس وقالوا: فضول المحابس للفرش وقال المبرد: هو فضول الثياب

(١) فى خ: يعني.
(٢) فى خ: والتفسير.

التى تتخذ الملوك فى الفرش وغيره قال الواحدى: وكان الأقرب هذا لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقة التى تخاط فى أسفل الخباء :رفرفًا ومنه الحديث فى وفاة النبى ﷺ : «**فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة**» . قال ابن الأعرابى: الرفرف هـهنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفًا .

قلت: أصل هذه الكلمة من الطرف والجانب فمنه الرف فى الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب [الدرع][(١)] وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحيه حول الشىء يريد أن يقع عليه، والرفرف [ق/ ٧٥] ثياب خضر يتخذ منها المحابس ، الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شىء فثنى وعطف فهو رفرف فى حديث ابن مسعود ، فى قوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ (النجم: ١٨) قال: «رأى رفرفًا أخضر سدَّ الأفق» وهو فى الصحيحين .

فصل

وأما العبقرى فقال أبو عبيدة : كل شىء من البسط عبقرى ، قال : ويرون أنها أرض [توشى][(٢)] فيها، وقال الليث : عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال: كأنهم جن عبقر قال أبو عبيدة فى حديث النبى ﷺ حين ذكر عمر : «فلم أر عبقريًا يفرى فريه» وإنما أصل هذا فيما يقال أنه نسب إلى عبقر وهى أرض يسكنها الجن مثلاً منسوبًا إلى شىء رفيع وأنشد لزهير:

[غال][(٣)] عليها جبة عبقرية   جديرون يومًا أن ينالوا فيستعلوا

قال أبو الحسن الواحدى: وهذا القول هو الصحيح فى العبقرى وذلك أن العرب إذا بالغت فى وصف شىء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد:

جن الندا رواسيا أقدامها

---

(١) فى خ : الزرع.
(٢) فى خ : موشي.
(٣) فى خ : تخيل.

وقال آخر يصف امرأة:

جنية ولها جن يعلمها   رمي القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون فى الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان عبقر معروفًا بسكناهم نسبوا كل شىء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الأصل ،ثم صار العبقرى اسمًا ونعتًا لكل ما بولغ فى صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله فى صفة عمر عبقريًا وروى سلمة عن الفراء قال: العبقرى السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى لما نسب إليها غير الموشى وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب إليها كل ما بولغ فى وصفه.

قال ابن عباس :عبقرى يريد البسط والطنافس .

وقال الكلبى :هى الطنافس المخملة.

وقال قتادة: هى عتاق الزرابى وقال مجاهد :الديباج الغليظ وعبقرى جمع [واحدة عبقرية ولهذا وصف بالجمع][1] فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابى بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سمكها ولينها،وبث الزرابى دال على كثرتها وأنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخرة وجوانبه ، ووصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائمًا ليست مخبأة تصف فى وقت دون وقت ،والله أعلم.

الباب الحادى والخمسون

فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى :﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (الرحمن: ٧٢) وفى الصحيحين من

---

(١) سقط من ط.

حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ :«إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ،فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا».

وفى لفظ لهما :«فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل ،ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن»(١).

وفى لفظ لهما أيضًا:«الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل لا يراهم الآخرون».

وللبخارى وحده لفظ:«طولها ثلاثون ميلاً»وهذه الخيام غير الغرف والقصور بل هى خيام فى البساتين وعلى شواطئ الأنهار.

وقال ابن أبى الدنيا:حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى قال:سمعت أبا سليمان قال:«ينشأ خلق الحور العين إنشاء ،فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام»وقال بعضهم :لما كن أبكارًا وعادة البكر [أن تكون](٢) مقصورة فى خدرها حتى يأخذها بعلها،أنشأ الله تعالى الحور العين وقصرهن فى خدور الخيام حتى يجمع بينهن أوليائه فى الجنة».

وقال ابن أبى الدنيا :حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال:«لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة،ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا مزجات ولا زفرات [ولابخرات] (٣)ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون».

حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال:سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود ،فى قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٤٣) ومسلم (٢٨٣٨).
(٢) سقط من ط.
(٣) فى خ: ساخرات.

الْخِيَامِ﴾ (الرحمن: ٧٢) قال: در مجوف.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان التيمى عن قتادة عن خليد [ق/ ٧٦] العصرى عن أبى الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها من درة».

قال ابن المبارك: وأخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «الخيمة درة مجوفة فرسخ [في فرسخ](١) لها أربعة آلاف [مصراع](٢) من ذهب».

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قال: فى خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة.

حدثنى محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن [الصباح](٣) عن أبى صالح عن ابن عباس ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾قال: الخيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخًا يدخل عليه من كل باب منها [ملك](٤) بهدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد: ٢٣) والله أعلم.

وأما السرر فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الطور: ٢٠) وقال تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ (الواقعة: ١٣-١٦) وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ (الغاشية: ١٣) فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدًا من بعض وأخبر أنها موضونة والوضن فى اللغة: النضيد والنسيج المضاعف يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض، فهو موضون.

وقال الليث: الوضن نسج السرير وأشباهه ويقال درع [موضون](٥) مقاربة

(١) سقط من ط.
(٢) كذا فى خ.
(٣) فى خ: الصالح.
(٤) سقط من ط.
(٥) سقط من ط.

[في](١) النسج وقال رجل من العرب لامرأته :ضنى متاع البيت أى قاربى بعضه من بعض.

قال أبو عبيدة (٢) والفراء(٣) والمبرد وابن قتيبة :موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع ومنه سمى الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها على بعض وأنشدوا للأعشى:

ومن نسج داود موضونة   تساق مع الحي عيرًا فعيرا

قالوا :موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد قال هشيم : أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال:«مرمولة بالذهب وقال مجاهد: موصولة بالذهب وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس موضونة :مصفوفة فأخبر سبحانه أنها مرفوعة.

قال عطاء عن ابن عباس: قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وأيلة .

وقال الكلبى :طول السرير فى السماء مائة [ذراع](٤) فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

فصل

وأما ﴿الأَرَائِكِ﴾ فهى جمع أريكة قال مجاهد عن ابن عباس: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ (الكهف:٣١)قال :لا تكون أريكة حتى يكون السرير فى الحجلة فإذا كان سريرًا بغير حجلة وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة قال:ولا تكون أريكة إلا والسرير فى الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة.

---

(١) سقط من ط.
(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٨).
(٢) انظر: «معانى القرآن» (٣/ ١٢٢).
(٤) فى خ: عام.

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال قال الليث: الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك، وقال أبو إسحاق الأرائك: الفرش في الحجال.

قلت: هنهنا ثلاثة أشياء: أحدها: السرير، والثانية: الحجلة وهى البشخانة التى تعلق فوقه، والثالث: الفراش الذى على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله.

وفى الصحاح [(١)]: الأريكة سرير متخذ مزين فى قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الأرائك.

وفى الحديث: «أن خاتم النبى ﷺ كان مثل زر الحجلة» وهو الزر الذى يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها، والله أعلم.

الباب الثانى والخمسون

في ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ (الواقعة: ١٧، ١٨) وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ (الإنسان: ١٩) قال أبو عبيدة [(٢)] والفراء [(٣)]: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد، وقال الآخرون: مخلدون مقرطون مسورون أى فى آذانهم القرطة وفى أيديهم الأساور وهذا اختيار ابن الأعرابى قال: مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهى القرطة. وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهى القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب. وكذلك قال سعيد بن جبير

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» (ص: ٦).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٠).

(٣) انظر: «معانى القرآن» (٣/ ٢١٨).

مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين (إحداهما) أن الخلود عام لكل من الجنة فلا بد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختف وذلك [ق/ ٧٧] هو القرطة. الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان

وقال الأولون: الخلد هو البقاء قال ابن عباس: غلمان لا يموتون وقول ترجمان القرآن فى هذا كاف- وهذا قول مجاهد والكلبى ومقاتل-قالوا: لا يكبرون ولا يهرمون ولايتغيرون وجمعت طائفة بين القولين وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفى آذانهم القرطة فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفى كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون فى خدمتهم وحوائجهم.

والثانى: أن اللؤلؤ إذا كان منثورًا ولا سيما على بسط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعًا فى مكان واحد.

وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة إنشاء : على قولين:

فقال علي بن أبى طالب والحسن البصرى: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولاحسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها.

قال الحاكم: ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا آدم ثنا المبارك ابن فضالة عن الحسن فى قوله: ﴿**ولدان مخلدون**﴾ قال: «لم يكن لهم حسنات [فيجزون بها][1] ولاسيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذاالموضع» ومن أصحاب هذا القول من قال هم أطفال المشركين فجعلهم الله خدمًا لأهل الجنة واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبى حازم المدينى عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**سألت ربى اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم**

---

(١) سقط من ط.

فهم خدم أهل الجنة»[١]. يعنى الأطفال .

قال الدارقطنى: ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبى ﷺ ،انتهى ،ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى عن أنس وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة: واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت وأصحاب القول الأول لا يقولون :إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم الله فى الجنة [إنشاء] [٢] كما أنشأ الحور العين .

قالوا :وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين ولما رواه ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث أن دراجًا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : **«من مات من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار»**[٣]رواه الترمذى.

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدمًا لهم وغلمانًا كما قال تعالى :﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾(الطور: ٢٤)وهؤلاء غير أولادهم فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أبناءهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانًا لهم.

وقد تقدم فى حديث أنس عن النبى ﷺ :**«أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون»**[٤] ،**والمكنون :المستور المصون الذى لم تبتذله الأيادى وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة يطوف عليهم واعتبرتها بقوله تعالى :** ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ وضممت ذلك إلى حديث أبى سعيد المذكور آنفًا علمت

(١) أخرجه الطيالسى (٢١١١)، وأبو يعلى (٤٠٩٠)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٦ / ٣٠٨) بسند ضعيف.
(٢) سقط من ط.
(٣) تقدم.
(٤) تقدم.

أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى فى الجنة ،والله أعلم.

الباب الثالث والخمسون
فى ذكر نسائهم وسراريهم وأصنافهن
وحسنهن وأوصافهن وجمالهن
الظاهر والباطن الذى وصفهن الله تعالى به فى كتابه

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة: ٢٥).

فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره وجمع سبحانه فى هذه البشارة نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين [ق/ ٧٨] بمعرفة دوام هذا العيش أبد الأباد وعدم انقطاعه.

والأزواج: جمع زوج والمرأة زوج الرجل وهو زوجها. هذا هو الأفصح فهو لغة قريبة وبها نزل القرآن. كقوله: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[البقرة: ٣٥] ومن العرب من يقول زوجة[1] وهو نادر لا يكادون يقولونه وأما المطهرة وإن جرت صفة على الواحد فيجرى صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعة كقوله تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾(التوبة: ٧٢) ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾(سبأ: ١٨) ونظائره، والمطهرة التى طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

---

(١) سقط من ط.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا شعبة عن قتادة عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن النبى ﷺ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ قال: «من المحيض والغائط والنخامة والبصاق»(١) وقال عبد الله [بن مسعود وعبد الله](٢) ابن عباس: مطهرة لا يحضن ولا يمذين ولا يتنخمن، وقال ابن عباس أيضًا مطهرة من القذر والأذى.

وقال مجاهد: لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن. وقال قتادة: مطهرة من الإثم والأذى طهرهن الله سبحانه [من](٣) كل بول وغائط وقذر ومأثم. وقال عبد الرحمن بن زيد: المطهرة التى لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام؟ قال: وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما عصت قال الله: إنى خلقتك مطهرة وسأدميك كلما دميت هذه الشجرة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الدخان: ٥١-٥٦).

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضًا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا.

والحور: جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم: الحوراء التى يحار فيها الطرف، وعين: حسان الأعين، وقال مجاهد: الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين واختلف فى اشتقاق

---

(١) تقدم.
(٢) سقط من ط.
(٣) سقط من ط.

هذه اللفظة فقال ابن عباس :الحور فى كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة : الحورالبيض وقال مقاتل:الحور البيض الوجوه ،وقال مجاهد :الحور العين التى يحار فيهن الطرف باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه فى كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور [البيض] (١) والتحوير التبييض والصحيح :أن الحور مأخوذة من الحور فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين.

وفى الصحاح(٢): الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها، امرأة حوراء :بينة الحور وقال أبو عمرو :الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس فى بنى آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين لأنهن شبهن الظباء والبقر وقال الأصمعى : ما أدرى ما الحور [في](٣) العين: قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة فى اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض فى سواد، والحور فى العين:معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر وعين الحوراء :إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

والعين:جمع عيناء وهى العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء والجمع عين والصحيح :أن العين اللائى جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة قال مقاتل:العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها فى طول ، وضيق العين فى المرأة من العيوب ،وإنما يستحب الضيق منها فى أربعة مواضع فمها وخرق أذنها وأنفها وما [هناك](٤)،وتستحب السعة منها فى أربعة مواضع:وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها وجبهتها ويستحب البياض منها فى أربعة مواضع لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها ويستحب السواد منها فى أربعة

---

(١) فى خ: البياض.
(٢) انظر: «مختار الصحاح» (ص:٦٧).
(٣) سقط من ط.
(٤) فى خ: هنالك.

مواضع: عينها وحاجبها وهدبها وشعرها، ويستحب الطول منها فى أربعة مواضع: قوامها وعنقها وشعرها [وبنانها](١)، ويستحب القصر منها فى أربعة: وهى معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج [وعن بذله](٢)، وتستحب الدقة منها فى أربعة خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.

فصل

وقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾(الطور: ٢٠) قال أبو عبيدة(٣): جعلناهم أزواجًا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها قال ابن نصر: هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾(الأحزاب: ٣٧).

ولو كان على تزوجت بها لقال: زوجناك بها وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائى أيضًا وقال الأزهرى: تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم: تزوجت بامرأة، قال: وقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾أى قرناهم وقال الفراء(٤): هى لغة فى أزد شنوءة قال الواحدى: وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشيء زوجًا، لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال: كان فردًا فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج.

«قلت»: ولا يمتنع أن يراد الأمران معًا، فلفظ التزويج [يدل](٥) على النكاح كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من

---

(١) فى خ: وثيابها.
(٢) سقط من ط.
(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/٢٠٩).
(٤) انظر: «معانى القرآن» (٣/٤٤).
(٥) سقط من ط.

حذفها والله أعلم. وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٥٦-٥٨).

وصفهن سبحانه وتعالى بقصر الطرف في ثلاثة مواضع:

أحدها: هذا.

والثاني: قوله -تعالى- في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ (الصافات: ٤٨).

والثالث: قوله- تعالى - في «ص»: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ (ص: ٥٢).

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل كحسان الوجه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد.

قال آدم: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ قال يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات» وقال منصور عن مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وفي تفسير سعيد عن قتادة قال: وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وأما الأتراب فجمع ترب: وهو لدة الإنسان.

قال أبو عبيدة [(١)] وأبو إسحاق أقران: أسنانهن واحدة، قال ابن عباس وسائر المفسرين [مستويات] [(٢)] على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد: أتراب أمثال، قال أبو إسحاق: أي هن في غاية الشباب والحسن وسمي

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٥).
(٢) سقط من ط.

الإنسان وقرنه تربه لأنه سن تراب الأرض معه فى وقت واحد والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لايطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم وقد اختلف فى تفسير الضمير فى قوله تعالى فيهن فقالت طائفة: تفسيره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام وقالت طائفة: تفسيره الفرش المذكورة فى قوله:﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ (الرحمن: ٥٤) «وفى» بمعنى «على» وقوله تعالى :﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (الرحمن: ٥٦).

قال أبو عبيدة: لم يمسهنَّ يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أى ما مسه وقال يونس تقول العرب هذا جمل ماطمثه حبل قط أي ما مسه وقال الفراء :الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية ،والطمث هو الدم وفيه لغتان طمث يطمث ويطمث قال الليث طمثت الجارية إذا افترعتها والطامث فى لغتهم هى الحائض قال أبو الهيثم: يقال للمرأة: طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض فهى طامث[ق/ ٨٠] وقال فى قول الفرزدق:

خرجن إلي لم يطمثن قبلي وهن أصح من بيض النعام

أى لم يُمْسَسْن قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه ألفاظهم وهم مختلفون فى هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى أنشئن فى الجنة من حورها وبعضهم يقول يعنى نساء من نساء الدنيا أنشئن خلقًا آخر أبكارًا كما وصفهن.

قال الشعبى: نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقا.

وقال مقاتل: لأنهن خلقن فى الجنة، وقال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللاتى متن أبكارًا.

وقال الكلبى: لم يجامعهن فى هذاالخلق الذى أنشئن فيه إنس ولا جان.

قلت: ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك.

قال أبو إسحاق: وفى هذه الآية دليل على أن الجنى يغشى كما أن الإنس تغشى ويدل على أنهن الحور اللاتى خلقن فى الجنة أنه سبحانه [جعلهن][1] مما أعده الله فى الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ويدل عليه أيضا الآية التى بعدها وهى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾(الرحمن: ٧٢) ثم قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾.

قال الإمام أحمد: والحور العين لا يمتن عند النفخة فى الصور لأنهن خلقن للبقاء وفى الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور أن مؤمن الجن فى الجنة كما أن كافرهم فى النار وبوب عليه البخارى فى صحيحه فقال: باب ثواب الجن وعقابهم، ونص عليه غير واحد من السلف قال ضمرة بن حبيب: «وقد سئل هل للجن ثواب؟ فقال: نعم وقرأ هذه الآية ثم قال: الإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية: إذا جامع الرجل ولم يسمّ انطوى الجان على إحليله فجامع معه والضمير فى قوله تعالى (قبلهم) للمعنيين بقوله متكئين وهم أزواج هؤلاء النسوة.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٥٨).

قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان شبههن فى صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

فصل

وقال تعالى فى وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾(الرحمن: ٧٢) المقصورات المحبوسات قال أبو عبيدة: خدرن فى الخيام وكذلك قال مقاتل: محبوسات فى الخيام وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم فى الخيام وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم

---

(١) كذا فى خ.

ولايطمحن إلى من سواهم ذكره الفراء.

«قلت» : وهذا معنى ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾لكن أولئك قاصرات بـأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقـوله تعالى :فى الخيام على هذا القول: صفـة الحور أى هنَّ فى الخيام، وليس معمولاً لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا بأن يكنَّ محبوسات فى الخيام لا يفارقنها إلى الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا: بأن الله سبـحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أكمل فى الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبـسايتن كمـا أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخـدرات المصونات لا يمتنع أن يخرجن فى سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم لهن القصر فى البـيت ويعـرض لهن مع الخـدم الخروج إلى البـسـاتين ونحـوها، وأمـا مجـاهد فقال: مـقصورات قلوبهن على أزواجـهن فى خيام اللؤلؤ » وقد تقـدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقـصورات والوصفان لكلا النوعين فإنهمـا صفتا كـمال فتلك الصفـة قصر الطرف عن طموحـه إلى غير الأزواج وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال.

فصل

وقال تعالى :﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ (الرحمن: ٧٠) فالخيرات جمع خيرة وهى مخففة من خـيرة كسيدة ولينة وحسان جمع حسنة فهن خـيرات الصفات والأخلاق والشيم حسان الوجوه .

قال وكيـع :حدثنا سفيـان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبـيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل [خيمة][١] أربعة أبواب يدخل عليها فى كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا

(١) سقط من ط .

ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات»[١].

فصل

وقال تعالى :﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٣٥-٣٨).

أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر لأن الفرش دلت عليهن إذ هي محلهن وقيل الفرش [ق/ ٨١] في قوله:﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾(الواقعة: ٣٤) كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال المراد رفعة القدر.

وقد تقدم تفسير النبي ﷺ للفرش وارتفاعها ،فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء لأنها محلهن غالبًا قال قتادة وسعيد بن جبير :خلقناهن خلقًا جديدًا وقال ابن عباس : يريد نساء الآدميات وقال الكلبي ومقاتل:يعني نساء أهل الدنيا العجز والشمط يقول تعالى : خلقناهم بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا ،ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع «هن عجائزكم العمش [الغمص][٢]» رواه الثوري عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عنه ويؤيده ما رواه بحيى الحماني حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة «أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها عجوز فقال :من هذه ؟ فقالت :إحدى خالاتي ،قال:«أما إنه لا يدخل الجنة العجوز»فدخل على العجوز منذ ذلك ما شاء الله فقال النبي ﷺ ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾خلقًا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً وأول من يكسى إبراهيم خليل الله ثم قرأ النبي ﷺ ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ .

قال آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن جابرالجعفي عن زيد بن مرة عن سلمة بن زيد قال:سمعت رسول الله -ﷺ- يقول في قوله:﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال :«يعني

---

(١) ضعيف : أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٣٨) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٩٦).

(٢) في المطبوع: الرمص.

الثيب والأبكار اللاتى كن فى الدنيا».

قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة العجز»، فبكت عجوز، فقال رسول الله ﷺ «أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز، إنها يومئذ شابة، إن الله عز وجل**: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾.

وقال ابن أبى شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد ابن أبى عروة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة: أن النبى ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة، فقال نبى الله ﷺ إن الجنة لا يدخلها عجوز. فذهب النبي ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة. فقال النبي ﷺ[1]: **«إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارًا»** [2].

وذكر مقاتل قولاً آخر وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين اللاتى ذكرهن، قيل: أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى فى الجنة إنشاء ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه قال فى حق السابقين: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (الواقعة: ١٧-٢٣) فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم فالظاهر: أنهن مثل نساء من قبلهن خلقن فى الجنة.

الثانى: أنه سبحانه قال: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان لأنه

---

(١) سقط من ط.

(٢) حسن: أخرجه هناد فى «الزهد» (٢٤) والطبرانى فى «الأوسط» (٥٥٤٥). وقال: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا سعيد بن أبى عروبة.

سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني [يقيده](١) بذلك كقوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ﴾ (النجم :٤٧) وقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ﴾(الواقعة: ٦٢).

الثالث: أن الخطاب بقوله ﴿وكنتم أزواجًا ثلاثة﴾ إلى آخره للذكور والإناث والنشأة الثانية أيضًا عامة للنوعين وقوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ ، ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين فى هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هن أحق به منهن فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم وقوله: ﴿عربا﴾جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن قال ابن الأعرابى :العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه وقال أبو عبيدة :العروب الحسنة التبعل.

«قلت» يزيد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد :هى العاشقة لزوجها وأنشد للبيد:

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشي دونها البصر

وذكر المفسرون فى تفسير «العرب» أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك ألفاظهم، وقال البخارى فى صحيحه عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة [ق/ ٨٢] ، وأهل المدينة [الغنجة وأهل العراق](٢) الشكلة«والعرب» المتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره فى كتاب «بدء الخلق» .

وقال في كتاب التفسير: في سورة الواقعة: عربًا مثقلة، واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة: العربة، وأهل المدينة: الغنجة، وأهل العراق: الشكلة.

قلت: فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء، وبه تكمل لذة الرجل بهن، وفي قوله ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] إعلام بكمال اللذة بهن، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها، وكذلك هي أيضًا.

---

(١) سقط من ط. (٢) سقط من خ.

فصل

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ (النبأ: ٣١-٣٣).

فالكواعب: جمع كاعب وهى الناهد، قاله قتادة ومجاهد والمفسرون قال الكلبى: هن المفلكات اللواتى تكعب ثديهن وتفلكت، وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب.

فصل

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الجنة وما فيها، ولواطلعت امرأة من نساء أهل الدنيا إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[1] .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضوأ كوكب درى فى السماء ولكل امرئ منهم زوجتان [اثنتان]**[2] **يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب**»[3].

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين**

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٧٩٦).
(٢) سقط من ط.
(٣) صحيح: تقدم.

على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب»(١).

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياطي حدثنا عمرو بن هشام البيروتي حدثنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: «قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل ﴿وحور عين﴾قال: **«حور عين (عين)ضخام العيون شقر الحوراء بمنزلة جناح النسر» قلت :أخبرني عن قوله عز وجل** :﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ قال : **«صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى»**،قلت:يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿فيهن خيرات حسان﴾**قال:«خيرات الأخلاق حسان الوجوه»قلت:يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل** : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات : ٤٩] قال : **«رقتهن كرقة الجلد الذى رأيته فى داخل البيضة مما يلى داخل القشر وهو الغرقىء»،قلت:يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل** : ﴿عربًا أترابًا﴾ **قال:«هن اللواتي قبضن فى دار الدنيا عجائز رمصًا شمطًا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربًا متعشقات متحببات أترابًا على ميلاد واحد» ،قُلت :يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟قال:«بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة»قلت:يا رسول الله وبم ذلك؟قال:«بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله تعالى ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير،بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ،وطوبى لمن كنا له وكان لنا»،قُلت:يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال: « يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقًا أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقًا فى دار الدنيا فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»**(٢) تفرد به سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى

---

(١) تقدم.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني فى «الكبير» (٢٣/٣٦٧) حديث (٨٧٠) و«الأوسط» (٣١٦١). وقال لم يروه عن هشام إلا سليمان تفرد به عمرو.

عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلامًا ثم ساق الحديث من طريقه، قال: لا يعرف إلا بهذا السند.

وقال أبو يعلى الموصلى: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك ابن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور وفيه «**فأقول يا رب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك وأذنت لهم فى دخول الجنة**» وكان رسول الله ﷺ يقول:

«**والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله عز وجل فى الدنيا** [ق/ ٨٣] **يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوته على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجًا من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها**». وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة فبينا هو عندها لا يملها ولاتمله ولايأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكى قبلها، فبينا هو كذلك إذ نودى قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا منى ولا منية إلا أن تكون له أزواج غيرها فيخرج فتأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما فى الجنة شىء أحسن منك وما فى الجنة شىء أحب إلى منك»[١].

هذا قطعة من حديث الصور وهذا تفرد به إسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذى وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطنى وغيره: متروك الحديث وقال ابن عدى عامة أحاديثه فيها نظر، وقال الترمذى، ضعفه بعض أهل العلم وسمعت محمدا يعنى البخارى يقول: هو ثقة مقارب الحديث.

---

(١) ضعيف: تقدم.

وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل وغيره هذه السياقة ، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد، وما تضمنه معروف في الأحاديث، والله أعلم.

وقال عبد الله بن وهب :حدثنا عمرو أن دراجًا حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء**»[1] رواه الترمذى ولكن دراج أبو السمح بالطريق ،قال أحمد :أحاديثه مناكير وقال النسائى :منكر الحديث وقال أبوحاتم :ضعيف وقال النسائى أيضًا ليس بالقوى وساق له ابن عدي أحاديث وقال: عامتها لا يتابع عليها.

وقال الدارقطني: ضعيف وقال: مرة متروك وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي ابن المديني هو ثقة.

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ قال: «**ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلوة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى ينفذها بصره يرى مخ ساقيها من وراء ذلك**»[2].

وقال الفريابي: أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج اثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني**»[3].

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذى (٢٥٦٢) وابن حبان (٧٤٠١) وأبو يعلى (١٤٠٥) وأحمد (١١٣٢٠).

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (١١٣١٨) وابن حبان (٧٣٩٧) والحاكم (٣٧٧٤) وأبو يعلى (١٣٨٧).

(٣) ضعيف: انظر: «ضعيف الجامع» (٥١٤٣) و «الضعيفة» (٤٤٧٣).

قلت: خالد هذا هو ابن يـزيد بن عبد الرحـمن الدمشقى ، وهاه ابن مـعين وقال أحمد : ليس بشيء وقال النسائي : غيـر ثقة وقال الدارقطني : وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه.

وقال أبو نعيم : حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا مـحمد بن حمويه حدثنا أحمد ابن حفص ، حدثني أبي حـدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجـاج عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «**للمؤمن فى الجنة ثلاث وسبـعون زوجة**»، فقلنا : يا رسول الله أوله قوة ذلك؟ قال: «**إنه ليعطى قوة مائة رجل**»[1].

قلت: أحمد بن حفص هذا هو السعـدى وله مناكير والحجاج هو ابن أرطاة وقال الطبرانى : حدثنا أحمد بن على الأبار حدثنا أبو همام الولـيد بن شجاع وأنبأنا محمد ابن أحمـد ابن هشام بن حـسان السنجرى ببـغداد حدثنا عـبد الله بن عـمر بن أبان قالا: حـدثنا حسين بن علي الجعـفي عن زائدة عن هشام بن حـسان عن محـمد بن سيرين عـن أبي هريرة قال: يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجـنة ؟ فقال : «**إن الرجل ليـصل في اليـوم إلى مائة عـذراء**»[2] قال الطبـراني : لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح.

وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يحيى بن مـسَلّم الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو أسـامة عن هشـام بن حسـان عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العـمي عن ابن عبـاس قال: «قيل: يا رسـول الله أنفضي إلى نسائنا فـي الجنة كما نفـضي إليهن في الدنيا؟ قال: «**والذي نفس محـمد بيده إن الرجل ليـفضي في الغداة الواحـدة إلى مائة عذراء**»[3] وزيد هذا قال فيه ابن معين: صالح وقـال مرة لا شيء وقال مرة: ضعيف يكتب حديثه وكـذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطني: صالح ، وضعـفه النسائي وقال

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٣٧٢).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٥٢٦٧) و«الصغير» (٧٩٦).

(٣) ضعيف: أخـرجه هناد فى «الزهد» (٨٨) وأبو نعيم فى «صفـة الجنة» (٣٧٤) والطبرانى فى «الأوسط» (٧٢٢) وأبو يعلى فى «مسنده» (٢٤٣٦).

السعدي : متماسك[ق/ ٨٤] ، قلت: وحسبه رواية شعبة عنه.

فصل

والأحاديث الصحيحة ، إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة والخدم والولدان ، وإما أن يراد أنه يعطي قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال: له كذا وكذا زوجة.

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبيﷺ قال: «**يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع**» قيل : يا رسول الله أو يطيق ذلك؟قال: «**يعطي قوة مائة**»[١] هذا حديث صحيح-فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم.

ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول اللهﷺ : «**إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضًا**»[٢] .

الباب الرابع والخمسون

في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التي خلق منها الحور العين فقد روى البيهقي من حديث الحارث بن

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٥٣٦) وابن حبان (٧٤٠٠) والطبراني في «الأوسط» (٢٥٣٨).

(٢) تقدم.

خليفة حدثنا شعبة حدثنا إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**الحور العين خلقن من الزعفران**»[1] قال البيهقي: وهذا منكر بهذا الإسناد ولا يصح عن ابن علية.

قلت: ولكنه حديث فيه شعبة، وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري حدثني الليث ابن ابنة الليث بن أبي سليم قال حدثتني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**خلق الحور العين من الزعفران**»[2] قال الطبراني: لا يروى إلا بهذا الإسناد تفرد به علي بن الحسن بن هارون.

قلت: وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت: سمعت زوجي ليث بن أبي سليم يحدث عن مجاهد فذكره موقوفًا عليه وهو أشبه بالصواب، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله: ولا يصح رفع الحديث وحسبه أن يصل إلى ابن عباس وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «إن لولي الله في الجنة عروسًا لم يلدها آدم ولا حواء ولكن خلقت من زعفران» وهذا مروي عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس وعن تابعين وهما أبو سلمة ومجاهد وبكل حال فهن من المنشآت في الجنة لسن مولودات بين الآباء والأمهات والله أعلم.

وقد رواه الطبراني من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ وهذا الإسناد لا يحتج به ورواه أبو نعيم حدثنا علي بن محمد الطوسي حدثنا علي بن سعيد حدثنا محمد بن إسماعيل الحساني حدثنا منصور بن المهاجر حدثنا أبو النضر عن أنس يرفعه: «**لو أن حوراء بصقت في سبعة**

---

(١) ضعيف؛ أخرجه الخطيب البغدادى في: «تاريخ بغداد» (٧/٩٨) والديلمى (٢٧٣٠). انظر: «ضعيف الجامع» (٢٨٠٣) و«الضعيفة» (٣٥٣٩).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٢٩٠) و «الكبير» (٧٨١٣). قال الهيثمي: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» و «الأوسط» وفى إسنادهما ضعفاء. انظر: «ضعيف الجامع» (٢٨٤٠) و «الضعيفة» (٣٥٣٩).

أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من الزعفران»[١] وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب، وجاءت الصورة من أحسن الصور، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك!!! فالله المستعان.

وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع حدثنا حلس بن محمد الكلابي حدثنا سفيان الثوري حدثنا مغيرة حدثنا إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«يسطع نور في الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»**[٢] وروى بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئًا إلا مطروا» قال: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولن أمطرينا جواري مزينات، وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى، قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن سعيد عن خداش حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس قال: «إن في الجنة نهرًا يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت، تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري فإذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه». وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: **«يا جبريل قف بي على الحور العين فأوقفه عليهن فقال: من أنتن؟ فقلن: نحن جواري قوم كرام** [ق/ ٨٥] **حلوا فلم يظعنوا، وشبوا فلم يهرموا، ونقوا فلم يدرنوا»**.

وقال ابن المبارك أنبأنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن أبي عياش قال: «كنا جلوسًا مع كعب يومًا فقال لو أن يدًا من الحور دليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ثم قال: إنما قلت

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٣٨٦).

(٢) موضوع: أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٣٨١) والخطيب فى «التاريخ» (٨/ ٢٥٣). انظر: «ضعيف الجامع» (٣٢٦٦) و«الضعيفة» (٣٦٩٩).

يدها فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله!!».

وفي مسند الإمام أحمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»(١) وفي مراسيل عكرمة عن النبي ﷺ قال: «**إن الحور العين لأكثر عددًا منكن يدعون لأزواجهن يقلن: اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين**»(٢) ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: «إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة كل حور الجنان يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك لجدوا، بين عينيها مكتوب: من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي».

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى شوّقنا فقال: يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء جهدًا من قول مالك.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: لقي حكيم حكيمًا فقال: أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال: لا، فقال: فاشتق إليهن فإن نور وجههن من نور الله عزّ وجلّ، فغشي عليه، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهرًا».

وقال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: «يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين؟» وقال ابن أبي الحواري حدثني الحضرمي قال: «نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فراشه إلى الصباح فقلت: يا أبا حمزة ما رقدت الليلة، فقال: إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها مس جلدي، فحدثت به أبا سليمان فقال: هذا رجل كان

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١١٧٤) وأحمد (٢١٥٩٦). والطبراني في «الكبير» (٢٠/١١٣) حديث (٢٢٤).

(٢) ضعيف: انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٢٢٩).

مشتاقًا».

وقال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خلق الحور العين إنشاء فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام».

وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المري عن يزيد الرقاشي قال: «بلغني أن نورًا سطع في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه، فقيل: ما هذا؟ قال: حوراء ضحكت في وجه زوجها. قال صالح: فشهق رجل من ناحية المجلس فلم يزل يشهق حتى مات.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زربي عن عبد الملك الجوني عن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عباس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها [ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها][1]، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسن بن يحيى بن كثير العنبري حدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثوري قال: «سطع نور في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها» ورواه الخطيب في تاريخه من حديث [عبد][2] الله بن محمد الكرخي قال: حدثني عيسى ابن يوسف الطباع حدثني حلس بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**سطع نور في الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها**»[3].

وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: «إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة إلا وردت عليها، وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي

(١) سقط من ط .
(٢) في المطبوع عبيد.
(٣) تاريخ بغداد (١١ / ١٦٢).

كثير :«إن الحور العين يتلقين أزواجـهن عند أبواب الجنة فيقلن: طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسـخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فـلا نموت ، بأحسن أصوات سمعت وتقول :أنت حبي وأنا حبك ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل».

الباب الخامس والخمسون

في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة، ونزاهة

ذلك عن المذي والمني والضعف، وأنه لا يوجب غسلاً

قد تقدم حديث أبي هريرة :قيل يا رسـول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟فقال :«**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**»[١] وإن إسناده صحيح وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته:«**إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا له فيها أهلون يطوف عليهم**»[٢].

وحديث أنس :«**يعطي المؤمن في الجنة قـوة كذا وكذا مـن النساء**»[٣] وصححه الترمذي وروى الطبـراني وعبدالله [ق/٨٦] بن أحمد وغيرهمـا من حديث لقيط بن عامـر أنه قال : يا رسـول الله على ما نطلع من الجـنة؟ قال:«**على أنهـار من عسل مصـفى من كأس ما بـها صداع ولا ندامـة وأنهار من لبن لم يتغـير طعـمه وماء غـير آسن، وفاكهـة لعمر إلهك مما تعلمون وخيـر من مثله وأزواج مطهرة**»، قلت: يا رسول الله أولَنا فيـها أزواج مصلحات ؟ قـال : « الصالحات للصـالحين ، تلذذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذذن بكم ، غير أن لا توالد»[٤].

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: يا رسول الله أنطأ في الجنة: قال: «**نعم والذي نفسي بيده دحمًا دحمًا فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا**»(١).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارًا**»(٢).

قال الطبراني: لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به معلى.

قال الطبراني: وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله وسئل: هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: «**بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحمًا دحمًا**». (٣) قال الطبراني: وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد ابن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل: «أيجامع أهل الجنة؟ قال: «**دحمًا [دحما]**(٤) **ولكن لا مني ولا منية**» (٥) وهاشم وخالد، وإن تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما وقوله (لا مني ولا منية) أي: لا إنزال ولا موت.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا عمارة بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقري حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة بن راشد عن

---

(١) حسن: أخرجه ابن حبان (٧٤٠٢).
(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٤٩) وقال: لم يرو عن عاصم إلا شريك، تفرد به معلى بن عبد الرحمن. انظر: «ضعيف الجامع» (١٨٣٠).
(٣) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٧٤) و (٧٧٢١) وفي «مسند الشاميين» (٩٥٦).
(٤) سقط من ط.
(٥) انظر السابق.

أبي هريرة عن رسـول الله ﷺ أنه سئل: هـل يمس أهل الجنة أزواجهم ؟قـال:«**نعم [والذي بعثني بالحق]**(١) **بذكر لايمل وفرج لا يخفى وشهوة لا تنقطع**(٢)».

وقال الحسن بن سفـيان في مسنده:حدثنا هشام بن عمار حـدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثـمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامـة قال:سئل رسول الله ﷺ هل ينكح أهل الجنة؟قال :«**إي والذي بعثني بالحق دحمًا دحمًا وأشار بيده ولكن لا مني ولا منية**»(٣)

وقال سعيد من منصور : حدثنا سفـيان عن عمرو عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾(يس:٥٥). «قال في افتـضاض الأبكار» وقال عبد الله بن أحـمد :حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حمـيد ،قالا :حدثنا يعقوب بن عبـد الله،حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطيـة عن شقيق بن سلمة عن عبـد الله بن مسعـود في قوله:﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ قال شغلـهم: افتضـاض العذارى »وقـال الحاكم :أنبـأنا الأصم أنبأنا الـعباس بن الـوليد أخبرني ابن شعـيب عن الأوزاعي ،في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ قال: «شغلهم افتضاض الأبكار» قال مقاتل :شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكـرونهم ولا يهتـمون لهم،وقال أبو الأحـوص :«شغلوا بافتـضاض الأبكار» على [السرير](٤)في الحجال وقال سليمـان التيمي عن أبي مجلز قلت لابن عباس عن قوله تعالى : ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ ما شغلهم ؟قال: «افتضاض الأبكار» وقال ابن أبي الدنيا حـدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا يزيد ابن ربيع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ﴿**فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ قال : «في افـتضاض العذارى »حـدثنا إسحاق بن إبراهيم حـدثنا يحيى بن يمان عن

---

(١) سقط من ط.

(٢) ضعيف: أخـريجه آسحاق فى مـسنده (٣٤٥) وهناد فى الزهد (٨٧) والعقيلى فى الضـعفاء (/ ٢ ٣٣٢) وابن عساكر فى تايز دمشق (٤٣ / ٣٢١).

(٣) تقدم .

(٤) فى خ: السرر.

أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير: «إن شهوته لتجري في جسدها سبعين عامًا تجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه»(١).

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي ﷺ: «[إنها](٢) **لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»(٣).

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حرمها هناك كما [نفى](٤) سبحانه على من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله: «أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال: ما هذا؟!! قال: لحم اشتريته لأهلي بدرهم، فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئًا اشتراه!! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾(الأحقاف: ٢٠).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان [ق/ ٨٧] حدثنا جرير بن حازم قال: حدثنا الحسن قال: «قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة ربما وافقناها مأدومة بالسمن وربما وافقناها مأدومة بالزيت وربما وافقناها مأدومة باللبن وربما وافقناها القدائد اليابسة قد دقت ثم أغلى بها وربما وافقناها اللحم الغريض وهو قليل، فقال ذات يوم: إني والله قد أرى تعذيركم [وكراهتكم](٥) لطعامي، إني والله لوشئت لكنت من ألينكم طعامًا وأرقكم عيشًا ولكني سمعت [رسول](٦) الله ﷺ: عير الله قومًا بأمر فعلوه فقال: «أذهبتم طيباتكم في حياتكم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة فى المصنف (٧ / ٣١) حديث (٣٣٩٨٢).
(٢) هكذا فى خ .
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٣١٠) ومسلم (٢٠٦٧).
(٤) هكذا فى خ .
(٥) هكذا فى خ .
(٦) سقط من خ .

الدنيا واستمتعتم بها»فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون ، ومن استوفاها هنا حرمها هناك أو نقص كمالها فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبدًا(١)» والله أعلم.

الباب السادس والخمسون

في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا ؟

قال الترمذي في جامعه: حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن عامر الأحول ،عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «**المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي**» (٢) قال: هذا حديث حسن غريب وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم :في الجنة جماع ولا يكون ولد وهكذا روى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي وقال :محمد -يعني البخاري- قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ : «**إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي ولكن لا يشتهي**» قال محمد :وقد روى عن أبي رزين العقيلي عن النبي ﷺ قال :«**إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد**» وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ،ويقال :بكر بن قيس، انتهى كلام الترمذي .

قلت: إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جدًا وتأويل إسحاق فيه نظر فإنه قال إذا اشتهى المؤمن الولد وإذا للمتحقق الوقوع ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال :لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة فإن ما لا يكون أحق بأداة لو كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة إذا.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٥٧٩) وابن سعد فى الطبقات (٣ / ٢٧٩) وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٤٤ / ٢٩٧) وأبو نعيم فى الحلية (١ / ٤٩) وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (١١٤).

(٢) صحيح : أخرجه الترمذى (٢٥٦٣) وابن ماجة (٤٣٣٨) والدارمى (٢٧٢٩) وأحمد (١٠٦٧٩) و (١١٣٥٥) وابن حبان (٧٤٠٤) وأبو يعلى (١٠٥١).

وقد قال أبو نعيم : حدثنا عبدان بن أحمد ،حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان الثوري عن أبان عن أبي الصدِّيق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله أيولد لأهل الجنة ،فإن الولد من تمام السرور؟فقال: **«نعم والذي نفسي بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه ».**

حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أحمد الرازي بمكة حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس ،حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا يحيى بن حفص الأسدي ، قال :سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن زيد العبدي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهي فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة»**[(١)] قال البيهقي وهذا إسناد ضعيف بمرة ،وأما حديث أبي رزين الذي أشار إليه البخاري فهو حديثه الطويل ،ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد في مسنده أبيه: كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن زبير الزبيري كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك فحدث به عنى حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي حدثني عبد الرحمن بن عابس المسمعي الأنصاري من بني عمرو بن عوف عن دلهم ابن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط ابن [عامر] [(٢)] قال دلهم :وحدثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطًا خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط :فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبًا فقال: **«يا أيها الناس إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم ،ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟فقالوا له:اعلم لنا ما يقول**

---

(١) انظر السابق.

(٢) في خ : عامر.

رسول الله ﷺ؟ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مسئول ،ألا هل بلغت،ألا اسمعوا تعيشوا ، ألا اجلسوا ألا اجلسوا قال: فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا [ق/ ٨٨] فؤاده وبصره قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي سقطه، فقال :ضمن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ،وأشار بيده قلت:وما هي؟قال :علم المنية وقد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ،وعلم مافي غد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمونه،وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أذلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب قال لقيط :قلت:لن نعدم من رب يضحك خيراً ،وعلم يوم الساعة ،قلت: يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وما تعلم فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذحج التي [تربوا][1] علينا وخثعم التي توالينا وعشيرتنا التي نحن منها، قال :تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصائحة، لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئًا إلا مات ،والملائكة الذين مع ربك عزّ وجلّ فأصبح ربك يطوف في الأرض وخلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء بهضب من عند العرش فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقّت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه فيستوي جالسًا فيقول:ربك مهيم لما كان فيه،يقول:يارب أمتني اليوم ولعهده بالحياة يحسبه حديثًا بأهله فقلت :يا رسول الله ،كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟فقال:أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض أشرقت عليها وهي مذرة بالية،فقلت:لا تحيا أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أيامًا حتى أشرقت عليها وهي شربة واحدة ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فيخرجون من الأضواء ومن مصارعهم فتنظرون إليه وينظر إليكم قال:قلت:يا رسول الله فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه قال:أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله : لاشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون في رؤيتهما ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما قلت: يا رسول الله فما

(١) في خ : نزلوا .

يفعل بنا ربنا إذا لقيناه، قال:تعرضـون عليه بادية له صفحاتكم لا تـخفى عليه منكم خافـية فيـأخذر بك عزّ وجلّ بيـده غرفـة من الماء فينضح قبلكم بهـا فلعمـر إلهك ما يخطئ وجه أحدكم منها قطرة فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتحطم وجهه بمثل الحمم الأسود ألا ثم ينصرف نبيكم رسول الله ﷺ ويفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار فيطأ أحـدكم الجمرة فيقول: حس فيقول ربك:أو إنه فيطلعون على حـوض الرسول ﷺ على أظماء والله ناهلة قط رأيتهـا فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليهم قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى وتحبس الشمس والقمـر فلا ترون منهما واحـدًا قال :قلت يا رسول الله فبم نبصر؟قال:بمثل بصـرك ساعـتك هذه وذلك مع طلوع الشـمس في يوم أشـرقتـه الأرض ثم واجـهتـه الجبال قـال:قلت يا رسول الله فيم نجـزي من حسناتنا وسـيئاتنا ؟ قـال:الحسنة بعـشر أمثالهـا والسيئة بمثلها إلا أن يعفـو قال:قلت:يا رسول الله ما الجنة ما النار؟قـال:لعمر إلهك إن للنارسبـعة أبواب ما منهن بابان إلا يـسير الراكب بينهـما سبعين عـامًا ،وإن للجنة ثمـانية أبواب مامنهن بابان إلا يـسير الركب بينهـما سبـعين عامًـا:قال:قلت:يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة؟ قال:على أنهار من عـسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة،وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمـون وخيـر من مثله مـعه،وأزواج مطهرة،قلـت:يا رسول الله ولنا فيـها أزواج أو منهن صالحات ؟قال:الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذذن بكم غير أن لا توالد ،قال لقيط : فقلت:أقصى مـا نحن بالغون ومنتهون إليه فلم يجبـه النبي ﷺ فقلت: يا رسـول الله علام أبايعك؟فبـسط النبي ﷺ يده، وقال : على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله إلهًا غيره، قال: قلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغـرب ؟فقـبض النبي ﷺ يده وبسط أصابعـه وظن أني مشتـرط شيـئًا لا يعطينه. قال : قلت: تحل منهما حيث شئنا ولا يجنى على امرئ إلا نفسه فبسط يده ، وقال: ذلك لك نحل حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك،قـال:فانصرفنا وقال ها إن ذين لعمر إلهك إن حدثت إلا أنهـما من أتقى الناس في الأولى والآخرة ، فقال له كعب بن الجدارية أخـو بني بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله؟ فقـال: بنو المنتفق أهل ذلك. قال: فانصرفا وأقبلت عليـه فقلت: يا رسول الله هل لأحد مما مضى من خبر في جـاهليتهم؟قال: قال رجل من عرض قـريش والله إن أباك المنتفق لفي النار،

قال: فكأنه قد وقع جزء من جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي على رءوس الناس فهممت أن أقول وأبوك [ق/ ٨٩]يا رسول الله ،ثم إذا الأخرى أجمل فقلت يا رسول الله وأهلك؟قال: **وأهلي لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامري أو قريشي من مشرك فقال :أرسلني إليك محمد ﷺفأبشرك بما يسوؤك تجر على وجهك وبطنك في النار.** قال: قلت: يا رسول الله ما فعل الله بهم ذلك ،وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصلحين؟ قال: **ذلك بأن الله عز وجل بعث في آخر سبع أمم نبيا فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»** [(١)].

هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث أبي القاسم عن عبد الرحمن ابن المغيرة بن عبد الرحمن المدني ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيري المدني عنه وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما في الحديث احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وروى عنهما في مواضع من كتابه،ورواه أئمة الحديث في كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم.

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده :روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقرأوه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم في إسناده ،وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول وقال أبو الخير بن حمدان :هذا حديث كبير ثابت مشهور.

وسألت شيخنا أبا الحجاج المزي عنه فقال: عليه جلالة النبوة.

وقال نفاة الإيلاد فهذا حديث صريح في انتفاء الولادة وقوله إذا اشتهى معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به،وإذا وإن كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره،قالوا وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه :

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٦٢٥١) والطبراني في الكبير (١٩ / ٢١١) حديث (٤٧٧).

أحدها: حديث أبي رزين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ** ﴾ (البقرة: ٢٥).

وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفاس والأذى، قال سفيان: أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد» وقال أبو معاوية حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال: «من الولد والحيض والغائط والبول».

الثالث: قوله غير أنه لا مني ولا منية وقد تقدم، والولد إنما يخلق من ماء الرجل فإذا لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد.

الرابع: أنه قد ثبت في الصحيح[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «**يبقى في الجنة فضل فينشىء الله لها خلقًا يسكنهم إياها**» ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم.

الخامس: إن الله سبحانه جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني فلو كن النساء يحبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال.

السادس: إن الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرنًا بعد قرن وجعل لهم أمدًا لا ينتهون إليه فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني ولهذا الملائكة لا تتناسل فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت، فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنساني، إذ هو منشأ للبقاء والدوام فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار.

السابع: أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾ (الطور: ٢١).

فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم في الدنيا ولو كان ينشئ لهم في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا في الدنيا لأن قرة عيونهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨).

الثامن: أنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ثم تنقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى [القول] (١) به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى واستلزام الثاني انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم، وهو محال ولا يمكن أن يقال: يتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هنا.

التاسع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون ،فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو يوضحه.

الوجه العاشر:أن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذي جعلوا عليه لازم لهم أبدًا والله أعلم فهذا ما في هذه المسألة ، فأما قول بعضهم إن القدرة صالحة والكل ممكن وقول آخرين :إن الجنة دار المكلفين التي يستحقونها بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة وهي في كتب الناس، وبالله التوفيق.

وقال الحاكم :قال الأستاذ أبو سهل: أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعني حديث الولادة في الجنة وقد روى فيه غير إسناد وسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال : يكون ذلك على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١).

وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن من شهواته المصفى المقرب المسلط على لذاته قرة عين وثمرة فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة.

«فإن قيل: ففي الحديث أنهن لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد؟

قلت :الحيض سبب الولادة الممتدة مدة بالحمل على الكثرة والوضع عليه كما أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه وهذه خمرة الدنيا المحرمة

(١) هكذا في خ .

المستولية على كل بلية قد أعـدها الله تعالى لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد!! انتهى كلامه.

قلت: النافـون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكـن لحديث أبي رزين «غير أن لاتوالد» وقـد حكينا من قول عطاء وغيره أنهن مطـهرات من الحيض والولد وقد حكى الترمذى عن أهـل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين، وحكى قول أبي إسحـاق بإنكاره وقـال أبو أمامة في حـديثه: «غـير أن لا مني ولا منيـة» والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فـيقوم نسله مقامه، وحديث أبي سعيد الخـدري هذا أجود أسانيده إسناد الترمذي وقد حـكم بغرابته وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه إذا اشتهى الولد، وتارة إنه لا يشـتهي الولد، وتارة أن الرجل من أهل الجنة ليـولد له، فالله أعـلم، فإن كان رسول الله ﷺ قـد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه وهـذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض وحديث أبي رزين «غير أن لاتوالد» إذ ذلك نفي للتـوالد المعهود في الدنيا ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبـابه في ساعة واحدة فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة وقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده في غير هذا الكتاب والله أعلم بالصواب.

الباب السابع والخمسون
في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين
وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ (الروم: ١٤-١٥).

قال محمد بن جرير[(١)]: حدثني محمد بن موسى الحـرشي قال: حدثنا عامر بن يساف قال: سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عزّ وجلّ ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ قال الحبرة: «اللذة والسماع» حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثـير في قوله ﴿يُحْبَرُونَ﴾قال: «السماع في الجنة» ولا

(١)جامع البيان (١٠ / ١٧٢).

يخالف هذا قول ابن عباس يكرمون وقال مجاهد وقتادة: ينعمون فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم.

وقال الترمذي: حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا: حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الرحمن ابن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»(١) وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وحديث علي حديث غريب.

قلت: وفي الباب عن ابن أبي أوفى وأبي أمامة وعبد الله بن عمر أيضًا فأما حديث أبي هريرة فقال جعفر الفريابي حدثنا سعيد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: «إن في الجنة نهرًا طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق، ما يرون في الجنة لذة مثلها، فقلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عزّ وجل(٢)» هكذا رواه موقوفًا.

وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث مسلمة بن على عن زيد بن واقد عن رجل عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب [لها](٣) ريح [فيصطفقن](٤) فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه**»(٥).

وأما حديث أنس: فقال أبو نعيم: أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد

---

(١) ضعيف: رواه الترمذى (٢٥٦٤) وأحمد (١٣٤٥) والبزار (٧٠٣) وأبو يعلى (٤٢٩) وابن أبى شيبة (٨/٦٩).

(٢) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٥١).

(٣) سقط من ط.

(٤) فى خ: فيصطفقن.

(٥) ضعيف: رواه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٤٣٣).

الله حدثنا عبـد الرحمن بن إبراهيم حدثنا ابن أبي فـديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب عن عبدالله بن رافع عن ابن لأنس عن أنـس قال [ق/ ٩١]: قال رسول الله ﷺ : «**إن الحـور العين يغنين في الجـنة يقلن:نحن الحـور الحسـان خلقن لأزواج كرام**»(١).

ورواه ابن أبي الدنيا حدثـنا أبو خيثمة حـدثنا إسماعيل بن عـمر حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره.

وأما حديث ابن أبـي أوفى ،فقال أبو نعيم :حـدثنا محمد بن جعـفر من أصله حدثنا موسى بن هارون حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا الوليد بن أبي ثور حدثني سعـد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبي أوفى قـال: قال رسـول الله ﷺ : «**يزوج كل واحـد من أهل الجـنة أربعـة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمـعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمـع الخلائق بمثلهن :نحن الخـالدات فلا نبـيد ، ونحن الناعـمات فلا نبـأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ،طوبى لمن كان لنا وكنا له**»(٢).

وأما حديث أبي أمـامة ،فقال جعفـر الفريابي :حدثنا سليمان بن عـبد الرحمن حدثنا خـالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خـالد بن معدان عن أبي أمـامة عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزامير الشيطان»(٣).

وأما حديث ابن عمر فقال الطبراني :حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى ابن الفرات المصرى حدثنا سـعيد بن أبي مريم حدثنا محمـد بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عـمر قال: قـال رسول الله ﷺ: «**إن أزواج أهل الجنة ليـغنين أزواجهن**

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٩٧). انظر: «صحيح الجامع» (١٦٠٢).
(٢) ضعيف: رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٨).
(٣) ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» (٧٤٧٨) وفي «مسند الشاميين» (١٦١٨)

بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط،إن مما يغنين به:نحن الخيرات الحسان ،أزواج قوم كرام ،ينظرون بقرة أعين ،وإن مما يغنين به :نحن الخالدات فلا نمتنه ،نحن الآمنات فلا نخفنه ،نحن المقيمات فلا نظعنه» [1] قال الطبراني :لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبي مريم .

وقال ابن وهب :حدثني سعيد بن أبي أيوب قال:وقال رجل من قريش لابن شهاب : هل في الجنة سماع فإنه حبب إليَّ السماع؟ فقال: إى والذى نفس ابن شهاب بيده ،إن في الجنة لشجرًا حمله اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضًا فأجبن الجواري فلا يدري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر».

قال ابن وهب :وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد:أن الحور العين يغنين لأزواجهن فيقلن :نحن الخيرات الحسان ،أزواج شباب كرام ،ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن ،في صدر إحداهن مكتوب :أنت حبي وأنا حبك انتهت نفسي عندك ،لم ترَ عيناي مثلك» وقال ابن المبارك :حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير :«إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن:طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط ،والمقيمات فلا نظعن والخالدات فلا نموت ،بأحسن أصوات سمعت وتقول أنت حبي وأنا حبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل».

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا

قال ابن أبي الدنيا:حدثني دهثم بن الفضل القرشي حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعي قال:«بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتًا من إسرافيل فيأمره الله

---

(١) صحيح : رواه الطبراني فى «الصغير» (٧٣٥) و «الأوسط» (٤٩١٧). انظر «صحيح الجامع» (١٥٦١).

تبارك وتعالى فيأخذ في السماع :فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عزّ وجلّ : وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدو غيري » وحدثني داود بن عمر الضبي حدثنا عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد :أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان : أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي ».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسن حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر ابن سليمان عن مالك بن مالك بن دينار فـي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودي يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: ٤٠).

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال: «إن الله جلّ ثناؤه يقول للملائكة :إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي فأسمعوا عبادي فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط».

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد لأبيه: حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثني سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار [ق/ ٩٢] «في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ قال: «يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول: يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم يقول: إلهي كيف أمجدك وقد سلبتنيه في دار الدنيا؟قال: فيقول الله عزّ وجلّ :فإني أرده عليك قال: فيرده عليه فيزداد صوته قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو مسلم الحراني حدثنا مسكين بن بكير عن الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة قال: «إن في الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ

فيبعث الله ريحًا فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها».

حدثنا أبو بكر بن يزيد وإبراهيم بن سعيد قالا: حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة عن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: «في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا».

حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا علي بن عاصم حدثنا سعيد بن أبي سعيد الحارثي قال حدثت: «أن في الجنة آجامًا من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتًا حسنًا بعث الله إلى تلك الآجام ريحًا فتأتيهم بكل صوت يشتهونه».

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب جلّ جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك وسيمر بك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطي أهل الجنة شيئًا أحب إليهم من ذلك.

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة قال: «إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جلّ جلاله فيقرأ عليهم القرآن، قد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد فلم تقر أعينهم بشيء ولم يسمعوا شيئًا قط أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد».

الباب الثامن والخمسون
في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذي: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه: «أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل في الجنة من خيل؟ قال: «**إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت**»، قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قاله لصاحبه قال: «**إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك**»[١].

حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي ﷺ نحوه بمعناه وهذا أصح من حديث المسعودي حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب قال: «أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله إني أحب الخيل أفي الجنة خيل؟ قال رسول الله ﷺ: «**إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت**»[٢].

قال الترمذي: هذا حديث إسناده ليس بالقوي ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلا من هذا الوجه وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب يضعف في الحديث ضعفه ابن معين جدًا وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير عن أبي أيوب لا يتابع عليه.

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٤٢) وابن جرير في «جامع البيان» (٢٥/ ٩٧) وعبد الرزاق (٦٧٠٠) والطبراني في «الأوسط» (٥٠٢٣) وأحمد (٢٢٤٧٣).

(٢) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٤٤).

قلت: أما حديث علقمة بن مرثد، فقد اضطرب فيه علقمة فمرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن عمير بن ساعدة قال: «كنت أحب الخيل فقلت: هل في الجنة خيل يا رسول الله؟».

ومرة يقول: قال رجل من الأنصار يقال له عمير بن ساعدة: يا رسول الله، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي ﷺ والترمذي جعل هذا أصح من حديث المسعودي لأن سفيان أحفظ منه وأثبت، وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبي صالح عن أبي هريرة «أن أعرابيًا قال: يا رسول الله أفي الجنة إبل؟قال: «**يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهي نفسك وتلذ عينك**»[1] ورواه أيضًا من حديث علقمة عن [ق/ ٩٣] يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكر الجنة فقال: «**والفردوس أعلاها سموًا وأوسعها منه محلاً ومنها تفجر أنهار الجنة،وعليها يوضع العرش يوم القيامة**»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل حبب إليّ الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده إن في الجنة لخيلاً وإبلاً هفافة ترف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاءوا**» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني حبب إلي الإبل[2]، وذكرالحديث وأما حديث أبي سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره غير يحيى بن جابر الطائي وقد أخرج له أبو داود حديث: «ستفتح عليكم الأمصار وتجندون أجنادًا» [3] وأخرج له ابن ماجة عن أبي أيوب: «رأيت النبي ﷺ توضأ فخلل لحيته» وحديثًا آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿حتى تستأنسوا﴾ وأخرج له الترمذي حديث: «خيل الجنة» فقط ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال: «**إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل**»[4].

---

(١) ضعيف: رواه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٤٢٦).
(٢) ضعيف: رواه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٤٢٧).
(٣) ضعيف: رواه أبو داود (٢٥٢٥) وأحمد (٢٢٩٨٩).
(٤) ضعيف: رواه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٤٢٠).

وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها ثم طارت بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار فإذا رأوه خروا سجدًا فيقول لهم الجبار تعالى: ارفعوا رءوسكم فإن هذا ليس بيوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رءوسهم فيمطر الله عليهم طيبًا فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله على تلك الكثبان ريحًا فتهيجها عليهم حتى أنهم ليرجعون إلى أهليهم وأنهم لشعث غبر**»(١).

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: «في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب يركبها أهلها».

الباب التاسع والخمسون
في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضًا
وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (الصافات: ٥٠، ٥٧).

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه يقول أئنك لمن المصدقين ونجازي [بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا](٢) ونحاسب بها بعد

(١) ضعيف: رواه المروزي في زيادته على الزهد لابن المبارك (١٥٢٣) وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٩).

(٢) في ط: تقديم وتأخير.

أن مزقنا البلى وكنا ترابًا وعظامًا ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه.

هذا أظهر الأقوال وفيها آخران: أحدهما: أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضًا هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: إنه من قول الله عز وجلّ لأهل الجنة يقول لهم هل أنتم مطلعون والصحيح القول الأول، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه: والسياق كله والإخبار عنه عن حال قرينه قال كعب: «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى».

وقوله: فاطلع، أي أشرف، قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في وسط الجحيم ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير فعندها قال: تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أي إن كدت لتهلكني ولولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٥-٢٨).

وقال الطبراني: حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ: **«أيتزاور أهل الجنة؟ قال: «يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاءوا على النوق محتبقين الحشايا»** [1].

وقال الدورقي: حدثنا أبو سلمة التبوذكي حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال [ق/ ٩٤] قال: «بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى» وقد تقدَّم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» (٧٩٥٦).

جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب يرفعه: «**إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب**» (١) وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضًا وبذلك تتم لذتهم وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: **كيف أصبحت يا حارثة؟** قال: أصبحت مؤمنًا حقًا، قال: «**إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك**»؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يعذبون فيها فقال: [هذا](٢) عبد نور الله قلبه»(٣).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: فيشتاق الأخوان بعضهم إلى بعض قال: فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعًا فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا**»(٤) وقال: وحدثني حمزة بن العباس: أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال: حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم».

ثم يبعث الله ريحًا غير مؤذية فتنسف كثبانًا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم

---

(١) تقدم .

(٢) سقط من ط .

(٣) ضعيف: رواه عبد الرزاق (٢١١٤) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٦) والبيهقى فى «الشعب» (١٠٥٩٢) والطبراني في الكبير (٣٣٦٧) وعبد بن حميد (٤٤٤).

(٤) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم فى «العلل» (٢/ ٢٢٠) والعقيلي فى «الضعفاء» (٢/ ١٠٣) فيه سعيد بن دينار، وهو مجهول.

فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيـولهم وفي مفارقهم وفي رءوسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقـبلون حتى ينتهوا إلى ما شـاء الله تعالى فإذا المرأة تنادي بعض أولئك : يا عبد الله أما لك فينا حاجة؟فيقول :ما أنت ومن أنت؟ فتقول :أنا زوجتك وحبك فيقول:ما كنت علمت بمـكانك ، فتقول المرأة:أو ما علمت أن الله قال: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(السجدة:١٧). فيقول :بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خـريفًا لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة (١).

حدثني حمـزة أنبأني عبد الله بن عثـمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشـدين بن سعد قال:حدثنـي ابن أنعم أن أبا هريرة قال:«إن أهل الجنة ليتزاورون على الـعيس الجون عليها رحال الميس تثير مناسمها غبار المسك ،خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها»(٢).

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا إسـماعيل بن عياش عن عمرو ابن محـمد عن زيد بن أسلم عن أبيـه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جـبريل عن هذه الآية : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّـورِ فَـصَـعِقَ مَن فِي السَّـمَـوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَـاءَ اللَّهُ﴾(الزمر:٦٨).

قال:هم الشهـداء يبعثهم الله متقلديـن أسيافهم حول عرشـه:فأتاهم ملائكة من المحـشر بنجـائب من ياقوت أزمَّـتهـا الدر الأبيض برحـال الذهب أعنتهـا السندس والإستبرق ونمارقها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي الله بين خلقه ،يضحك الله إليهم وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه» (٣).

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٢٤٦).
(٢) ضعيف: انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٢٣٨).
(٣) ضعيف: رواه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٢٤٨).

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا الفضل بن جعفر حدثني جعفر بن حسن حدثنا عن أبي الحسن بن علي عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد بصرها فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون في الليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون» (١) .

فصل

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب إن شاء الله.

الباب الستون

في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها [ق/ ٩٥]

قال مسلم في صحيحه: حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً**» (٢) ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال: «**فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح**» (٣) .

---

(١) موضوع: رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٤٩).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣).
(٣) صحيح: رواه أحمد (١٣٦٢١) وابن أبي شيبة (٨/ ٩٠).

وقال ابن أبي عاصم في كتاب السنة :حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد ابن حبيب بن أبي اليسر عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة:أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد :أو فيها سوق؟؟قال:نعم ،أخبرني رسول الله ﷺ :«**أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا» قال أبو هريرة وهل نرى ربنا عزّ وجلّ ؟ قال:نعم،قال:هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟قلنا:لا، قال :فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول:يا فلان بن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا ،ف يقول: بلى أفلم تغفر لي؟فيقول بلى فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه ،قال فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط،قال ثم يقول ربنا تبارك وتعالى قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال فيأتون سوقا قد حفت [به](١) الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ،قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولايشترى ،وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا، قال فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها قال ثم ننصرف إلى منازلنا [فيلقانا](٢) أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بمحبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه،فيقول :إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار**

(١) في خ : بهم.
(٢) في خ : فتلقانا.

عز وجل وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا»[١] ورواه الترمذي في صفة الجنة عن محمد ابن إسماعيل عن هشام بن عمار ،رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس في هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعي فلا ينكر عليه تفرده عن الأوزاعي بمالم يروه غيره وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازي هوثقة وأما دحيم والنسائي فضعفاه ولايعرف أنه حدث عن غير الأوزاعي، والترمذي قال في هذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قلت: وقد رواه ابن أبي الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا [هقل][٢] بن زياد عن الأوزاعي قال: نبئت أن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة فذكره وقال الترمذي حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها»** [٣] قال : هذا حديث غريب. وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: «يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كثبان المسك، فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا: إنا لنجد لكنَّ ريحًا ما كانت لكنَّ ،قال : فيقلن: لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا» قال ابن المبارك :وأنبأنا حميد الطويل عن أنس ابن مالك قال: «إن في الجنة سوقًا كثبان مسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها فيبعث الله ريحًا فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم :قد ازددتم حسنًا بعدنا فيقولون لأهليهم قد ازددتم [أيضا][٤] بعدنا حسنًا».

وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطين: حدثنا أحمد بن محمد ابن طريف البجلي حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر عن علي ابن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ

---

(١) ضعيف : تقدم.
(٢) في خ : معلى.
(٣) ضعيف : تقدم.
(٤) سط من ط.

ونحن [ق/ ٩٦] مجتمعون فقال: «يا معشر المسلمين إن في الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشتري إلا الصور من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها»[1] والله أعلم.

الباب الحادي والستون
في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

قال الإمام الشافعي ﷺ في مسنده: حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثني موسى ابن عبيدة قال حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد ابن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: «أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكته إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ما هذه؟ قال: الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي ﷺ: يا جبريل وما يوم المزيد؟ قال إن ربك اتخذ من الفردوس واديا أفيح فيه كثب المسك فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله تعالى: أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم، ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي استوى ربك فيه على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة»[2].

ولهذا الحديث طرق سنشير إليها في باب المزيد إن شاء الله تعالى.

---

(١) ضعيف جدا: رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٦٤). وقال: لم يرو هذا الحديث عن جابر إلا بهذا الإسناد، تفرد به أحمد بن محمد بن طريف. قلت: جابر هو الجعفي، متفق على ضعفه.

(٢) ضعيف: رواه الشافعي في «مسنده» (٣١٢).

وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن جسر بن فرقد حدثني أبي عن الحسن عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليغدون في رحلة ويروحون في أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا ،كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عزَ وجلَ وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون فيها تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عز وجل**»[١] .

قال :ورواه جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه مثله وذكر أبو نعيم أيضًا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: « **إذا سكن أهل الجنة أتاهم ملك فيقول لهم: إن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم يوضع مائدة الخلد قالوا:يا رسول الله وما مائدة الخلد ؟قال :زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون :لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عزّ وجلّ فيتجلى لهم فيخرون سجدًا فيقال لهم:لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء**»[٢].

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي حدثنا القاسم ابن يزيد الموصلي قال:حدثني أبو إلياس قال حدثني محمد بن علي بن الحسين قال:قال رسول الله ﷺ ، وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافي بن عمران وكان من خيار الناس قال:حدثني إدريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علي قال إدريس ثم لقيت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة فحدثني قال :قال رسول الله ﷺ : «**إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو سخر الجواد الراكب أن يسير في ظلها لسار فيها مائة عام ورقها برود خضر ،وزهرها رياض صفر ،وأفناؤها سندس وإستبرق ،**

---

(١) ضعيف : رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩٤).
(٢) ضعيف : رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩٧).

وثمرها حلل وصمغها زنجبيل وعسل ،وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وترابها مسك وحشيشها زعفران ،منيع والألنجوج يؤججان من غير وقود ويتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدث يجمعهم ،فبينا هم يومًا يتحدثون في ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجبًا جلبت من الياقوت ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنًا ،وبرها حرير أحمر،ومرعزي أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت مفصصة باللؤلؤ والمرجان صفافها من الذهب الأحمر ،ملبسة بالعبقري والأرجوان فأناخوا إليهم تلك النجائب ثم قالوا لهم:إن ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه وينظر إليكم وتحيونه ويحييكم ويكلمكم وتكلمونه ويزيدكم من سعته وفضله ،إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم انطلقوا صفًا واحدًا معتدلاً لا يفوت منه شيء شيئًا ولا تفوت أذن الناقة أذن صاحبتها ولا بركت ناقة بركت صاحبتها ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة إلا أتحفتهم بثمرها ورحلت لهم عن طريقهم ،كراهية أن ينثلم صفهم أو يفرق [ق/ ٩٧] بين الرجل ورفيقه ، فلما رفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم في عظمته العظيمة فقالوا:ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإكرام.

فقال لهم ربهم تبارك وتعالى :إني السلام ومني السلام ولي حق الجلال والإكرام مرحبًا بعبادي الذين حفظوا وصيتي وراعوا عهدي وخافوني بالغيب وكانوا مني على كل حال مشفقين. قالوا: وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك فائذن لنا بالسجود لك،فقال لهم ربهم تبارك وتعالى: إني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت لكم أبدانكم فلطالما [أنعبتم][1] لي الأبدان وأعنيتم لي الوجوه فالآن أنضيتم إلى روحي ورحمتي وكرامتي فاسألوني ما شئتم وتمنوا على أعطكم أمانيكم فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكم بقدر رحمتي

(١) في خ : أنصبتم

وكرامتي وطولي وجلالي وعلو مكاني وعظمة شأني ،فما يزالون في الأماني والعطايا والمواهب حتى إن المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عزّ وجلّ إلى يوم أفناها فقال لهم ربهم عز وجل :لقد قصرتم في أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ماسألتم وتمنيتم وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم»[1] ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ وحسبه أن يكون من كلام محمد بن علي فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء فجعله من كلام النبي ﷺ.

وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه[2] ضعفه ابن عدي وقال الدارقطني :متروك وأما أبو إلياس المتابع له فلا يدري من هو وأما القاسم بن يزيد الموصلي[3] عنه فمجهول أيضًا ومثل هذا لا يصح رفعه ،والله أعلم.

وقال الضحاك في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم: ٨٥) قال: على النجائب عليها الرجال.

الباب الثاني والستون

في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنهم يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه قط.

وقال بقية بن الوليد حدثنا بجير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «**إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول :ماذا تريدون أن أمطركم ؟فلا يتمنون شيئًا إلا أمطروا**»[4].

---

(١) ضعيف: رواه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (٤١١) وابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٥٤) وقال المنذري: رواه ابن أبى الدنيا هكذا مفصلاً ورفعه منكر.

(٢) ميزان الاعتدال (١ / ٣١٧).

(٣) ميزان الاعتدال (٥ / ٤٦٣).

(٤) حسن: أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢٤٠) وأبو نعيم فى الحلية (٢ / ٢١٤).

وقال ابن أبي الدنيا :حدثني أزهر بن مروان حدثنا عبد الله بن عرادة الشيباني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن صفي اليماني قال: سئل عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: إنهم يفدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى: أطعموا عبادي وخلقي وجيراني ووفدي فيطعموا ثم يقول: اسقوهم .

قال: فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة فيشربون منها ثم يقول: عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا فكهوهم فتجيء ثمرات شجر مدلى فيأكلون منها ما شاءوا ،ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا اكسوهم فتجيء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر وكل لون لم تنبت إلا الحلل فتنشر عليهم حللاً وقمصًا ،ثم يقول : عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر.

ثم يقول: عبادي وجيراني وخلقي ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين لهم حتى ينظروا إلى فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم ،ثم يقال لهم ارجعوا إلى منازلكم فتقول لهم أزاوجهم :خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها؟فيقولون :ذلك أن الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا»[1].

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب ابن بشير العجلي عن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون :أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم ،ثم يبعث الله ريحًا غير مؤذية فتنسف كثبانًا من مسك عن أيمانهم**

(١) ضعيف: انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٢٤١).

وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رءوسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله فإذا المرأة تنادي بعض أولئك :يا عبد الله أما لك فينا حاجة ؟فيقول :ما أنت ومن أنت؟فتقول :أنا زوجتك وحبك فيقول:ما كنت علمت بمكانك ،فتقول المرأة:وما تعلم أن الله تعالى قال:﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(السجدة:١٧) فيقول :بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفًا ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم» (١).

فصل

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سببًا للرحمة والحياة في هذه الدار ويجعله سببًا لحياة الخلق في قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحًا مطرًا متداركًا من تحت العرش فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدينا وتثير لهم سحابًا في الجنة تمطرهم ما شاءوا من طيب وغيره،وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحابًا يمطر عليهم عذابًا إلى عذابهم كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحابًا أمطر عليهم عذابًا أهلكهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب.

الباب الثالث والستون

في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال تعالى :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ (الإنسان: ٢٠).

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ قال عظيمًا وقال استئذان الملائكة

---

(١) ضعيف : تقدم.

عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن » وقال ابن كعب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة وقال بعضهم :الخدم ولا تدخل عليهم الملائكة إلا بإذن.

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾.

قال ابن أبي الحواري :سمعت أبا سليمان يقول في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾قال:الملك الكبير أن رسول رب العزة يأتيه بالتحفة واللطف فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب:استأذن على ولى الله فإني لست أصل إليه،فيعلم ذلك الحاجب حاجبًا آخر وحاجبًا بعد حاجب ،ومن داره إلى دار السلام باب يدخل عليه منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل بإذن وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وقال ابن أبي الدنيا:حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك يرفعه: **«إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم»** (١)حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبي هلال الراسبي أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدي عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال:«إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه» (٢).

وحدثني محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبي هلال حدثنا حميد بن هلال : «قال ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه» وحدثني هارون بن سفيان أنبأنا محمد بن عمر أنبأنا المفضل ابن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال:«إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ» (٣).

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٢١٠) والطبرانى فى «الأوسط» (٧٦٧٤) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ١٧٥).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٤١٤). وانظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٨٩).

(٣) صحيح: أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٤٢٧).

حدثني هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دني لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه».

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زحر عن محمد بن أبي أيوب المخزومي عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: «إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه» وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة [من][1] لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء»**[2].

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا بقية بن الوليد حدثني أرطاة بن المنذر قال: سمعت رجلاً من مشيخة [الجند][3] يقال له أبو الحجاج قال: جلست إلى أبي أمامة فقال: «إن المؤمن يكون متكئًا على أريكة إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا له فيقول: أقربهم [ق/ ٩٩] إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين حدثنا قبيصة حدثنا قيس بن سليم العنبري عن الضحاك بن مزاحم قال: «بينا ولي الله في منزله إذ أتاه رسول الله من الله عز وجل فقال [للآذان][4] : استأذن لرسول الله على ولي الله فيدخل الآذن فيقول

(١) سقط من ط.
(٢) ضعيف: تقدم.
(٣) في خ: الجنيد.
(٤) هكذا في خ.

له: يا ولي الله هذا رسول الله يستأذن عليك قال: ائذن له فيأذن له فيدخل على ولي الله فيضع ما بين يديه تحفة فيقول: يا ولي الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه، قال : فيشبهه بطعام أكله أيضًا فيقول :إنما أكلت هذا الآن فيقول :إن ربك يأمرك أن تأكل منها فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة في الجنة قال: فذلك قوله تعالى : ﴿وأتوا به متشابها﴾ .

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «**سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟قال:هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له:أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟فيقول :رضيت ربي فيقول :لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة :رضيت ربي فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول :رضيت ربي**»(1) وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه.

وقال البزار في مسنده حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: «خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وغرسها بيده وقال لها :تكلمي ،فقالت: قد أفلح المؤمنون فدخلتها الملائكة فقالت: طوبى لك منزل الملوك. هكذا رواه وهيب عن الجريري موقوفًا ورواه عدي بن الفضل عن الجريري فرفع، وقال البزار: ولا نعلم أحدًا رفعه إلا عدي بن الفضل بهذا الإسناد وعدي بن الفضل ليس بالحافظ وهو شيخ بصري.

قلت: عدي بن الفضل هذا انفرد به ابن ماجة وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم والحديث صحيح موقوف والله أعلم.

وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم وإنما يلبسها الملوك.

---

(1) صحيح: تقدم.

الباب الرابع والستون

في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في [الخيال] [(١)] وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٦-١٧).

وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة.

وفي الصحيحين [(٢)] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله** : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

وفي لفظ آخر فيهما: «**يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ذخرا بله ما اطلعتم عليه ثم قرأ** : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نفس ﴾.

وفي بعض طرق البخاري «قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: «شهدت مع النبي ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه: «**فيها ما لا عين رأت**

---

(١) في خ: الخلد.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤).

ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم قرأ هذه الآية :﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب» (٢) **وقد تقدم حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ :«ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية رفيعة»**(٣).

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه [ق/ ١٠٠] الله غيرها لكفاها شرفًا وفضلاً ،كما في سنن أبي داود من حديث سليمان بن معاذ عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**«لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»** (٤) .

وفي معجم الطبراني من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :**«لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها:تكلمي ،فقالت:قد أفلح المؤمنون»**(٥).

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»**(٦).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٥).
(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٦).
(٣) تقدم.
(٤) تقدم.
(٥) تقدم.
(٦) صحيح: رواه البخارى (٣٢٥٠).

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض**»(١) وهذا الإسناد على شرط الصحيحين.

وقال الترمذي : حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**لو أن أقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب**»(٢) قال الترمذي :هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد ابن أبي حبيب وقال عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ.

قلت: وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعني ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدثه أن عامر [ابن سعد] (٣) بن أبي قاص قال سليمان :لاأعلم إلا أنه حدثني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو أن ما أقل ظفر من الجنة برز للدنيا [لتزخرف](٤) له ما بين السماء والأرض**».

وفي الباب عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص.

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه ،وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير ،وأودعها جميع

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٨١٥٢) وابن حبان (٦١٥٨) ومعمر في «جامعه» (١١/ ٤٢٠) وأبو يعلى (٦٣١٦).

(٢) صحيح : رواه الترمذى (٢٥٣٨) وأحمد (١٤٥٢) (١٤٧٠) والبزار (١١٠٩) (١٢٢٦) والضياء فى «المختارة» (١٠٠٤) والدورقى «مسند سعد» (٢٦) وصححه الشيخ أبو إسحاق فى «تحقيقه لمسند سعد من مسند البزار» (٤٦) (١٥٥).

(٣) سقط من ط .

(٤) فى خ : لتزخرفت .

الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ،وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهي اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب ،وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ،وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ،وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام [وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها](١)، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ،وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة الخيام وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها

---

(١) سقط من ط.

البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب ،فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر ،وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر،وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين [ق/ ١٠١] ،وأعلى منه سماع خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب أنشأها الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان ،وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لولؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللائي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ،وللرمان ماتضمنته النهود وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت إذا قابلت حبها فقل ما شئت في تقابل النيرين وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها ،لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيرًا وتسبيحًا،ولتزخرف لها ما بين الخافقين ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً ،ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا،مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ،لا يفنى شبابها ،ولا تبلى ثيابها ،ولا يخلق ثوب جمالها،ولا يمل طيب وصالها ،قد قصرت طرفها على

زوجها فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فهي في غاية أمنيته وهواه إن نظر اليها سرته وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته فهو معها في غاية الأماني والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا وكلما [حدثته] ملأت أذنه لولوًا منظومًا ومنثورًا وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان وإن سألت عن النهود فهن الكواعب ونهودهن كألطف الرمان وإن سألت عن اللون [فكأنه][1] الياقوت والمرجان وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها فإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة:

وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هي حدثت ... ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع وإن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد فاستمع يوم ينادي المنادي: يا

---

(١) في خ : فكأنهن .

أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين وحتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحدا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دني على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم [ق/ ١٠٢] واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه وقد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة قد رضينا فارض عنا ،فيقول :يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي ،هذا يوم المزيد فاسألوني :فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليه فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى :قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ،ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول :يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول :يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه .

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر الى وجهه الكريم في الدار الآخرة ،ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة . ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٥).

فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

الباب الخامس والستون

في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى [بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر] (١) وتجليه لهم ضحكا إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرًا وأعلاها خطرًا وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة والفرقة وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون ،وتسابق إليها المتسابقون ،ولمثلها فليعمل العاملون،إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم وحرمانه الحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم ،اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ،وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون ،وأنكرها أهل البدع المارقون،والجهمية المتهوكون والفرعونية المعطلون ،والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون ،والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ،ومن حبل الله منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون،وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون.

أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين،وأعداء الرسول وحزبه وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى : ﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ (الأعراف: ١٤٣).

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها : أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيالله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية الفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى ابن عمران ،وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهًا له منه!!!

---

(١) سقط من خ .

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (هود: ٤٦، ٤٧).

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله لن تراني ولم يقل إني لا أرى ولا أني لست بمرئى ولا تجوز رؤيتي والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله.

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن [ق/ ١٠٣] موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى.

ويوضحه **الوجه الرابع**: وهو قوله: ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته [وصلابته][(١)] لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه وتعالى [موسى][(٢)] أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

---

(١) سقط من ط.
(٢) سقط من ط.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فأنكروا أن يكلم أحدًا أو يراه أحد ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم من الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه، وأما قوله تعالى: ﴿لن تراني﴾فإنما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت قال تعالى ﴿ولن يتمنوه أبدا﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾(الزخرف: ٧٧).

فصل

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، وقوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ وقوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ﴾(البقرة: ٢٤٩).

وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمي والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ (التوبة: ٧٧).

فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضًا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى، وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

والثاني: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها في تكليمه لهم ولشيخنا في ذلك مصنف مفرد وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦).

إن عاد الضمير إلى العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورًا مثبتًا وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذي وعد به.

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس: ٢٥، ٢٦).

فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم، كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن والصحابة من بعده كما روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن صهيب قال: «**قرأ رسول الله ﷺ** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ **قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا ويريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار! فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»**[1]

وقال الحسن بن عرفة حدثنا سلم بن سالم البلخي عن نوح بن أبي مريم عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ : قال: **«للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة والزيادة وهي النظر إلى وجه**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨١).

الله»[١].

وقال محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ [ق/١٠٤] أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله**»[٢]، قلت عطاء هذا هو الخراساني وليس بعطاء بن رباح.

قال ابن جرير: وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيرًا وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال: حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(يونس: ٢٦) قال: «**الحسنى: الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل**».

وقال أسد[٣] السنة: حدثنا قيس بن الربيع عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يبعث الله عز وجل يوم القيامة مناديًا ينادي أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله وعدكم الحسنى والحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل**»[٤].

وقال ابن وهب: أخبرني شبيب عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل [يأمر]**[٥] **يوم القيامة مناديًا ينادي يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله وعدكم الحسنى وزيادة**

---

(١) ضعيف: أخرجه الحسن بن عرفة فى «جزئه» (٢٣) فيه نوح بن أبى مريم، اتفقوا على تضعيفه.
(٢) ضعيف: أخرجه ابن جرير فى «جامع البيان» (١١/١٠٧).
(٣) تقدم.
(٤) ضعيف تقدم.
(٥) فى خ: يبعث.

والحسنى :الجنة والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن»[(١)].

وأما الصحابة: فـقال ابن جرير[(٢)] :حدثنا ابن بشار حدثنـا عبد الرحمن هو ابن مهدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحـاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: النظر إلى وجه الله الكريم.

وبهذا الإسناد عن أبي إسحاق عن مـسلم بن يزيد عن حذيفة : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال :النظر إلى وجه ربهم تعالى[(٣)].

وحدثنا علي بن عيسى حدثنا شبابة حـدثنا أبو بكر الهذلي قال: سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث عن أبي موسى الأشعري قـال: «إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة مناديًا ينادي: هل أنجـز الله لكم ما وعـدكم ؟فينظرون إلى مـا أعد الله لهم من الكرامة فـيقولون :نعم، فيـقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ النظر إلى وجه الرحمن عز وجل[(٤)].

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قـال: أنبأنا أبو تميمة قال: سمعت أبا موسى الأشـعري يخطب الناس في جـامع البصرة ويقـول: إن الله يبعث يوم القيـامة ملكًا إلى أهل الجنة فيقول: يا أهل الجنة هل أنجز الله ما وعدكم؟فينظرون فيرون الحلي والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله مـا وعدكم ثلاث مرات؟فلا يفـقدون شيـئًا مما وعدوا فيـقولون: نعم فيقول قد بقى لكم شيء إن الله عز وجل يقول: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى.

وفي تفسير أسباط بن نصر عن إسـماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمـداني عن ابن مسعود ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ

---

(١) تقدم .
(٢) جامع البيان (٦ / ٥٤٩).
(٣) انظر السابق.
(٤) أخرجه الدارقطنى فى رؤية الله (٥٤).

وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ ﴾ فقال: أمـا الحسنى فالجنة وأما الزيادة فـالنظر إلى وجه الله وأما القتر فالسواد .

وقال عـبد الرحمن بن أبي ليـلى وعامر بن سـعد وإسمـاعيل بن عبـد الرحمن السدي والضـحاك بن مزاحم وعبـد الرحمن بن سابط وأبو إسحـاق السبيعـي وقتادة وسعيـد بن المسيب والحسن البـصري وعكرمة مولى ابن عـباس ومجاهد بـن جبر : الحسـنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعـالى ،وقال غـير واحـد من السلف في الآية: ﴿ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ ﴾ (يونس :٢٦) .

بعد النظر إليه ،والأسـانيد عنهم بذلك صحيحة ولما عطف سـبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل عـلى أنها أمر آ ر وراء الجنة وقـدر زائد عليها ومن فـسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب ت ارك وتعالى.

فصل

الدليل الرابع: قوله تعالى :﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(المطففين: ١٤، ١٥).

ووجه الاستـدلال بها أنه سبحانـه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الـكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنـه وقد احتج بهذه الحجة الشافـعي نفسه وغيره من الأئمة فـذكر الطبري وغيره عن المزني قـال: سمعت الشافعي يقـول في قوله عز وجل :﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

وقال الحـاكم: حدثنا الأصم أنبـأنا الربيع بن سليمـان قال: حضـرت محـمد بن إدريس الشـافعي وقـد جاءته رقـعة من الـصعـيد فـيهـا ما تقـول في قول الله عـزّ وجلّ: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾.

فقال الشافعـي :لما أن حجب هؤلاء في [ق/ ١٠٥] السخط كان في هذا دليل

على أن أولياءه يرونه في الرضى قال الربيع : فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل.

ورواه الطبري في شرح السنة من طريق الأصم أيضًا وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد بن عبد الله : ليس يراه إلا المؤمنون قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عزّ وجلّ.

فصل

الدليل الخامس: قوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥).

قال الطبري: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره.

فصل

الدليل السادس: قوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوديًا كمدحه بنفي السنة

والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه غناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًا فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله﴿ وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ﴾: أنه يعلم كل شيء وفي قوله﴿ وما مسنا من لغوب ﴾أنه كامل القدرة وفي قوله: ﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾ أنه كامل العدل وفي قوله: ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾أنه كامل القيومية.

فقوله﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ ﴾ (الشعراء: ٦١، ٦٢).

فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ إنا لمرئيون فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿ كَلا ﴾، وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٧٧).

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ لا تحيط به الأبصار قال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار وقال عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله تعالى﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانًا ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئًا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه.

ونظير هذا: استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لكثرتها [وعظمتها][١] [ق/١٠٦] وسعتها لم يكن له مثل فيها وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه، فقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ من [أدل][٢] شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(الحديد: ٤).

من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم في ذاته بل [خلقهم][٣] خارجًا عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه ويراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم علمًا وقدرة وإرادة وسمعًا وبصرًا فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا وتأمل حسن هذه المقابلة لفظًا ومعنى بين قوله: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

---

(١) سقط من ط.
(٢) في: ط أدلة.
(٣) سقط من خ.

فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوه، الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

فصل

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(القيامة: ٢٢، ٢٣).

وأنت إذا أجريت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحًا أن الله سبحانه يرى [عيانًا بالأبصار][١] يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة، كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتناول النصوص ويحرفها عن موضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته، وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظرالعين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه نفسه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ (الحديد: ١٣).

وأن عدى بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

---

(١) في خ: تقديم وتأخير.

وينعه﴾ (الأنعام: ٩٩).

فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟!

قال يزيد بن هارون: أنبأنا مبارك عن الحسن قال: نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنضرت بنوره فاسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية.

قال ابن مردويه في تفسيره: حدثنا إبراهيم بن[1] محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد بن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: «**من البهاء والحسن** ﴿**إلى** ربها ناظرة﴾ **قال: في وجه الله عز وجل**».

وقال أبو صالح عن ابن عباس إلى ربها ناظرة قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل وقال عكرمة: وجوه يومئذ ناضرة، قال: من النعيم، إلى ربها ناظرة، قال: تنظر إلى ربها نظرًا ثم حكى عن ابن عباس مثله وهذا قول [كل][2] مفسر من أهل السنة والحديث.

فصل

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق [وأبو هريرة][3] وأبو سعيد الخدري وجرير بن عبد الله البجلي وصهيب ابن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي وجابر بن عبد الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن

(١) في ط: عن.
(٢) سقط من ط.
(٣) سقط من خ.

ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله ابن عمر وعمارة بن رويبة، [ق/١٠٧] وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان ،وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمرو بن العاص ،وحديثه موقوف ،وأبي بن كعب ،وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف ،ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مسمى.

فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقاها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ،وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

فصل

فأما حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني قال: حدثنا النضر بن شميل المازني قال: حدثني أبو نعامة قال: حدثني أبو هنيدة البراء بن نوفل عن [والان][1] العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة، ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه؟صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط ،قال :فسأله فقال: «**نعم عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة [فاجتمع][2] الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام والعرق يكاد يلجمهم فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك ،قال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(آل عمران: ٣٣)

قال :فينطلقون إلى نوح ﷺ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله

(١) في خ : دالان.
(٢) في خ : فجمع.

واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارًا ،فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام فإن الله اتخذه خليلاً فينطلقون إلى إبراهيم فيقولﷺ: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى عليه السلام فإن الله عزَ وجلّ كلمه تكليمًا فيقول موسى عليه السلام: ليس ذلك عندي ،انطلقوا إلى عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فيقول عيسى : ليس ذلك عندي ،انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل قال: فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة ،فينطلق جبريل به ﷺ فيخر ساجدًا قدر جمعة ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع،قال فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجدًا قدر جمعة أخرى ،يقول الله عز وجل :ارفع رأسك ،وقل تسمع ،واشفع تشفع،قال: فيذهب ليقع ساجدًا يأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئًا لم يفتحه على بشر قط ، فيقول: أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ،ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون ،ثم يقال: ادعوا الأنبياء قال: فيجيء النبي ومعه العصابة ،والنبي ومعه الخمسة والستة والنبي وليس معه أحد ،ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا ،قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك قال: فيقول الله عزَ وجلَ: أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئًا قال فيدخلون الجنة ،قال ثم يقول الله عز وجل انظروا في [أهل][(١)] النار هل تلقون من أحد عمل خيرًا قط قال: فيجدون في النار رجلاً فيقولون: له هل عملت خيرًا قط فيقول: لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع فيقول الله عز وجل : اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي ثم يخرجون من النار رجلاً يقولون له :هل عملت خيرًا قط؟فيقول: لا ،غير أني [قد][(٢)] أمرت ولدي: إذا مت فأحرقوني في النار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فأذروني في الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين أبدا فقال الله

(١) سقط من خ.
(٢) سقط من ط.

عز وجل له: لم فعلت ذلك؟قال: من مخافتك قال: فيقول الله عز وجل انظر إلى ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله ، قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك، قال وذلك الذي ضحكت منه من الضحى»(١).

فصل

وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة :أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟قالوا:لا يا رسول الله ؟قال:هل تضارون في [رؤية](٢) الشمس ليس دونها [ق/ ١٠٨] سحاب؟قالوا:لا قال:فإنكم ترونه كذلك،ويجمع الله الناس يوم القيامة فيقول:من كان يعبد شيئًا فليتبعه ،فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس،ويتبع من كان يعبد القمر القمر ،ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت،وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول:أناربكم فيقولون:نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول:أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم،وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟قالوا:نعم يا رسول الله ،قال:فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ،تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله،ومنهم المجازئ حتى ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول:لا إله إلا الله فيعرفونهم بأثر السجود وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر

---

(١) أخرجه أحمد (١٥) وابن حبان (٦٤٧٦) وأبو يعلى (٥٦) والبزار (٧٦). قلت: صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(٢) سقط من خ.

السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول:أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى :هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟فيقول:لا أسألك غيره فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب قدمني إلى الجنة فيقول الله :أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يابن آدم ما أغدرك!! فيقول :أي رب فيدعو الله حتى يقول له:فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟فيقول:لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لاتسأل غير ما أعطيتك؟ويلك يابن آدم ما أغدرك !!فيقول:أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمن فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول:تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل :ذلك لك [ومثله] (١) معه،قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه».

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا حتى إذا حدث أبو هريرة قال:إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد:وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك: له ومثله معه،قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله ذلك و لك عشرة أمثاله ،قال أبو هريرة :وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة(٢).

(١) هكذا في خ.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٣٣٨) ومسلم (١٨٢).

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي سعيد الخدري «أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: «ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار [كأنها] (١) سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا [ق / ١٠٩] يا ربنا فاسقنا قال فيشار ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر [وفاجر](٢) أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا مرتين أو ثلاثًا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه. ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت

---

(١) هكذا في خ.
(٢) هكذا في خ.
(٣) سقط من خ.

ربنا ،ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة قيل:يا رسول الله وما الجسر؟قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها:السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم،ومخدوش مرسل،ومكدوس في نار جهنم ،حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون:ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم :أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون:ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا ،فيقول :ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف [دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال][1] دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون:ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون:ربنا لم نذر فيها ، وكان أبو سعيد الخدري يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء:٤٠).

فيقول الله عز وجل:شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له:نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا:يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال:فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ،ولا خير قدموه ،ثم يقول:ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون:ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين ،فيقول:لكم عندي أفضل من هذا ،فيقولون:يا ربنا وأي شيء أفضل من

(١) سقط من ط .

هذا؟فيقول تعالى :رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١).

فصل

وأما حديث جرير بن عبد الله ففي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا** »ثم قرأ قوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾(٢) (ق: ٣٩).

رواه عن إسماعيل بن أبي خالد عبد الله بن إدريس الأزدي ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد وهشيم بن بشير وعلي بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطفاوي ويزيد بن هارون وإسماعيل بن أبي خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن حيي وورقاء بن عمرو وعمار ابن رزيق وأبو الأغر سعيد بن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبي بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة [السكري](٣) وحسين بن واقد [ق/ ١١٠] ومعمر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم ابن سفيان ومندل بن علي وأخوه حبان بن علي وعمرو بن [يزيد](٤) وعبد الغفار بن القاسم ومحمد بن بشير الحريري ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلى بن القاسم الكندي وعبيد ابن الأسود الهمداني وعبد الجبار بن العباس والمعلى

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٧٤٤٠) ومسلم (١٨٣).
(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٥١) ومسلم (٦٣٣).
(٣) فى خ : اليشكري.
(٤) فى خ : مرثد.

ابن هلال ويحيى بن زكـريا بن أبي زائدة والصبـاح بن محارب ومـحمد بن عـيسى وسعيد بن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومـسعود بن سعد الجعفي وعثمان ابن علي وحـسن بن حبيب وسـنان بن هارون البرجمـي ومحمـد بن يزيد الواسطي وعمـرو بن هشام ومحـمد بن مروان ويعلى بن الحـارث المحاربي وشعـيب بن راشد والحـسن بن دينار وسـلام بن أبي مطيع وداود بن الزبرقـان وحـماد بن أبي حـنيفـة ويعقوب ابن حـبيب وحكام بن سلم وأبو مقاتل بن حفص ومـسيب بن شريك وأبو حنيفـة النعمان بن ثابت وعـمرو بن سمـر الجعفي وعـمرو بن عبد الغـفار الفقـيمي وسيف بن هارون البرجمي أخو سنان ،وعابد بن حـبيب ومالك بن سعير بن الخمس ويزيد بن عطاء مولي أبي عوانة وخالد بن يزيد العصفري وعبد الله بن موسى وخالد ابن عبد الله الطحان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ورقبـة بن مصقلة ومعمر بن سليمان الرقي ومرجي بـن رجاء وعمـرو بن جرير ويحـيى بن هاشم السمسـار وإبراهيم بن طهمان وخارجة بن مـصعب وعبد الله بن عثمان وشريك وشعـبة وعبد الله بن فروخ وزيد بن أبي أنيسة،وجوده فقال:«**فستعاينون ربكم عزَ وجلَ كما تعاينون هذا القمر**» وأبو شهـاب الحناط وقال:«**سترون ربكم عيـانًا**»وجازية بن هرم وعـاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وأبو جعفر الرازي والحسن بن أبي جعفر والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو وعبد السلام بـن عبد الله بن قرة العنبري ويزيد بن عبد العزيز وعلي بن صالح بن حى وزفر بن الهذيل والقاسم بن مـعن،تابع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجـالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن وجرير بن يزيد جرير البجلـي وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بـن أبي حازم عن جرير وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبي خالد وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس بن أبي حازم وشهد قيس ابن أبي حازم على جرير وشهد جرير بن عبد الله على رسول الله ﷺ فكأنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقول ويبلغه لأمته، ولا شيء أقر لأعينهم منه، وشهـدت الجهمـية والفرعـونية والرافضـة والقرامطة والبـاطنية وفروخ الصـابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك، وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها والله تعالى ناصر كتابه وسنّة رسوله ولو كره الكافرون.

فصل

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل :تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون :ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟قال:فيكشف الحجاب ،فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم**»،**ثم تلا هذه الآية**: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] (يونس: ٢٦).

وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق.

فصل

وأما حديث عبد الله بن مسعود ،فقال الطبراني :حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قالوا: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن أبي كريمة الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: « **يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء ، قال:وينزل الله عزَ وجلَ في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادى مناد:أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا،أليس ذلك عدلاًمن ربكم؟قالوا:بلى ،قال:فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدينا قال:فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم**

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٨١).

من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا [ق/ ١١١] يعبدون قال:ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيزًا شيطان عزير ويبقى محمد ﷺ وأمته فيأتيهم الرب عز وجل فيقول:ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون:إن لنا إلهًا ما رأيناه بعد فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون :إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناه عرفناه ،قال فيقول: قاموا والرب ما هي؟فيقولون :يكشف عن ساقه فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجدًا ويبقى قوم [ظهورهم][(١)] كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون،ثم يقول:ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه،ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك ،ومنهم من يعطى نورًا مثل النخلة بيمينه،ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطي نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة فإذا أضاء قدم قدمه ومشى،وإذا طفيء [قاموا والرب][(٢)] تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال : ويقول:مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب،ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ،ومنهم كشد الرجل حتى يمر الذي أعطي نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه[تخريد وتعلق رجل][(٣)] وتصيب جوانبه النار،فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف [عليهم][(٤)] ثم قال:الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدًا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها قال:فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم،فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول:رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له:أتسأل الجنة وقد نجيتك من

(١) هكذا في خ.
(٢) هكذا في خ.
(٣) في خ: تخريد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل.
(٤) في خ : عليها.

النار؟فيقول:رب اجعل بيني وبينها حجابًا لاأسمع حسيسها قال:فيدخل الجنة قال:ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول:رب أعطني ذلك المنزل فيقول:فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره،فيقول:لا وعزتك لا أسألك غيره،وأي منزل يكون أحسن منه ؟قال:فيعطاه فينزله ،ويرى أمام ذلك المنزل منزلاً كأنما هو فيه إليه حلم،قال:رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله عز وجل :فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ،فيقول :لا وعزتك لا أسألك غيره ،وأي منزل يكون أحسن منه؟فيعطاه فينزله قال: ويرئ منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه، فيعطاه فينزله ثم يسكت فيقول الله عز وجل :ما لك لا تسأل؟فيقول:رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك ،فيقول الله عزَ وجل :ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟فيقول:أتستهزئُ بي وأنت رب العزة فيضحك الرب عزَ وجل من قوله قال: فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك، فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث هذا الحديث مرارًا كلما بلغت هذا المكان ضحكت فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه قال:فيقول الرب عز وجل :لا ،ولكني على ذلك قادر سل،فيقول:ألحقني بالناس فيقول:الحق بالناس قال:فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له:ارفع رأسك مالك؟فيقول:رأيت ربي أو تراءى لي ربي فيقال له:إنما هو منزل من منازلك قال:ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود فيقال:مه مالك؟فيقول:رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له:إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه ،قال :فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال:هو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة [فيها سبعون بابا. كل باب يفضي إلى جوهرة خضراء

مبطنة بحمراء كل جوهرة [ق١١٢] تفضي إلى جوهرة][1] على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها ،كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفًا عما كانت قبل ذلك فيقول لها:والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا فتقول له والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً فيقال له:أشرف قال:فيشرف فيقال له:ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره»،قال:فقال عمر ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم؟

قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله عزّ وجل جعل دارا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحدًا من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧)

قال : وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ثم قال من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واها لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه فقال: ويحك؛ يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها ،فقال كعب: والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول: «رب نفسي نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبيًا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو»[2].

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني في كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقري قال: حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم

---

(١) سقط من ط.

(٢) حسن : أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٠٣) والطبراني في «الكبير» (٩٧٦٣) والهيثم بن كليب (٤١٠) والدارقطني في «الرؤية» (١٧٨) وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣١).

ابن أبي هند عن أبي عبيدة عن عبد الله، رواه من طريق عبد السلام بن حرب حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به، ورواه من طريق زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق أحمد بن أبي طيبة عن أبيه عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة.

فصل

وأما حديث علي بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن المصفى حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «**يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون قال: ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك**»، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿**ولدينا مزيد**﴾[1].

فصل

وأما حديث أبي موسى ففي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا الله أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموا بهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل**

(١) ضعيف: تقدم.
(٢) صحيح: تقدم.

ونحن على مكان رفيع فيقول :من أنتم؟فنقول:نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا عز وجل، فيقول:وهل تعرفونه إن رأيتموه؟فنقول:نعم إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكًا فيقول:أبشروا يا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديًا أو نصرانيًا مكانه»(١).

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكًا يوم القيامة**»(٢).

وذكر الدارقطني من حديث أبان بن أبي عياش عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**يبعث الله يوم القيامة مناديا ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم أن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز جل**»(٣).

فصل

وأما حديث عدي بن حاتم ففي صحيح البخاري قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: «**يا عدي هل رأيت الحيرة؟** [ق/ ١١٣] »قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: «**فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله** »، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيىء الذين سعروا البلاد: «**وإن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى بن هرمز** قلت :كسرى ابن هرمز؟ «**وإن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فليقولن :ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل**

(١) ضعيف : أخرجه أحمد (١٩١٥٧).
(٢) ضعيف : تقدم.
(٣) ضعيف : أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٥٣) وفيه إبان بن أبي عياش، وهو متروك.

عليك؟فيقول:بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم» . قال عدي :فسمعت النبي ﷺ يقول: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة»** قال عدي :فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز وإن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ»(١) .

فصل

وأما حديث أنس بن مالك ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك-وفي لفظ فيلهمون لذلك- فيقولون :لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ؟فيأتون آدم فيقولون :أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ،فيقول:لست هناكم ،فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله عز وجل قال:فيأتون نوحًا فيقول:لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً فيأتون إبراهيم فيقول:لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليمًا وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول:لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منهاولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول:لست هناكم ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخرقال:قال رسول الله ﷺ فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته فأقع ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال:يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع ،وسل تعط ،واشفع تشفع،فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي فأشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة،ثم أعود فأقع ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال :ارفع رأسك يا محمد :وقل يسمع ،**

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٩٥).

وسل تعط ،واشفع تشفع ،فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع :فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ،قال:فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال [فأقول][١] **:يا رب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود»**[٢].

وذكر ابن خزيمة عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معتمر ابن سليمان عن حميد عن أنس قال: «يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا»، فذكر الحديث إلى أن قال :«فينطلقون إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي على عرشه فأخر ساجداً» وذكر الحديث[٣].

وقال أبو عوانة وابن أبي عروبة وهمام وغيرهم عن أنس في هذا الحديث : **«فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً » وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس :«فآتي ربي وهو على سريره أو كرسيه فأخر ساجداً»**وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه: **«فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت [له] ساجداً»**[٤].

ورؤية النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتًا يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة وفي حديث أبي هريرة: «أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر وأنا أول من يدخل الجنةولا فخر آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جلَّ جلاله فأخر له ساجداً».

وقال الدارقطني :حدثنا إبراهيم النسائي أخبرنا إبراهيم بن محمد المعدل بمصر حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القاضي حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد حدثنا

---

(١) سقط من : (ط).
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣).
(٣، ٤) صحيح : تقدم.

الخليلي عن عمر الأشج عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن النبي [ق/ ١١٤] ﷺ في قوله عزّ وجل: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: ٢٦) قال: «النظر إلى وجه الله عز وجل».

حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصبهاني ومحمد بن جعفر بن أحمد المطيري ومحمد بن علي بن إسماعيل الأيلي قالوا: حدثنا عبد الله بن روح المدائني حدثنا سلام بن سليمان حدثنا ورقاء وإسرائيل وشعبة وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث عن عثمان بن أبي حميد عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتاني جبريل وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها ،فيها كالنكتة السوداء فقلت:[ما هذا الشيء في يدك يا جبريل: فقال: هذه الجمعة فقلت: وما الجمعة قال:][1] لكم فيها خير كثير ،قلت:وما يكون لنا فيها؟قال:يكون عيدا لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعًا لك،قلت:وما لنا فيها؟قال:لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئًا هو له قسم إلا أعطاه إياه،أو ليس له بقسم إلا ذخر له في آخرته ما هو أعظم منه قلت:ما هذه النكتة التي فيها؟قال:هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد قلت:وما ذاك يا جبريل؟قال:إن ربك اتخذ في الجنة واديًا فيه كثبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان ثم يتجلى لهم عز جل فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي هذا محل كرامتي ،فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ،وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عزَ وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء [أو][2] زبرجدة خضراء[أو] [3] ياقوتة حمراء غرفها وأنهارها مطردة**

(١) سقط من :(ط).
(٢،٣) سقط من :(ط).

فيها وأزواجها وخدامها وثمارها [متدليات](١) **فيها فليسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة»**(٢).

هذا حديث كبير الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده، فرواه [فيه](٣) عن إبراهيم بن محمد قال: حدثني موسى بن عبيدة قال: حدثني أبو الأزهر عن عبدالله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكره بنحوه قد تقدم لفظه ثم قال الشافعي: أنبأنا إبراهيم قال: حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيهًا به وزاد فيه أشياء ورواه محمد ابن إسحاق قال: حدثني ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه: «ثم يتجلى لهم ربهم عزّ وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم» وذكر باقي الحديث، ورواه عمرو ابن [أبي](٤) قيس عن أبي طيبة عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس وجوده وفيه: «[فإن](٥) كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب قال: ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي سلوني فيسألونه الرضى، قال: رضاي [آمن لكم](٦) داري [وأنا لكم](٧) كرامتي سلوني، [فيسألونه](٨) الرضى قال: فيشهدهم بالرضا ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم» وذكر الحديث وروى علي بن حرب حدثنا إسحاق بن سليمان حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن عثمان وقال فيه: ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم.

ورواه الدارقطني من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال: سمعته يقول: بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: **«أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون عيدا لك ولأمتك من بعدك، قال: قلت: يا جبريل ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد قال: قلت: يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد**

(١) في خ: متدلية.
(٢) تقدم.
(٣) سقط من ط.
(٤) سقط من ط.
(٥) في خ: فإذا.
(٦) في خ: أنزلكم.
(٧) سقط من ط.
(٨) هكذا في خ.

قال: إن الله اتخذ في الجنة واديًا أفـيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجـمعة نزل ربنا عـزَّ وجل على كـرسـيـه إلى ذلك الوادي قـد حف العـرش بمنابر مـن ذهب مكللة بالجواهر وقـد حفت تلك المنابر بكراسي من نـور ثم يؤذن لأهل [ق/ ١١٥] الغرف فيـقبلون يخضـون كثـبان المسك إلى [الركب عليهم أسـورة الذهب والفضـة وثياب السندس والحرير حتـى ينتهوا إلى](١) ذلك الوادي فإذا اطمأنوا فـيه جلوسًا بعث الله عليهم ريحًا يقـال لها: المثيرة فثارت ينابيع المـسك الأبيض في وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل، فـينادي رب العزة تبـارك وتعالى رضـوان وهو خـازن الجنة فيـقول: يا رضـوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجـود فيناديهم تبارك وتعـالى بصوته : ارفعـوا رءوسكم فإنما كانت العـبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجـزاء سلوني ما شئتم فأنا ربكم الذي صـدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمـتي ، فهذا محل كرامـتي فسلوني ما شئتم ،فـيقولون :ربنا وأى خيـر لم تفعله بنا،ألسـت الذي أعنتنا على سكرات الموت ،وآنست منا الوحـشة في ظلمة القبر،وآمنت روعتنا عند النفخة في الصور؟ ألست أقلت عثراتنا ،وسترت علينا القبـيح من فعلنا ،وثبت على جـسر جـهنم أقدامنا؟ ألست الذي أدنيـتنا من جوارك وأسمعتنا لـذاذة منطقك وتجليت لنا بنورك فأى خير لم تفعله بنا؟فـيعود الله عزَّ وجل فيـناديهم بصوته فـيقـول: أنا ربكم الذي صدقـتكم وعـدي ،وأتممت عليكم نعمـتي فسلوني ،فيـقولون: نسألك رضاك فيـقول: برضائى عنكم أقلتكم عثـراتكم ،وسترت عليكم القبـيح من أموركم ،وأدنيت مني جواركم ،وأسمـعتكم لذاذة منطقي وتجليت لكم بنوري، فهذا محل كـرامتي فسلوني ،فيسألونه حتى تنتهي مـسألتهم ثم يقول عز وجل :سلوني فيـقولون: رضينا ربنا وسلمنا فيـزيدهم من مزيد فضله وكرامـته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ،ويكون ذلك مـقدار تفرقهم من الجمـعة ،قال: أنس فقلت: بأبي وأمـي يا رسول الله وما مقـدار تفرقهم؟ قال: كـقدر الجمعة إلى الجمعة قال: ثم يحمـل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ثم

(١) سقط من ط .

يؤذن لأهل الغرفات فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين ليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته قال أنس: سمعته من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحد».

ورواه الدارقطني أيضًا عن أبي بكر النيسابوري قال: أخبرني العباس بن الوليد بن يزيد قال: أخبرني محمد بن شعيب قال: أخبرني عمرو مولى عفرة عن أنس ورواه محمد بن خالد ابن جني: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال: قال أنس قال رسول الله ﷺ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن عثمان عن أنس ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن زهير ابن حرب: حدثنا جرير عن ليث عن عثمان ابن أبي حميد عن أنس ورواه عن الأسود بن عامر قال ذكر [لي عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس ورواه ابن بطة في الإبانة من حديث الأعمش] (١) عن أبي وائل عن حذيفة وسيأتي سياقه وقد جمع ابن أبي داود طرقه.

فصل

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان**» (٢).

فصل

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حداش عن أبي رزين قال: «قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال: نعم، قلت: وما آية ذلك في

---

(١) سقط من ط.

(٢) صحيح: رواه الدارقطني في «الرؤية» (٢٠١).

خلقـه؟قـال: **أليس كلكـم ينظر إلى القـمـر ليلة البـدر ؟قلنـا:نعم ،قـال:الله أكـبـر وأعظم»**(١).

قال عبـد الله قال أبي :والصواب حدث،وقال أبو داود سليـمان بن الأشعث : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمـة به،فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايتـه عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما،وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكـره في حديثه الطويل وأبو رزين العقيلي له صـحبة وعداده من أهل الطائف:وهو لقيط بن عامر ويقال: لقـيط بن صبرة هكذا قال البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل:هما اثنان ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة، والصحيح الأول وقال ابن عـبد البر ،من قال لقـيط بن صبرة نسـبه إلى جده وهو لقيط بن عـامر بن صبرة [ق/١١٦] .

فصل

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد :حدثنا روح حدثنا :ابن جريج قال أخبـرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا يسـأل عن الورود فقال:نحن يوم القـيامة على كذا وكذا أي فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانهـا وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول من تنتظرون ؟فيقولون:نـنتظر ربنا فيقول:أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك ،قال :فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا ثم يتـبعونه علي جسر جهنم وعليـه كلاليب وحسك تأخذ من شـاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجـو المؤمنون فتنجو أول زمـرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفًا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حـتى يخرج من النار من قال:لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مـا يزن شعيرة فيـجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عـليهم الماء حتى ينبتـون نبات الشيء في السـيل ،ويذهب حراقه ثم يسـأل حتى يجـعل الله له الدنيا

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٧٣١) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٦) حديث (٤٦٦) وأحمد (١٥٧٥٩) والحاكم (٨٦٨٢).

وعشرة أمثالها معها»[١] .

رواه مسلم في صحيحه وهذا الذي وقع في الحديث من قوله : على كذا وكذا قد جاء مفسرًا في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين : «**نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق**».

قال عبد الرزاق : أنبأنا رباح بن زيد قال: حدثني ابن جريج قال: أخبرني زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «**يتجلى لنا الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجدًا فيقول : ارفعوا رءوسكم فليس هذا بيوم عبادة**»[٢] .

وقال الدارقطني : أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعاني قال: حدثني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «**يتجلى لنا ربنا عزَ وجلَ يوم القيامة ضاحكًا**»[٣] ، ورواه أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعد : حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم**» فذكر الحديث وفيه : فيقول: أتعرفون الله عزّ وجلّ إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم فيقول : وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عدل له، قال: فيتجلى لهم تبارك وتعالى فيخرون له سجدًا .

وقال ابن ماجه في سننه[٤] : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العباداني عن فضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : « **بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب جلَ جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله عز وجل : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (يس:٥٨) فلا يلتفتون**

(١) صحيح : رواه مسلم (١٩١) وأحمد (١٤٦٩٥) والطبراني في «الأوسط» (٩٠٧٥).
(٢) صحيح : أخرجه الدارقطني في «رؤية الله» (٦٢) والآجري في «الشريعة» (٦٨٩).
(٣) صحيح: أخرجه الدارقطني في «رؤية الله» (٦٣)، الصحيحة (٧٥٥).
(٤) ضعيف : أخرجه ابن ماجه في السنن (١٨٤) وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٢٠٩).

إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره».

وقال حرب في مسائله: حدثنا يحيى بن أبي حازم حدثنا يحيى بن محمد أبو عاصم العباداني فذكره، وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضًا من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « **بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف، فقال تعالى: يا أهل الجنة سلوني، قالوا: نسألك الرضا عنا، قال: رضائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني، قالوا: نسألك الزيادة قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جواري الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحًا يقال لها: المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم فيقول مرحبًا بالصادقين ومرحبًا بالطائعين، قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى، فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضًا، ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضًا فقال رسول الله ﷺ فذاك قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾** (فصلت: ٣٢) (١).

رواه في كتاب البعث والنشور وفي (كتاب الرؤية) قال: وقد مضى في هذا الكتاب [ق/ ١١٧] في كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر وقال الدارقطني: أنبأنا الحسن ابن إسماعيل أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدة، حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة**»(٢).

---

(١) ضعيف: رواه الدارقطني في «الرؤية» (٦١).

(٢) ضعيف جدا: رواه الدارقطني في «الرؤية» (٥٨).

فصل

أما حديث أبي أمامة فقال ابن وهب :أخبرني يونس بن يزيد عن عطاء الخرساني عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي عن أبي أمامة قال: خطبنا رسول الله ﷺ يومًا فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته ، فكان فيما قال لنا يومئذ :**«إن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأناحجيج كل مسلم،وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم** ، [وإن][1] **يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يمينًا وعاث شمالاً،يا عباد الله اثبتوا وإنه يبدأ فيقول :أنا نبي ولا نبي بعدي ،ثم يثني فيقول:أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ بفواتح سورة أصحاب الكهف وإنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن بردًا وسلامًا كما كانت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم وإن أيامه أربعون يومًا** [يوما][2] **كسنة ويومًا كشهر ويومًا كجمعة ويومًا كالأيام وآخر أيامه كالسراب ،يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر ،قالوا : فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟قال :تقدرون فيها كما تقدرون في الأيام الطوال»**[3] . ورواه الدارقطني عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرح عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو به مختصراً.

---

(١) في خ: إنه.

(٢) سقط من ط.

(٣) انصحك أخي القارئ الكريم بالرجوع إلى كتاب «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه». ط المكتبة الإسلامية.

فصل

وأما حديث زيد بن ثابت فقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثني أبو بكر قال: حدثني ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال: «قل حين تصبح: لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وإليك، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك وأنت على كل شيء قدير، اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى عليَ أو أكسب خطيئة [محبطة][1] أو ذنبًا لا تغفره، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدًا أني أشهد أنه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق، والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب عليَ إنك أنت التواب الرحيم»[2]. رواه أبو داود في صحيحه.

فصل

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك

---

(١) في خ: محيطه.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٢١١٥٨) والحاكم (١٩٠٠) والطبراني في «الكبير» (٤٨٠٣).

عن أبي هاشم عن أبي مجلز: قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قال: أما إني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا [علمت][1] الوفاة خيرًا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين**»[2] وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما.

فصل

وأما حديث عائشة: ففي صحيح الحاكم من حديث الزهري [ق/ ١١٨] عن عروة عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «**يا جابر ألا أبشرك؟** قال: بلى بشرك الله بخير قال: **شعرت أن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال: تمن علي ما شئت أعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى، قال: إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجع**»[3] وهو في المسند من حديث جابر وفي مسنده أدخله.

وللترمذي فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال: «لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «**يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عزَّ وجلَّ لأبيك؟ قال: بلى قال: ما كلم الله عز وجل أحدًا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحًا فقال: يا عبدي تمن عليَّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال: إنه**

---

(١) في خ: كانت.

(٢) صحيح: رواه النسائي (١٣٠٤) و(١٣٠٥) وفي «الكبرى» (١٢٢٨) و(١٢٢٩) وأحمد (١٧٨٦١) وابن حبان (١٩٧١) وأبو يعلى (١٦٢٤) والبزار (١٣٩٢) والحاكم (١٩٢٣) وابن أبي شيبة (٥٣/٧) من طريقه عن عمار.

(٣) حسن: رواه الحاكم (٤٩١١).

قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال: يا رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ (آل عمران: ١٦٩)(١).

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب قلت : وإسناده صحيح ورواه الحاكم في صحيحه.

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال الترمذي : حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة، وقال الطبراني حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو معاوية محمد ابن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: « **إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين**»(٢).

قال الترمذي: وروي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعًا وروى الأشجعي عبيد الله عن سفيان الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قلت: ورواه الحسن بن عرفة عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا وزاد فيه : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣).

وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : « **يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى**»(٣) ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن إبراهيم بن خرزاد عنه.

وقال الدارقطني: حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا محمد بن يونس حدثنا عبد

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٠١٠) وابن ماجة (١٩٠) (٢٨٠٠) وابن حبان (٧٠٢٢).

(٢) تقدم.

(٣) ضعيف: رواه الدارقطني في «الرؤية» (١٩٢).

الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الحناط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة،** قالوا: بلى يا رسول الله، فذكر الحديث -إلى أن قال- حتى **إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول: يا أهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدني فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل**»(١).

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حدثنا محمد بن يونس عن أبي شهاب [الحناط] (٢) عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن**»(٣).

فصل

وأما حديث عمارة بن رويبة فقال ابن بطة في الإبانة حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة ابن رويبة عن أبيه قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**» (٤).

---

(١) ضعيف: رواه الدارقطني في «الرؤية» (١٩٣).
(٢) في خ: الخياط.
(٣) ضعيف: تقدم.
(٤) صحيح: تقدم.

قال ابن بطة :وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرزاق بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا المسعودي عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر ابن عمارة بن رويبة عن أبيه: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا**» (١).

فصل

وأما حديث سلمان الفارسي فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: يأتون النبي ﷺ فيقولون يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: «**نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال: من هذا فيقال: محمد قال: فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له**»(٢). الحديث.

فصل

وأما حديث حذيفة بن اليمان، فقال ابن بطة: أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة ابن اليمان وقال البزار: حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو ابن عبيدة العصفري قال حدثنا يحيى بن كثير العنبري حدثنا إبراهيم بن المبارك عن

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» (٦١١٥) والمحاملي في «الأمالي» (٧٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٣). قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٢).

القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : «أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء قال :قلت يا جبريل ما هذه ؟قال :هذه الدنيا صفاؤها وحسنها قال:قلت:وما هذه اللمعة في وسطها ؟قال :هذه الجمعة قال:قلت:وما الجمعة؟ قال:يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة .أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تبارك وتعالى جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجي فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه،وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها :وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادي مناد :يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل في كثبان من المسك،فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت قال:فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحًا تدعى :المثيرة تثير عليهم أثابير المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى قال:ثم يوحي الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني وصدقوا رسلي واتبعوا أمري فسلوني فهذا يوم المزيد ، قال:فيجتمعون على كلمة واحدة ربنا رضينا عنك فارض عنا ،قال :فيرجع الله تعالى في قومهم :أن يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم ما أسكنتكم جنتي فسلوني فهذا يوم المزيد ،قال : فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا ،قال :فيرجع الله عز وجل في قولهم أن يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم ما أسكنتكم جنتي فهذا يوم المزيد فسلوني ،قال :فيجتمعون على كلمة واحدة رب وجهك أرنا ننظر إليه،قال:فيكشف

الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره ،قال :ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم قال:فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره فإذا صاروا إلى منازلهم يزداد النور وأمكن ،حتي يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها،قال :فيقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرهاقال:فيقولون ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم ، قال:فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال:وذلك قوله عز وجل : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧) [١].

وقال عبد الرحمن بن مهدي :حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد السعدي عن حذيفة في قوله عزّ وجل: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: ٢٦). قال النظر إلى وجه الله عز وجل ،قال الحاكم وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع.

فصل

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن أبي نضرة قال: خطبنا [ق/ ١٢٠] ابن عباس فقال: قال رسول الله ﷺ: **« ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا وإني [خبأت][٢] دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال:من أنت ؟فأقول:أنا محمد ،فآتي ربي وهو علي كرسيه أو علي سريره فيتجلى لي ربي فأخر له ساجداً»**[٣] ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال عن أبي سعيد بدل ابن عباس وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا عمي محمد بن الأشعث حدثنا [حسن بن حسن قال: إلى حسن][٤]

---

(١) ضعيف : رواه البزار (٣٥١٨).

(٢) في خ: اختبأت.

(٣) ضعيف : رواه أحمد (٢٦٨٧) وأبو يعلى (٢٣٢٨).

(٤) في ط: ابن جسر قال: حدثني أبو جسر والمثبت من «الشريعة».

عن الحسن عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسًا أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوًا**»(١).

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الصاغاني: حدثنا صدقة أبو عمرو العقدي قال: قرأت على محمد بن إسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه عبد الله بن عمرو قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال: «خلق الله الملائكة لعبادته أصنافًا فإن منهم الملائكة قيامًا صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة ركوعًا خشوعًا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة سجودًا منذ يوم خلقهم إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

فصل

وأما حديث أبي بن كعب فقال الدارقطني: حدثنا عبد الصمد بن علي حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال: حدثني قحطبة بن علاقة حدثنا أبو خلدة عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. قال: «**النظر إلى وجه الله عزّ وجلّ**»، وأما حديث كعب بن عجرة فقال محمد بن حميد: حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى**»(٢).

---

(١) ضعيف: رواه الآجري في «الشريعة» (٦١١).

(٢) ضعيف: راوه الدارقطني في «الرؤية» (٢٠٠).

فصل

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا محمد بن المهاجر عن ابن حلبس عن أم الدرداء أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول: «اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة».

فصل

وأما حديث عبادة بن الصامت ففي مسند أحمد من حديث بقية حدثنا بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: **قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»** (١).

أما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ، فقال الصاغاني: حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه« يا بني أوصيك أن لا تصلي [صلاة](٢) إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها صلاة بغيرها حتى تموت وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة، ولقد سمعت [فلانا](٣) نسي عباد اسمه- ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكًا يسبح الله تعالى، قال: وملائكة سجود منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم**

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٢٠).
(٢) سقط من ط.
(٣) سقط من ط.

القيامة وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك»[١].

فصل

وهاك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم .

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قال أبو إسحاق عن عامر بن سعد قرأ أبو بكر الصديق ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(يونس: ٢٦).

فقالوا : ما الزيادة يا خليفة رسول الله ؟قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثني أبي حدثنا علي بن ميسرة الهمداني حدثنا صالح بن أبي خالد العبدي عن أبي الأحوص عن أبي [ق/ ٢١] إسحاق الهمداني عن عمارة بن عبد قال سمعت عليًا يقول: «من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته»[٢].

قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة قال الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم : ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذا المسجد مسجد الكوفة يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال: «والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال: فيقول ما غرك بي يابن آدم ثلاث مرات ، ماذا أجبت المرسلين ثلاثًا؟ كيف عملت فيما علمت»[٣].

وقال ابن أبي داود حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبي عن عكرمة قال: قيل لابن عباس كل من دخل الجنة يرى الله عزّ وجلّ؟ قال: نعم.

---

(١) ضعيف : رواه البيهقي في «الشعب» (٩١٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٤) حديث (١١٣٤٢).
(٣) أخرجه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٤٨).

وقال أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس عن مرة الهمداني عن ابن مسعود: «الزيادة» النظر إلى وجه الله عز وجل.

قول معاذ بن جبل: قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: أنبأنا إسحاق بن أحمد الخراز، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون أبي حمزة. قال: كنت جالسًا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال: بلى سمعته يقول يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي أين المتقون؟ فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمرون إلى الجنة»[١].

قول أبي هريرة رضي الله عنه: قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي النضر أن أبا هريرة كان يقول: لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت.

قول عبد الله بن عمر: قال حسين الجعفي عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال: « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أدناه كما يرى أقصاه وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين»[٢].

قول فضالة بن عبيد: ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر عن أبي حليس عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول: «اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك». وقد تقدم.

قول أبي موسى الأشعري: قال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن أبي تميمة عن أبي موسى قال: الزيادة النظر إلى وجه الله وروى يزيد بن هارون وابن أبي عدي وابن علية عن التيمي عن أسلم العجلي عن أبي مزانة عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم فقال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٣٥) حديث (٦١) و (٥ / ١٥٤٠) حديث (١٨٨٣١) و(٦ / ١٧٥١) حديث (٩٢٤٦).

(٢) ضعيف: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨٦٦).

قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة؟

قول أنس بن مالك: قال ابن أبي شيبة حدثنا يحيى بن يمان حدثنا شريك عن أبي اليقظان عن أنس بن مالك في قوله عزّ وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥). قال: يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة .

قول جابر بن عبد الله ، قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن عن جابر قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خروا له سجدًا فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رءوسكم فقد رضيت عنكم لا سخط بعده.

قال الطبري فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسًا منهم علي وأبو هريرة أبو سعيد وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبي بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدي بن حاتم وأبو رزين العقيلي وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبي ﷺ.

وقال الدارقطني: أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد بن الأزهر حدثنا مفضل بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية كلها صحاح[1].

وقال البيهقي [ق/ ١٢٢] : روينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة ابن اليمان وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يروا عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك إلينا كما أنهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نقل اختلافهم في ذلك إلينا كما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار في الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨٥٧).

كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين.

فصل

وأما التابعون نزل الإسلام وعصابة الإيمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عزّ وجلّ، قال سعيد بن المسيب الزيادة: النظر إلى وجه الله رواه مالك عن يحيي عنه، وقال الحسن :الزيادة النظر إلى وجه الله رواه ابن أبي حاتم عنه، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى :الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى راوه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقاله عامر بن سعد البجلي ذكره سفيان عن أبي إسحاق عنه وقاله عبد الرحمن ابن سابط رواه جرير عن ليث عنه وقاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وكعب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد :فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه وبها رافقوا أنبياءه بها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم ، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة.

قال الحسن: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا.

وقال الأعمش وسعيد بن جبير :إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية ،وقال كعب :ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلك فزادت ضعفًا على ما كانت [عليه][1] حتى يأتيها أهلها وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا يخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفي عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئًا إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفًا ،ثم يرجعون

(١) سقط من ط.

إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك. وقال هشام بن حسان إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة، وقال طاوس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا السنة.

قال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى وقال حماد بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه تلا هذه الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوه وما شاءوا فيقول الله عزّ وجلّ لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم عزّ وجل: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ (يونس: ٢٦) بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى وقال علي بن المديني سألت عبد الله ابن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (الكهف: ١١٠).

قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملاً صالحًا ولا يخبر به أحدًا وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عزّ وجلّ أحدًا عنه إلا عذبه ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المطففين: ١٥-١٧).

قال: بالرؤية ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إسحاق عن نعيم.

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له: يا أبا عبد الله إن عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث «**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا**» و«**إن أهل الجنة يرون ربهم**» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا قال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا، وقال قبيصة بن عقبة: أتينا أبا نعيم يومًا فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي هؤلاء أبناء المهاجرين [ق/ ١٢٣] يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى - يعني بشر المريسي.

فصل

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقتهم ومناهجهم ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس قال أحمد بن صالح المصري: وحدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم عزّ وجل يوم القيامة بأعينهم».

وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سئل مالك عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣).

أأنظر إلى الله عزّ وجلّ ؟قال: نعم ،فقلت: إن أقوامًا يقولون تنظر ما عنده ، قال: بل تنظر إليه نظرًا وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ (الأعراف: ١٤٣) وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥).

وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك السيف السيف ،ذكر قول ابن الماجشون: قال أبو حاتم الرازي: قال أبو صالح كاتب الليث: أملى على عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقالوا: لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا ،والله أفضل، كرامة الله التي أكرم به أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابًا لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم. ذكر قول الأوزاعي. ذكر ابن أبي حاتم عنه قال إني لأرجو أن يحجب الله عزّ وجلّ جهمًا وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي

وعد أولياءه.

ذكر قول الليث بن سعد: قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك ابن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا: تمر بلا كيف.

قول سفيان بن عيينة: ذكر الطبري وغيره عنه أنه قال: من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن الله يرى في الجنة فهو جهمي وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يصلي خلف الجهمي والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة.

قول جرير بن عبد الحميد: ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه ذكر له حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه الله فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه.

قول عبد الله بن المبارك: ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن «خداراً بآن جهان جون بيبند» ومعناه: كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن إسحاق قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عنه أحدًا إلا عذبه ثم قرأ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (المطففين: ١٥، ١٧).

قال ابن المبارك بالرؤية.

قال وكيع بن الجراح: ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال: يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون، قول قتيبة بن سعيد: ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية. قول القاسم [أبو عبيد][1] بن سلام: ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال: هي عندنا حق رواها الثقات

---

(١) سقط من ط.

عن الثقات إلى أن صارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا: لا نفسر منها شيئًا ولكن نمضيها كما جاءت.

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد: قال المروزي: حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها بالطلاق وبالمشي [ق/ ١٢٤] أنها حق. قول محمد بن إدريس الشافعي: قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال: في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله وتقول به؟ قال: نعم وبه أدين الله، ولو لم يوقن محمد ابن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده.

وقال ابن بطة: حدثنا ابن الأنباري حدثنا أبو القاسم الأنماطي صاحب المزني قال: قال الشافعي رحمه الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصار وجوههم. قول إمام السنة أحمد بن حنبل: قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد: أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح، قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهويه صحيح ولا يدعه إلا كل مبتدع أو ضعيف الرأي.

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية؟ فقال من لم يقل بالرؤية فهو جهمي، قال سمعت أبا عبد الله يقول وبلغه عن رجل أنه قال «إن الله لا يرى في الآخرة» فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس، أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

وقال أبو داود: سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب قال: من قال إن الله لا يرى فهو كافر.

وقال أبو داود: وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطوف أن الله لا يرى في الآخرة فقال: لعن الله من يحدث بهذا

الحديث اليوم، ثم قال: أخزى الله هذا، وقال أبو بكر المروذي: قيل: لأبي عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر: إن استقر الجبل فسوف تراني وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة فغضب أبو عبد الله غضبًا [شديد][1] حتى تبين في وجهه وكان قاعدًا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال أخزى الله هذا لا ينبغي أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال: هذا جهمي كافر خالف قول الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أخزى الله هذا الخبيث، قال أبو عبد الله: قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة: ٢١٠) ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢).

فمن قال إن الله لا يرى فقد كفر وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ سمعت أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي. والجهمي كافر.

وقال يوسف بن موسى القطان: قيل لأبي عبد الله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمهم؟ قال: نعم ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤوا إذا شاؤوا.

وقال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد الله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في [أقوالهم] [2] ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتم على هذا حتى سمعت مقالاتهم قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي فقد كفر ورد على الله وعلى الرسول ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد كفر ورد على الله قوله، قال أبو عبد الله فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونمرها كما جاءت.

وقال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يقول: فأما من قال أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي، قال أبو عبد الله: وإنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا وقال إبراهيم بن

(١) سقط من ط.
(٢) هكذا في خ.

زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «الرؤية من كذب بها فهو زنديق» وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا -أحاديث الرؤية- وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذاك ولا مرتابين وقال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى: ٥١).

وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (الأعراف: ١٤٣).

فأخبر الله عزّ وجلّ أن موسى يراه في الآخرة وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه [ق/ ١٢٥] والكفار لا يرونه، قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى حديث جرير بن عبد الله وغيره «وتنظرون إلى ربكم» أحاديث صحاح وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ النظر إلى وجه الله تعالى. قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة، لا نشك فيه ولا نرتاب، وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل قال حنبل: قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية فقال هذه صحاح نؤمن بها [ونقرها][1] وكل ما روي عن النبي ﷺ إسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

قول إسحاق بن راهويه، ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فإن يكونوا في هذه عدولاً وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع فقال: شفاك الله

---

(١) هكذا في خ.

كما شفيتني أو كما قال.

قول جميع أهل الإيمان: قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه إن المؤمنين لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين. قول المزني: ذكر الطبري في السنة عن إبراهيم بن أبي داود المصري قال: كنا عند نعيم ابن حماد جلوسًا فقال نعيم للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول أنه كلام الله، فقال: غيرمخلوق؟ فقال: غير مخلوق قال: وتقول أن الله يرى يوم القيامة؟ قال: نعم فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال يا أبا عبد الله: شهرتني على رءوس الناس، فقال: إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك.

قول جميع أهل اللغة: قال أبو عبد الله ابن بطة سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبًا يقول في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (الأحزاب: ٤٣, ٤٤).

أجمع أهل اللغة على أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرًا بالأبصار وحسبك بهذا الإسناد صحة، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم بالتواتر عن النبي ﷺ وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة «**إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا**» وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود «**من أحب لقاء الله [أحب الله لقاءه]**[1]»[2] وحديث أنس: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله**»[3] وحديث أبي ذر: «**لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لقيتك بقرابها مغفرة**»[4] وحديث أبي موسى: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة**»[5] وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد.

---

(١) سقط من ط.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٤٧).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٢٤٧) ومسلم (١٠٦١).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٨٧).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٩) من حديث أنس.

فصل في وعيد منكري الرؤية

قد تقدم قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وقول عبد الله بن المبارك :ما حجب الله عنه أحدًا إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (المطففين : ١٦، ١٧).

قال: بالرؤية وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟قالوا:لا،قال:فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما فيلقي العبد فيقول:أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس [وترتع][١]؟فيقول:بلى ،فيقول:أفظننت أنك ملاقي؟فيقول :لا ،فيقول:فإني أنساك كما نسيتني ،ثم يلقي الثاني فيقول:أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس [وترتع][٢]؟ فيقول:بلى ، فيقول:أفظننت أنك ملاقي فيقول :لا،فيقول :فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول :يا رب آمنت بك وبكتبك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا إذا ،ثم يقال :الآن نبعث شاهدًا عليك فيتفكر في نفسه من الذي يشهد على فيختم على فيه،ويقال لفخذه:انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه»[٣].

فاجمع بين قوله: فإنكم سترون ربكم وقوله :لمن ظن أنه [ق/ ١٢٦] غير ملاقيه فإني أنساك كما نسيتني وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار ويحصل لك العلم بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد.

---

(١) هكذا في خ.
(٢) هكذا في خ.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٨).

ومن تراجم [أهل اللغة][1] على هذا الحديث: باب في الوعيد لمنكر الرؤية كما فعل شيخ الإسلام وغيره وبالله التوفيق.

فصل

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام نزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا كما يرى القمر ليلة البدر صحوًا وكما ترى الشمس في الظهيرة فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة المجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة والذي بلغها هو الذي بلغ الدين فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين، بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمدًا رسول الله أبدًا، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر.

والثاني: من يرعم أنه لا يرى في الآخرة البتة ولا يكلم عباده.

وما أخبر الله به رسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين وبالله التوفيق.

الباب السادس والستون

في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ

---

(١) في خ: السنة.

وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٧).

وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداء الله سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال: يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك، تعالى الله عما يقولون.

وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم وتقدم تفسير النبي ﷺ لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول **«سلام عليكم يا أهل الجنة»** فيرونه عيانًا وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها.

وتقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي ﷺ: **« لا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة فيقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا »** الحديث [وتقدم حديث عدي بن حاتم ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة](1).

وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه: يقول الرب تبارك وتعالى للعبد: **«ألم أكرمك وأسودك»** الحديث وحديث بريدة: **«ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب»** الحديث.

ونقد حديث عدي بن حاتم: **«ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة»**.

وحديث أنس في يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مرارًا، وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم.

قال البخاري في صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به والله المستعان.

---

(1) سقط من ط.

الباب السابع والستون

في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

وهذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى :﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود:١٠٨). أي :غير مقطوع ولا تنافي بين هذا وبين قوله:﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ واختلف السلف في هذا الاستثناء فقال معمرعن الضحاك :هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه إنهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض إلا مدة مكثهم في النار.

قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما :أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم / [ق١٢٧] مخصوصين وهم هؤلاء .

والثاني: وهو الأظهر أن يكون وقع جملة عن السعداء والتخصيص بالمذكورين هو في الاستثناء وما دل عليه، وأحسن من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف ،وعلى هذا فلا يبقى في الآية تخصيص وقالت فرقة أخرى: هو استثناء استثناء الرب تعالى ولا يفعله كما تقول :والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه بل تجزم بضربه. وقالت طائفة أخرى :العرب إذا استثنت شيئًا كثيرًا مع مثله ومع ما هو أكثر منه كان معنى «إلا» في ذلك ومعنى«الواو» سواء والمعنى على هذا :سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض ،هذا قول الفراء وسيبويه: يجعل إلا بمعنى سوى [لكم][١] قالوا: ونظير ذلك أن يقول: لي عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها أي سوى الألفين.

قال ابن جرير[٢] : وهذا هو أحب الوجهين إلي لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله :﴿عطاء غير مجذوذ﴾.

(١) سقط من ط.
(٢) جامع البيان (٧ / ١١٧).

قالوا: ونظيره أن يقول: أسكنتك داري حولاً إلاما شئت، أي سوى ما شئت أو لكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقالت فرقة أخرى: هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ، (وقالت فرقة أخرى): العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلامًا لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته وهذا كما قال لنبيه : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(الإسراء: ٨٦).

وقوله: ﴿فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (الشورى: ٢٤).

وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾(يونس :١٦).

ونظائره وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وقالت فرقة أخرى: المراد بمدة دوام السموات و الأرض في هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه ولعل هذا قول من قال: إن «إلا» بمعنى سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال: المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم، وقالت فرقة أخرى: «ما» بمعنى «من» من قوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣)

والمعنى: إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء(والفرق) بين هذا القول وبين أول الأقوال: أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من الأعيان.

وقالت فرقة أخرى: المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبداً وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إن كانت«ما» بمعنى«من» فهم الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم في البرزخ والموقف: قال الجعفي :سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء فقال :سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس.

وقالت فرقة أخرى: الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلاوقتًا

يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة وعلى تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله تعالى فيها: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ محكم وكذلك قوله: ﴿إن هذا لرزقنا ما له نفاد﴾ [وقوله: أكلها دائم وظلها] (١) وقوله: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾.

وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من الخلود [مدة](٢) كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها وبالله التوفيق.

وقد تقدم قول النبي ﷺ: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت**» وقوله: «**ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً**».

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «**يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال: يا أهل النار فيطلعون فرحين، فيقال لهم: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت**»(٣) [ق / ١٢٨].

فصل

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين بل كما هما حادثتان فهما فانيتان.

---

(١) سقط من ط.

(٢) سقط من ط.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩)

والقول الثاني: إنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبداً.

والقول الثالث: أن الجنة باقية أبدية والنار فانية ونحن نذكر هذه الأقوال ومن قالها وما احتج به أرباب كل قول ونردِ ما خالف كتاب الله وسنة رسوله، فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد من أهل السنة.

وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الأرض كما ذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل.

بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد: ٣٥)، وهم يقولون: لا يدوم.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ (ص: ٥٤)، وهم يقولون ينفد.

ويقول الله عز وجل: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾.

قال شيخ الإسلام: وهذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهي من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث ما لم يحل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي.

وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء فقال: بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة، وزعمت فرقة ممن وافقتهم على امتناع حوادث لا نهاية لها-أن هذا القول مقتضي العقل لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك، وكأن هؤلاء لم يعلموا أن ما كان ممتنعًا في العقل لا يجيء الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ما هو ممتنع في العقل

وكأنهم لم يفرقوا بين مجالات العقول ومجازاتها فالسمع يجيء بالثاني لا بالأول فالسمع يجيء بما تعجز العقول عن إدراكه ولا تستقل به ولا يجيء بما يعلم العقل إحالته.

والأكثرون الذين وافقوا جهمًا وأبا الهذيل على هذا الأصل فرقوا بين الماضي والمستقبل وقالوا: الماضي قد دخل في الوجود بخلاف المستقبل والممتنع إنما هو دخول ما لا يتناهى في الوجود لا تقدير دخوله شيئاً بعد شيء قالوا: وهذا نظير أن يقول القائل: لا أعطيك درهمًا إلا وأعطيك [بعده درهما آخر. هذا ممكن والأول نظير أن يقول لا أعطيك درهما إلا وأعطيك][1] قبله درهمًا فهذا محال، وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهى في الماضي محال ووجوده في المستقبل واجب ونازعهم في ذلك آخرون فقالوا: بل الأمر في الماضي كهو في المستقبل ولا فرق بينهما بل الماضي والاستقبال أمر نسبي فكل ما يكون مستقبلاً يصير ماضياً وكل ماض فقد كان مستقبلاً فلا يعقل إمكان الدوام في أحد الطرفين وإحالته في الطرف الآخر.

قالوا: وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل ربًا قادراً فعالاً فإنه لم يزل حيًا عليمًا قديراً، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعًا عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكنًا لذاته من غير تجدد شيء وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكنًا له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعًا عليه فهذا القول تصوره كاف في الجزم بفساده ويكفي في فساده أن الوقت الذي انقلب فيه الفعل من الإحاله الذاتية إلى الإمكان الذاتي إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أولا يصح.

فإن قلتم: لا يصح كان هذا تحكمًا غير معقول وهو من جنس الهوس، وإن قلتم: يصح قيل: وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية فما من زمن محقق أو مقدر إلا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتعلق حمد الرب تعالى وربوبيته وملكه وهو لم يزل رباً حميداً ملكاً قادراً لم تتجدد له هذه الأوصاف كما أنه لم يزل حياً مريداً عليماً والحياة والإرادةوالعلم والقدرة تقتضي آثارها ومتعلقاتها فكيف يعقل حي

---

(١) سقط من ط.

قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيئاً ألبتة؟

وكيف يجعل هذا أصل أصول الدين ويجعل معياراً على ما أخبر الله سبحانه به ورسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها؟فإذا كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به؟وأما قول من فرق [ق / ١٢٩]بأن الماضي قد دخل في الوجود دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه،فإن الذي يحصره الوجود من الحركات هو المتناهي ثم يعدم فيصير ماضياً كما كان معدوماً لما كان مستقبلاً فوجوده بين عدمين وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملةأخرى فالذي صار ماضياً هو بعينه الذي كان مستقبلاً فإن دل الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئاً قبل شيء فهو دال على امتناعه شيئاً بعد شيء.

وأما تفريقكم بقولكم المستقبل نظير قوله:ما أعطيك درهمًا إلا وأعطيك بعده درهمًا فهذا ممكن والماضي نظير قوله:ما أعطيك درهمًا إلا وأعطيك قبله درهمًا،فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى وليس بنظير ما [نحن فيه بل][1] نظيره أن يقول:ما أعطيك درهمًا إلا وقد تقدم مني إعطاء درهم قبله فهذا ممكن الدوام في الماضي على حد إمكانه في المستقبل ولا فرق في العقل الصحيح بينهم ألبتة، ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل وأتباعهم بين الأمرين فرقًا قالوا:بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم في الماضي.

وقال أهل الحديث:بل هما سواء في الإمكان والوقوع ولم يزل الله سبحانه وتعالى فعالا لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال منعوتًا بنعوت الجلال،وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذي لا يمكنه الفعل إلا في وقت معين وليس من يخلق كمن لا يخلق،ومن يحسن كمن لا يحسن، ومن يدبر الأمر كمن لا يدبر،وأي كمال في أن يكون رب العالمين معطلاً عن الفعل في مدة مقدرة أو محققة لا تتناهى يستحيل منه الفعل وحقيقه ذلك أنه لايقدر عليه؟

وإن أبيتم هذا الإطلاق وقلتم إن المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه

(١) سقط من ط.

فجمعتم بين محالين الحكم بإحالة الفعل من غير موجب لإحالته وانقلابه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي من غير تجدد سبب ،وزعمتم أن هذا هو الأصل الذي تثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامة الأبدان فجنيتم على العقل والشرع والرب تعالى لم يزل ربًا قادراً على الفعل والكلام بمشيئته ولم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل ربًا محسنًا.

والمقصود: أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين، والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقًا وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفي الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان: ٢٧).

فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته، وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك. وذكر ابن أبي حاتم(١) في تفسيره عن سليمان بن عامر قال: سمعت الربيع ابن أنس يقول: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ الآية. وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الآية، يقول سبحانه وتعالى: قل لو كان البحر مدادًا لكلمات الله والشجر كلها أقلام لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شيء لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدره قدره ولا يثني عليه كما ينبغي بل هو كما أثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول [نقول](٢)، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها.

(١) انظر «تفسير بن أبى حاتم» (٩/ ٣١٠١).
(٢) هكذا فى خ.

فصل

وأما أبدية النار ودوامها فقال عنها شيخ الإسلام: فيه قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين، قلت: ههنا أقوال سبعة:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبدًا بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد بإذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي.

قال في فصوصه: الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ (إبراهيم: ٤٧).

لم يقل وعيده بل قال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (الأحقاف: ١٦).

مع أنه [ق/ ١٣٠] توعد على ذلك وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقد زال الإمكان في حق الحق لما فيه من طلب المرجح:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابًا من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صاين

وهذا في طرف والمعتزلة الذين يقولون: لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب في طرف، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً [وهذا عنده لا يعذب بها أحدا أصلا][1] والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله عز وجل.

الثالث: قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها

(١) سقط من ط.

ويخلفهم قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم الله تعالى في القرآن فيه.

فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٠، ٨١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٣، ٢٤).

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده.

قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٧) وقال: ﴿وَمَا هُم مِنها [بمخرجين][1]﴾ وقال: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها﴾ (الحجر: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ وقال تعالى: ﴿لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: ٤٠).

وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة.

الرابع: قول من يقول: يخرجون منها وتبقى نارًا على حالها ليس فيها أحد يعذب حكاه شيخ الإسلام والقرآن والسنة أيضًا يردان هذا القول كما تقدم.

الخامس: قول من يقول: بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن: وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار.

---

(١) سقط من ط.

السادس: قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادًا لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة طردًا لامتناع حوادث لا نهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم.

السابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام: وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم وقد روى عبد بن حميد ـ وهو من أجل أئمة الحديث ـ في تفسيره المشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال: قال عمر: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه».

وقال: حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر ابن الخطاب قال: «لو لبث أهل النار [في النار][1] عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه» ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبأ: ٢٣).

فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الإسناد جلالة.

والحسن وإن لم يسمع من عمر، فإنما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال: قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم

---

(١) سقط من ط.

يخرجون منها وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبًا منه.

ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين [ق/ ١٣١] بل هو مختص بمن عداهم كما قال النبي ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون» ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (هود: ١٠٦) وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨).

بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم تبق نارًا ولم يبق فيها عذاب. قال أرباب هذا القول:

وفي تفسير علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٢٨) قال: «لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارًا».

قالوا: وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصًا بأهل القبلة فإنه سبحانه قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٨، ١٢٩).

وأولياء الجن من الإنس يدخل فيهم الكفار قطعًا فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ٩٩، ١٠٠).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (الكهف: ٥٠).

وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ (النساء: ٧٦).

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١)

والاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار.

فمن ههنا قال ابن عباس: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه قالوا: وقول من قال إن «إلا» بمعنى «سوى» أي سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافرته للمستثنى والمستثنى منه وإن الذي يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد «إلا» لما قبلها.

قالوا: وقول من قال إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضًا لا يساعد عليه وجه الكلام فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله.

وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ (الأنعام: ١٢٨). فيقول لهم حينئذ: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأنعام: ١٢٨).

وفي قوله: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ .

نوع اعتراف واستسلام وتحسر: أي استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه، وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك، وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك، وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض.

فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم وهو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته.

وهذا من نمط قولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠)وقوله: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ (الملك: ١١)وقوله: ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ (القصص: ٧٥)ونظائره والمقصود أن قوله:﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأنعام: ١٢٨) عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصًا بهم أو شاملاً لهم ولعصاة الموحدين، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له.

لما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا: الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف وقد تبين ضعف هذا القول، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار.

قالوا: والمعنى أنكم في النار أبداً إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبأ: ٢١، ٢٣).

قالوا: والأبد لا يقدر بالأحقاب.

وقد قال ابن مسعود في الآية: ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً، وعن أبي هريرة مثله حكاه البغوي عنهما ثم قال: ومعناه عند أهل السنة إن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان.

قالوا: قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وقد سأل حرب إسحاق بن راهوية عن هذه الآية فقال: سألت إسحاق [ق / ١٣٢] قلت: قول الله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١٠٧) فقال: أتت هذه الآية على [كل](١) وعيد في القرآن.

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال: قال أبي حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي ﷺ قال: أتت هذه الآية على القرآن كله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧) قال المعتمر: قال «أتى على

(١) سقط من ط.

كل وعيد في القرآن» حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال ليأتين على جهنم يوم [تصفق] (١) فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا.

حدثنا عبيد الله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: «ما أنا بالذي لا أقول أنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (هود: ١٠٦).

قال عبيد الله: كان أصحابنا يقولون-يعني به الموحدين-حدثنا أبو معن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله أو بعض أصحابه في قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾ (هود: ١٠٧)، قال: هذه الآية أتت على القرآن كله.

وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال: وقال آخرون عني بذلك أهل النار وكل من دخلها، ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التي نذكرها.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ قال: هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول: حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه قال وسمعت أبا مجلز يقول: جزاؤه فإن شاء الله تجاوز عن عذابه وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره.

قال: وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾ قال لا يموتون وما هم منها بمخرجين ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك قال استثنى الله، قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان تصفق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقابا حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال جهنم أسرع

---

(١) في خ : تصطفق.

الدارين عمراناً وأسرعهما خرابًا

وحكى ابن جرير في ذلك قولاً آخر فقال وقال آخرون اخبرنا الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثناؤه بقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٨) أنها لفي الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قالوا: ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز أن تكون في النقصان، حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ فقال: أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال: ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

وقال ابن مردويه في تفسيره: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفه حدثنا يزيد ابن مروان الخلال حدثنا أبو خليد حدثنا سفيان يعني الثوري عن دينار عن جابر قال قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١٠٦، ١٠٧)

قال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله أن يخرج أناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل» وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولهم خلافًا لمن زعم أنه لما قبل الدخول، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفي انقطاعهما وفناء عذابهما وأكلها لمن فيها وأنهم يعذبون فيها دائما ما دامت كذلك وما هم منها بمخرجين فالحديث دل على أمرين:

أحدهما: أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهي نار فعل وإن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء إلا ما شاء ربك من الأشقياء فإنهم لا يخلدون فيها ويكون الأشقياء نوعين: نوعًا يخرجون منها ونوعًا يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولا ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجمع لهم الشقاوة والسعادة في وقتين قالوا: وقد [قال][1] تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ

(١) سقط من ط.

مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ (النبأ: ٢١-٢٨)

فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين بآياته ولا يقدر الأبد بهذه الأحقاب ولا غيرها كما لا يقدر به القديم ولهذا قال عبد الله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبي بلج سمع [ق/ ١٣٣] عمرو ابن ميمون يحدث عنه (ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً).

فصل

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع، فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثاني: أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم وأنه لا يفتر عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذابًا وأنهم خالدون فيها أبداً وما هم بخارجين من النار وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأن عذابها كان غراما أي مقيما لازمًا قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان .

الطريق الرابع : أن الرسول أوقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها .

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تفنيان بل هما دائمتان وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس: أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار وهذا مبني على قاعدة وهي أن النار وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسمع؟ فيه طريقتان لنظار المسلمين، فكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن في غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوي بين الأبرار والفجار في المحيا والممات وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثًا وأنهم إليه لا يرجعون وأنه تركهم سدى أي لا يثيبهم ولا يعاقبهم وإن ذلك يقدح في حكمته وكماله وأنه نسبه له إلى ما لا يليق به وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وإراداتها صفة لازمة لها لا تفارقها إن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها، [بل][1] لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الأنعام: ٢٧، ٢٨).

فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه [ومقتضاة][2] من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفارًا كما كانوا وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع، قال أصحاب الفناء: الكلام على هذه الطرق بين الصواب في هذه المسألة.

فأما الطريق الأول: فالإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الإجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع فيها قديمًا وحديثاً بل لو كلف مدعي

---

(١) في ط : بلى.
(٢) في ط : ومقتضيه.

الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال: إن النار لا تفنى أبداً لم يجد إلى ذلك سبيلاً.

ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا، قالوا: والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة.

النوع الأول : ما يكون معلومًا من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثاني: ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث: أن يقول بعضهم القول وينشر في الأمة ولا ينكره أحد فأين معكم واحد من هذه الأنواع؟ولو أن قائلاً ادعى الإجماع من هذه الطرق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالإجماع منكم.

قالوا: وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك؟ نعم الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبداً وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها ،وأنهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم لهم، وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع في [ق/ ١٣٤] أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء؟

وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضي عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى الجمل يلج في سم الخياط: فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها ألبتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث: وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك: فهي حق لا شك فيه وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهي دار العذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية والنصوص دلت على هذا وعلى هذا.

قالوا: وأما الطريق الرابع: وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا على ذلك ضرورة: فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد على ذلك؟

قالوا : وأما الطريق الخامس: وهو أن القول في عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً: فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد أئمة المسلمين وأما فناء النار وحدها فقد أوجدناكم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم و آرائهم واختلافاتهم.

قالوا: والقول الذي يعد من أقوال أهل البدع مما خالف كتاب الله وسنة رسوله إجماع الأمة إما الصحابة أو من بعدهم وإما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله والباطل يجب رده على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول :«الله حكم قسط هلك المرتابون إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول: قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن كل بدعة ضلالة وإياكم وزيغة الحكيم فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فإن على الحق نوراً، قالوا: وكيف

زيغة الحكيم؟قال: هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه؟واحذروا زيغته ولا تصدنكم عنه فإنه يوشك أن يفيء ويراجع الحق، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة».

فالذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم هو الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم وأنهم خالدون فيها، ومن ذكر منهم أن النار لا تفنى أبدا فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ولم تبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها. قالوا: وأما حكم العقل بتخليد أهل النار فيها فإخبار عن العقل بما ليس عنده فإن المسألة من المسائل التي لا [تعلم][1] إلا بخبر الصادق.

وأما أصل الثواب والعقاب: فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالاً وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده وإنما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضاً دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين، وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب وبالله التوفيق.

فصل

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعًا وعقلاً وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء [ق/ ١٣٥] نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا نفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأنها مؤصدة عليهم وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأن عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم

(١) في ط: تعل.

لا يفتر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر.

الوجه الثاني: أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها.

الأولى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٢٨).

الثانية: قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧).

الثالثة: قوله: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبأ: ٢٣).

ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناء في الموضعين واحد كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثنائين فإنه قال في أهل النار: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧) فعلمنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٨).

فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبداً فالعذاب مؤقت معلق والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق.

الوجه الثالث: أنه قد ثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار، وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءاً قط ولا يعذب بها إلا العصاة.

الوجه الرابع: أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشئ للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخاري من قوله: «وأما النار فينشئ الله لها خلقاً آخرين» فغلط وقع فيه بعض الرواة انقلب عليه الحديث، وإنما هو ما ساقه البخاري في الباب نفسه، «**وأما الجنة فينشيء الله لها خلقاً آخرين**»[1]، ذكره البخاري رحمه الله مبيناً أن الحديث انقلب لفظه عن من

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٤٩).

رواه بخلاف هذا فـذكر هذا وهذا ،والمقصـود أنه لا تقاس النار بالجنة في التـأبيد مع هذه الفروق.

يوضحـه الوجه الخامس: أن الجنة من مـوجب رحمتـه ورضاه، والنار من غضـبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه و تسبقه كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال: «لما قضى الله كتب [الخلق][1] في كتاب فهـو عنده موضوع على العرش أن رحمـتي تغلب غضبي»[2] وإذا كان رضاه قد سبق غـضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعًا.

يوضحه الوجـه السادس: أن ما كان بالرحمة وللرحـمة فهو مقصـود لذاته قصد الغايات وما كان من موجب الغـضب والسخط فهو مقصود لغيره قـصد الوسائل فهو مسبوق ومغلوب مراد لغيره وما كان للرحمة فغالب سابق مراد لنفسه.

يوضحه الوجـه السابع: وهو أنه سبحانه قال لـلجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وعـذابه مفعول منفصل وهو ناشئ عن غضـبه، ورحمتـه هنا هي الجنة وهي رحمة مـخلوقة ناشئة عن الرحـمة التي هي صفة الرحمن فـهاهنا أربعة أمور رحمة هي وصفه سـبحانه وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمـته، وغضب يقـوم به سبحـانه، وعقاب منفـصل ينشأ عنه فإذا غلبت صـفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ما كـان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة.

ويوضحـه الوجه الثـامن: أن النار خلقت تخويـفًا للمؤمنـين وتطهيراً للـخاطئين المجرمين فهي طهرة من الخبث الذي اكتسـبته النفس في هذا العالم فإن تطهرت هاهنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣] وإن لم يتطهر في هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون

(١) سقط من ط .

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٧٤٠٤).

مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فلو خلوا وفطرهم لما نشأوا إلا على التوحيد ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيرها ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا الله فأرسل الله رسله وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذي أرسل به رسله [ق/ ١٣٦] وفطرته التي فطرهم عليها فمنعتهم الشريعة المنزلة والفطرة المكملة أن تكتسب نفوسهم خبثاً ونجاسة ودرناً يعلق بها ولا يفارقها، بل كلما ألم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبه وأثره وكمل لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكاناً قابلاً مستعداً لها ليس فيه شيء يدافعه فقال هاهنا أمرت وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ (النساء: ١٤٧).

واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مماخلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير فاحتاجوا في إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار فأتاح لهم آيات آخر وأقضية وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضى الرحمة لا معارض له.

فإذا قيل: هذا حق، ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً كمعاصي الموحدين أما إذا كان لازماً كالكفر والشرك فإن أثره لا يزول كما يزول السبب وقد أشار -سبحانه- إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه منها قوله

تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٨) فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك وأنها غير قابلة للإيمان أصلاً ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٢).

فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنفال: ٢٣).

وهذا يدل على أنه ليس فيهم خير يقتضي الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم أثره ويدل على أنهم لا خير فيهم، هناك أيضاً قوله: «أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير» فلو كان عند هؤلاء أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين.

قيل: لعمر الله إن هذا [لما يتمسك] (١) به في المسألة وإن الأمر لكما قلتم، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ولا ريب أنهم في الآخرة في عمى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا والعذاب مستمر عليهم دائم ما داموا كذلك ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتي وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنيفية وأن الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده.

فإذا كان هذا الحق الذي قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى ولا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التي هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا

(١) في خ: لمن أقوى ما يتمسك.

أخذت النار مأخذها منهم وحصلت الحكمـة المطلوبة من عذابهم فإن العذاب لم يكن سدئ وإنما كـان لحكمة مطلوبة فـإذا حصلت تلك الحكمـة لم يبق في التعـذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتفي بعذاب عبده كما يشتفي المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض وإنما يعذبه طهـرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له وإن تألم به غاية الألم كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها.

وقد سمى الله سبحانه الحد عذاباً وقد اقـتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل داء دواء يناسـبه ودواء الداء العـضـال يكون من أشق الأدوية، والطبـيب الشفـيق يكوي المريض بالنار كياً ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة وإن رأى قطع العضـو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الألم فـهذا قضاء الرب وقـدره في إزالة مادة غريبـة طرأت على الطبيعة المـستقيـمة بغير اخـتيار العبـد فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة [ق/ ١٣٧] باختيار العبد وإرادته؟

وإذا تأمل اللبيب شـرع الرب تعالى وقـدره في الدنيا وثوابه وعقـابه في الآخرة وجد ذلك في غاية التناسب والتـوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فإن مـصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغـة ورحمة سابغة وهو سبـحانه الملك الحق المبين وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل .

الوجه التاسع: أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته ولا لمنفعة تعود إليه ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعـقوبة بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتـعالى عن سائر العيوب والنقـائص ولا هي عبث محض خال عن الحكمـة والغاية الحميـدة فإنه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه، فإما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبابه، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم أو لهذا ولهذا.

وعلى التقـادير الثلاث: فالـتعذيب أمـر مقصـود لغيره قـصد الوسائل لا قـصد الغايات والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجـه المطلوب زال حكمها، ونعيم أوليائه ليس متـوقفاً في أصله ولا في كمـاله على استمـرار عذاب أعدائه ودوامه ومـصلحة الأشقياء ليست في الدوام والاستمرار وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم.

الوجه العاشر: أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له فلا منتهى لرضاه، كما قال أعلم الخلق به: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»(١) فإذا كانت رحمته غلبت غضبه فإن رضا نفسه أعلى وأعظم، فإن رضوانه أكبر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان، والناس لهم في صفة الغضب قولان:

أحدهما: إنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله.

والثاني: أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به، وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها له والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سعرت النار إلا بغضبه، وقد جاء في أثر مرفوع: «إن الله خلق خلقاً من غضبه وأسكنهم بالمشرق ينتقم بهم ممن عصاه» فمخلوقاته سبحانه نوعان: نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة، ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب، فإنه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه، ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو، بل هذا واجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وإن تنوعت صفتها وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة وإخراجهم من النار رحمة فتقلبوا في رحمته في الدنيا وتقلبوا فيها في الآخرة لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويلقي عليه المكاوي ليستخرج منه المواد الردية الفاسدة.

فإن قيل: هذا اعتبار غير صحيح فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة، وأما عذاب هؤلاء فإنه إنما حصل [يغضبه](٢) سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة.

قيل: هذا حق ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم وإن كان عقوبة لهم وهذا كإقامة

(١) أخرجه مسلم(٢٧٢٦).
(٢) في ط : غضبه.

الحدود عليهم في الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له نداً له وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته وهو ولي الإنعام عليهم وخالقهم ورازقهم ومولاهم، الحق الذي اشتد مقته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كمال أسمائه وصفاته التي يستحيل تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه.

فالمعطلون نوعان: أحدهما: عطل صفاته، والثاني: عطل أحكامها وموجباتها وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهه الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الأمران، فإذا زال الغضب بزوال سببه وزالت [ق/ ١٣٨] المادة الفاسدة بتغير الطبيعة المقتضية لها في الجحيم بمرور الأحقاب عليها وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض.

يوضحه الوجه الحادي عشر: وهو أن العفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب، والفضل أحب إليه من العدل، ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه صالحة لكل شيء لا قصور فيها بوجه ما، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض وبيده سبحانه الشفاء التام والأدوية الموافقة لكل داء، وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطلق، والعبد أعظم حاجة إلى من يداوي علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة، وقد عرف العبد أنه عليل وأن دواءه بيد الغني الحميد، فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له، وأن الحق كله له وأنه هو الظلوم الجهول وأن ربه تبارك وتعالى عامله ببعض عدله لا بكل عدله، وأن له غاية الحمد في كل ما فعل به، وأن حمده هو الذي أقامه في هذا المقام وأوصله إليه وأنه لا خير عنده من نفسه بوجه من الوجوه بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه وأنه لا نجاة لما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص وربه تعالى أولى بكل حمد

فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذي أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم في تلك الحال وقالوا إن كان ما نحن فيه رضاك فرضاك الذي نريد، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك فأما إذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية ما نقصده «وما لجرح إذا أرضاك من ألم» وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله عاقبت أو عفوت لانقلبت النار عليهم برداً وسلاماً.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «**يأتي أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك من رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم: أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت برداً وسلاماً**»[1].

وفي المسند أيضاً: من حديث قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثله وقال: «**فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها**»[2] فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم وبادروا إليه لما علموا أن فيه رضى ربهم وموافقة أمره ومحبته انقلب في حقهم نعيماً.

ومثل هذا، ما رواه عبد الله بن المبارك حدثني رشدين قال: حدثني ابن أنعم عن أبي عثمان أنه حدثه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما فقال الرب جل جلاله: أخرجوهما فأخرجا فقال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار قال: فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٥٨٦٦) وابن حبان (٧٣٥٧) والطبراني في «الكبير» (٨٤١).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٥٨٦٧).

عليه برداً وسلاماً ويقوم الآخر فلا يلقي فيقول له الرب ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟فيقول:رب إني أرجوك أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني منها،فيقول الرب تعالى:لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله»[1].

وذكر الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: «يؤمر بإخراج رجلين من النار فإذا أخرجا ووقفا قال الله لهما: كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما ؟فيقولان: شر مقيل وأسوأ مصير صار إليه العباد فيقول لهمـا: بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد قال: فيؤمر بصرفهما إلى النار، فأما أحدهما فيغدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها وأما الآخر فيتلكأ فيؤمر بردهما فيقول للذي غدا فـي أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها: ما حملك على ما صنعت وقد جربتها؟فيقول: إنـي خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً، ويقـول للذي تلكأ: ما حملك على ما صنعت؟فيـقول: حسن ظني بك حين أخرجتني [ق/ ١٣٩] منها أن لا تردني إليها فيرحمـهما جميعاً ويأمر بهما إلى الجنة».

الوجه الثاني عشر: أن النعيم والثواب من مـقتضى رحمته ومغـفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه وأما العذاب والعقوبة فإنما هو من مخلوقاته، ولذلك لا يسمى بالمعاقب المعذب بل يفـرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافـه وهذا من مفعولاته حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ (الحجر: ٤٩ ، ٥٠) وقـال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٩٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(الأعراف: ١٦٧).

ومثلها في آخر الأنعام، فـما كان من مقتضى أسمائه وصـفاته فإنه يدوم بدوامها ولاسيما إذا كـان محبوباً له وهو غاية مطلوبة في نفسهـا وأما الشر الذي هو العذاب

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٥٩٩) ، وقال: إسناد هذا الحديث ضعيف؛ لأنه عن رشدين ابن سعد، وهو ضعيف عند أهل الحديث عن ابن أنعم وهو الأفريقي، والأفريقي ضعيف عند أهل العلم.

فلا يدخل في أسمائه وصفاته وإن دخل في مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفنى بخلاف الخير فإنه سبحانه دائم المعروف لا [ينقطع][١] معروفه أبداً وهو قديم الإحسان أبدي الإحسان فلم يزل ولا يزال محسناً على الدوام وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال معاقبا على الدوام غضبان على الدوام منتقماً على الدوام، فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه في باب أسماء الله وصفاته يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبته.

يوضحه الوجه الثالث عشر:وهو قول أعلم خلقه به، وأعرفهم بأسمائه وصفاته «والشر ليس إليك»ولم يقف على المعنى المقصود من قال:الشر لا يتقرب به إليك بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لا شر فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حسنى فكيف يضاف الشر إليه بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر.

وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلا غير قائم بالرب سبحانه فهو لا يضاف إليه وهو ﷺ لم يقل:أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله وإنما نفى إضافته إليه وصفاً وفعلاً واسماً، وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها.

وأما الخير:فهو الإيمان والطاعات وموجباتها، والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه، وهي ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته وهذه لها آثار تطلبها ويقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقاتها.

وأما الشرور:فليست مقصودة لذاتها ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق فهي مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فإذا حصل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض.

---

(١) في ط: ينقع.

الوجه الرابع عشر: أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء فليس شيء من الأشياء إلا وفي رحمته ولا ينافي هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه و يؤلمه وتشتد كراهته له فإن ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم .

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة آنفاً وقوله تعالى لذينك الرجلين: «**رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث [كنتما]** [1] **من النار** »وقد جاء في بعض الآثار: «أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال اللهم ارحمه: يقول الرب تبارك وتعالى: كيف ارحمه من شيء به ارحمه» فالابتلاء رحمة منه لعباده، وفي أثر إلهي يقول تعالى: «**أهل ذكري أهل مجالستي،وأهل طاعتي أهل كرامتي ،وأهل شكري أهل زيادتي ،وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصايب لأطهرهم من المعايب**» فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها والنار هي الدواء الأكبر فمن تداوى في الدنيا أغناه ذلك عن الدواء في الآخره وإلا فلا بد له من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله: من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده ومحبته إلى عباده وإرادة الإنعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قبوله.

ويوضحه الوجه الخامس عشر:أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص، وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبد الآباد بحيث يكون دائماً [ق/ ١٤٠] بدوام الرب تبارك وتعالى وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم فليست مصلحتهم في بقائهم في العذاب كذلك، وإن كانت المصلحة تعود إلى أوليائه فإن ذلك أكمل في نعيمهم فهذا لا يقتضي تأبيد العذاب وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفاً على بقاء

---

(١) في ط: كنتم.

آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السرمد .

فإن قلتم : إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم ما لا يعقل ، وإن قلتم : إن ذلك عائد إلى محض المشيئةولا تطلب له حكمة ولا غاية فجوابه من وجهين :

أحدهما :أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن يكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة المعقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك.

والثاني:أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم في العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن في انقضائه ما ينافي كماله وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب وأنه لا نهاية له.

وغاية الأمر على هذا التقدير:أن يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق.

فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التي لا تعلل لم تقتضه أيضاً [وإن وقف الأمر على مرد السمع فليس فيه ما يقتضيه] (١).

الوجه السادس عشر:أن رحمته سبحانه سبقت غضبه في المعذبين فإنه أنشأهم برحمته،ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل إليهم الرسل برحمته-وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليهم-فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقه تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته.

ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم،ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم،فكانت هي السابقة إليهم ففي كل حال هم في رحمته في حال معافاتهم وابتلائهم.

---

(١) سقط من ط .

وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم، وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه فما منه يقتضي رحمتهم وما منهم يقتضي عقوبتهم والذي منه سابق وغالب وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى.

الوجه السابع عشر: أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب يوم عظيم، وعذاب يوم أليم، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا في موضع واحد.

وقد ثبت في الصحيح: تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة والمعذبون متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب على ذلك.

وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهي إليه، فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو المعذب به، وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا يفنى ولا يزول فيدوم بدوام المراد به، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يزل ما تعلق بها بخلاف الغاية المضمحلة الفانية فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه، وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات وانقلب عذاباً وآلاماً لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم.

الوجه الثامن عشر: أنه ليس في حكم أحكم الحاكمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له ولا انقطاع أبداً وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه حكيم وأنه أحكم الحاكمين فإذا عذب خلقه عذبهم [بحكمته](١) كما يوجب التعذيب والعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداواته وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام وما تشهده العقول الصحيحة وفي ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع

---

(١) في ط: بحكمة.

نظائرها وتوفيقها على فقرها وضرورتها إلى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة ما لا يعلمه إلا الله.

ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ولهذا يحبسون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التي لو ردت إلى الدنيا [ق/ ١٤١] قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه ولا يصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين، فإذا عذبوا بالنار عذابا تخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ولا ينافي الحكمة خلق النفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد فهذا معقول في الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة .

وأما خلق نفوس لا يزول شرها أبداً وعذابها لا انتهاء له فلا يظهر في الحكمة والرحمة وفي وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعني ذواتاً، هي شر من كل وجه ليس فيها شيء من خير أصلاً وعلى تقدير دخوله في الوجود فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان وإحالتها وإحالة صفاتها.

فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها فالله سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة ويرحمها في النشأة الثانية نوعاً آخر من الرحمة.

يوضحه الوجه التاسع عشر:وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقا آخر يسكنهم إياها ولم يعملوا خيراً حتى تكون الجنة جزاء لهم عليه فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد، وأنه عدل فيها كل العدل، وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل.

وشاء كتب العقوبة طلباً لموافقة رضاه ومحبته وعلمت أن العذاب أولى بها وأنه

لا يليق بها سواه لا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى ولم يكن في حكمته أن يستمر بها في العذاب بعد ذلك إذ قد تبدل شرها بخيرها ،وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها.

ولاينتقض هذا بقوله عز وجل:﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ فإن هذا قبل مباشرةالعذاب الذي يزيل تلك الخبائث وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول فإنه سبحانه قال:﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: ٢٧ ،٢٨).

فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث ،فأما إذا لبثوا في العذاب أحقاباً والحقب كما رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحقب خمسون ألف سنة**»[١] فإنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة في العذاب.

الوجه العشرون: أنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة «**فيقول الله عز وجل:شفعت الملائكة وشفع النبيون [وشفع المؤمنون]**[٢] **ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل،فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه**»[٣].

فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تلمسه النار بحيث صاروا حمماً- وهو الفحم المحترق بالنار- وظاهر السياق أنه لم يكن في

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٥٧) فيه جعفر بن الزبير، وهو متروك.
(٢) سقط من ط.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٤٠) ومسلم (١٨٣).

قلوبهم مثقال ذرة من خير فإن لفظ الحديث هكذا «**فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط**».

فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير ومع هذا فأخرجتهم الرحمة ومن هذا رحمته سبحانه للذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه في البر والبحر زعماً منه بأنه يفوت الله سبحانه فهذا قد شك في المعاد والقدرة ولم يعمل خيراً قط.

ومع هذا فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه الله سبحانه فلله في خلقه حكم لا تبلغها عقول البشر.

وقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام**»[1] قالوا: ومن ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوماً واحداً ولا خافه ساعة / [ق١٤١] واحدة ولا ريب أن رحمته سبحانه إذا أخرجت من النار من ذكره وقتاً أو خافه في مقام ما، فغير بدع أن تفنى النار ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار.

الوجه الحادي والعشرون: إن اعترف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلى ربه من كل وجه ويستعطف ربه تبارك وتعالى عليه ويستدعي رحمته له. وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه ولا سيما إذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك.

وفي معجم الطبراني من حديث يزيد بن سنان الرهاوي عن سليمان بن عامر عن

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٥٩٤) والحاكم (٢٣٥) والبيهقي في «الشعب» (٧٤٠).

أبي أمامة ﵁ قال: قـال رسول الله ﷺ: «**إن آخر رجل يدخل الجنـة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهـو يفر منه ويعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يا رب بلغ بي الجنة ونجني من النار فيوحي الله تبارك وتعالى إليه: عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك: فيقول العبد: نعم يا رب وعـزتك وجـلالك إن نجيـتـني من النار لأعـتـرفن لك بذنوبـي وخطاياي فـيـجـوز الجسر، ويقول العبد فيمـا بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار، فيوحي الله إليه: عبدي اعتـرف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحي الله إليه: عـبدي إن لي عليك بينة فيلتـفت العبد يميناً وشمـالاً فلا يرى أحداً فـيـقول يا رب أرني بينتك فيـستنطق الله تعالى جلده بالمحـقرات فإذا رأى ذلك العـبد فيـقول: يارب عندي وعـزتك العظائم فيـوحي الله إليـه عبـدي أنا أعرف بهـا منك اعـتـرف لي بهـا أغفرها لك وأدخـلك الجنة فيعترف العـبد بذنوبه فيدخل الجنـة ثم ضحك رسـول الله ﷺ حتى بدت نواجذه يقول: هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذي فوقه؟**»[(١)].

فالرب تعـالى يريد من عبده الاعـتـراف والانكسار بين يديه والخـضوع والذلة له والعزم على مرضاته، فما دام أهل النار فاقـدين لهذه الروح فهم فاقدون لروح الرحمة فإذا أراد عز وجل أن يرحمـهم أو من شاء منهم جعل في قلبه ذلك فتـدركه الرحمة وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصـرة على ذلك وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته وقد أخبر أنه فعال لما يريد.

الوجه الثاني والعشرون: أنه سبـحانه قد أوجب الخلود على معـاص من الكبائر وقيده بالتـأبيد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهاءه، فمنهـا: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣).

ومنها: قول النبي ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[(٢)] وهو حديث صحيح.

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٦٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩).

وكذلك قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه: «**فيقول الله تبارك وتعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**» (١) وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾(الجن: ٢٣).

فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد مع انقطاعه بسبب من العبد وهو التوحيد. فكذلك الوعيد العام لأهل النار لايمتنع انقطاعه بسبب ممن كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه، فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته كما في صحيح البخاري عنه ﷺ: «**خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة**» وقال في آخره: «**فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار**»(٢).

الوجه الثالث والعشرون: أنه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بأن عذاب النار لا انتهاء له وأنه أبدي لا انقطاع له، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه والله تعالى لا يخلف وعده، وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن إخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ويثنى عليه به فإنه حق له إن شاء تركه وإن شاء استوفاه والكريم لا يستوفي حقه فكيف بأكرم الأكرمين ؟!!

وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعده ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده.

وقد روى أبو [ق/ ١٤٣] يعلي الموصلي: ثنا هدبة بن خالد ثنا سهيل بن أبي حازم ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه، ومن أوعده الله على عمله عقاباً فهو فيه بالخيار**»(٣).

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: حدثنا محمد بن حمزة ثنا أحمد بن الخليل ثنا الأصمعي قال: «جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو يخلف

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٣٦٤) ومسلم (١١٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٦٩).

(٣) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٨٥١١) وأبو يعلى (٣٣١٧) والبزار (٣٢٣٥).

الله ما وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعـده الله على عمله عقاباً أيخلف الله وعده فيه؟فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمـة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعـد عاراً ولا خلفاً أن تعد شـراً ثم لا تفعله ترى ذلك كرماً وفـضلاً وإنما الخلف أن تعد خـيراً ثم لا تفعلـه، قال فأوجـدني هذا في كلام العرب، قـال: نعم أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي ولا اختشي من صولة المتهـدد

وإني وإن أوعدتـــه أو وعدتـــه لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

قال أبو الشيخ وقال يحيى بن معاذ: الوعد والوعيد حق، فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كـذا ومن أولى بالوفاء من الله، والوعيد حقه على العباد قال: لا تفـعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا، فإن شاء عـفا عنه وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهمـا بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غـفور رحيم، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ فقال:

نبئت أن رســـول الله أوعدنـــي والعفو عند رسول الله مأمـــول

فإذا كان هذا وعيـد مطلق فكيف بوعيد مقرون باستـثناء معقب بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (هود: ١٠٧) وهذا إخبـار منه أنه يفعل ما يريد عقـيب قوله: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ (الأعلى: ٧) هو عـائد إليه ولا بد، ولا يجـوز أن يرجع إلى المستـثنى منه وحده بل إما أن يختص بالمسـتثنى أو يعود إليهما وغيـر خاف أن تعلقه بقوله: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ (الأعلى: ٧) أولى من تعلقه بقوله ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وذلك ظاهر للمتأمل وهو الذي فهمه الصحابة فـقالوا: أتت هذه الآيةعلى كل وعيد في القرآن، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحـده، فإن الاستثناء، مذكور في الأنعـام أيضاً وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (هود : ١٠٧) وهذا التعقيب نظير قوله في الأنعام: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: ١٢٨)

فأخـبر أن عذابهم في جـميع الأوقات ورفـعه عنهم في وقت يشـاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئـة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل إذ

يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك.

الوجه الرابع والعشرون: أن جانب الرحمة أغلب في هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ (النحل: ٦١).

وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ (فاطر: ٤٥).

فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ومع [فإذا كان جانب الرحمة][١] هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة قد غلب في هذه الدار ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعي في مساخطته فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون فيها الرحمة مضاعفة على ما في هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفاً؟وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه وانكسرت تلك النفوس وأنهكها العذاب وأذاب منها خبثاً وشراً لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة وقوي جانب الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة في هذه الدار واضمحل الشر والخبث الذي فيها فأذابته النار وأكلته؟

وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر وأكثر من أسماء الانتقام وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام، والرحمة أحب إليه من الانتقام، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم، وهي التي سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ووسعت كل شيء وما خلق بها فمطلوب لذاته وما خلق بالغضب فمراد لغيره كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير والرحمة إحسان وكرم وجود والعقوبة مداواة، والرحمة عطاء وبذل.

الوجه الخامس والعشرون: أنه سبحانه لابد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق [ق/ ١٤٤] رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين، ويظهر لهم

(١) سقط من ط.

حكمه الذي هـو أعدل حكم في أعدائه وأنه حكـم فيهم حكمـاً يحمدونـه هم عليه فضـلاً عن أوليائه ومـلائكته ورسله بحيث يـنطق الكون كله بالحمد لـله رب العالمين ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: ٧٥).

فـحـذف فـاعـل القـول لإرادة الإطلاق وأن ذلك جـار على لـسـان كل ناطق وقلبه، قـال الحسن: لقـد دخلوا النار، وإن قلوبهم لمتلـئة من حمـده ما وجـدوا عليه سبيلاً، وهذا هو الذي حـسن حذف الفاعل من قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (الزمر: ٧٢)

حتى كـان الكون جميـعه قائل ذلك لهـم إذ هو حكمه العدل فـيهم ومقـتضى حكمته وحمده.

وأما أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣).

فهم لم يستحـقوها بأعمالهم وإنما استحـقوها بعفوه ورحمته وفـضله فإذا أشهد سبحـانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه العـدل وحكمته الباهرة. ووضعه العـقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها وإن ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضى أسمـائه وصفاته وأن النفوس الخبيثة الظالمة الفـاجرة لا يليق بها غير ذلك، ولا يحسن بها سواه، بحيث تعـترف هي من ذواتها بأنها أهل ذلك، وأنها أولى به حصلت الحكمة التي لأجلها وجد الشر وموجباته في هذه الدار وتلك الدار. وليس في الحكمـة الإلهيـة أن الشرور تبـقى دائماً لا نهـاية لها ولا انقطاع أبداً فـتكون هي والخيرات في ذلك على حد سواء، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب.

فإن قيل: فإلى أيـن انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشـأن، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟

قيل إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧).

وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فيها حيث ذكر دخول

أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

وإلى ها هنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا في هذه المسألة بل وفي الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه وهو المان به وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده، والله أعلم.

الباب الثامن والستون

في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها

في الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا كذا وكذا فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧١) ومسلم (١٨٦).

أراها هاهنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[(١)].

وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن سعد بن يحيى الزرقي، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد ابن سنان الرهاوي قال: حدثني أبي عن أبيه قال: حدثني أبو يحيى الكلاعي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يارب بلغ بي الجنة ونجني من النار، فيوحي الله تبارك وتعالى إليه عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك** [ق/ ١٤٥] **؟فيقول العبد: نعم يارب وعزتك وجلالك لئن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار فيوحي الله إليه عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبت قط ولا أخطأت خطيئة قط، فيوحي الله إليه عبدي إن لي عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً فيقول: يارب أرني بينتك فيستنطق الله جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد فيقول: يارب عندي وعزتك العظائم فيوحي الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة، ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه يقول هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذي فوقه»**[(٢)].

ورواه ابن أبي شيبة عن هاشم بن القاسم: ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفي عن يزيد بن سنان به.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة تسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم. (١٩٠).

(٢) ضعيف: تقدم.

والآخرين،فترفع له شجرة فيقول:أي رب أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلهاوأشرب من مائها فيقول الله تبارك وتعالى:يابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها ،فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره،لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول:يارب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول: يابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟فيقول: لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول يابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟قال: بلى يارب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه منها فإذا أدنا منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: يا رب أدخلنيها فيقول: يابن آدم ما يرضيك مني أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها؟قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟قالوا: مم تضحك؟قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين، فيقول لا أستهزئ بك ولكني على ما أشاء قادر» (١).

وفي صحيح البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو بإسناد مسلم سواء قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل النار عذاباً منتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه،وإن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة،ومثل له شجرة ذات ظل فقال:أي رب قدمني إلى هذه الشجرةلأكون في ظلها فقال الله عز وجل:هل عسيت إن فعلت**

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٧).

أن تسألني غيره قال:لا وعزتك فقدمه الله إليها ومثل له شجرة ذات ظل وثمر أخرى فقال:أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها قال:هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟قال:لا وعزتك فيقدمه الله إليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول:أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها فيقول هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألني غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة فيقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة ـ وفي رواية تحت نجاف الجنة-أنظر إلى أهلها فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها فيقول أي رب أدخلني الجنة فيدخله الجنة،فإذا دخل الجنة قال هذا لي فيقول الله له:تمن،قال:فيتمنى ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأماني قال الله هو لك وعشرة أمثاله ، قال: ثم يدخل [ق/ ١٤٦] بيته ويدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك فيقول: ما أعطي أحد مثل ما أعطيت»(١) .

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه من أدنى أهل الجنة منزلة؟فقال:هو رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له:ادخل الجنة فيقول:أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له:أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول:رضيت رب فيقال:ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة:رضيت رب فيقول :لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك،فيقول:رضيت رب،قال:فأعلاهم منزلة قال ذلك الذي أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر».

ومصداقه في كتاب الله:﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(٢) (السجدة: ١٧) .

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٨).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٩).

الباب التاسع والستون
وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل
في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم ثنا صفوان بن صالح حدثني رواد بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحلون**»[1].

وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: «**لسان أهل الجنة عربي**»[2] وقال عقيل قال الزهري: «لسان أهل الجنة عربي».

فصل
في احتجاج الجنة والنار

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت: هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها**»[3].

---

(١) تقدم.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٢١٨).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٧٤٤٩) ومسلم (٢٨٤٦).

وفي رواية أخرى: «تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم فقال الله سبحانه للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً».

فصل

في أن الجنة يبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقاً دون النار

في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة»[1].

وفي لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقاً مما شاء فيسكنهم فضل الجنة».

وفي لفظ مسلم«يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى مما شاء».

وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة: «وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقي فيها فتقول: هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه وأنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ (الملك: ٨، ٩).

ولا يظلم الله أحداً من خلقه.

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨).

فصل

في امتناع النوم عن أهل الجنة

روىٰ ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**النوم أخو الموت أهل الجنة لا ينامون**»[1].

وذكر الطبراني من حديث يحيىٰ بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: سئل نبي الله ﷺ فقيل: أينام أهل الجنة؟فقال النبي ﷺ: «**النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون**»[2].

فصل

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد ، أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول:يارب أنىٰ لي هذا؟فيقول:باستغفار ولدك لك**»[3].

فصل

في إلحاق ذرية المؤمن به في [الدرجة][4] وإن لم يعملوا عمله

قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم [ق/ ١٤٧] بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا

---

(١) ضعيف: تقدم.

(٢) حسن: أخرجه الطبرانى فى « الأوسط» (٩٢٣).

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجة (٣٦٦٠).

(٤) فى خ: الجنة.

أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾(الطور : ٢١).

وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال :ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين**» .

وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك: أظنه حكاه عن النبي ﷺ: «**إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول: يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم**»،ثم تلا ابن عباس: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ ﴾إلى آخر الآية، وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بهم الصغار أو الكبار أو النوعان؟على ثلاثة أقوال واختلافهم مبني على أن قوله بإيمانهم حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم في الدرجات قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُم ﴾فجعل الفعل في الاتباع لهم، قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار كما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ﴾(الأنعام: ٨٤) وقال [ذرية من حملنا مع نوح][1].

وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(الأعراف: ١٧٣).

وهذا قول الكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه**» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وإن

(١) سقط من ط.

تقاصر عملهم عنها.

قالوا: وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى: أنه سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه وتكميلاً لنعيمه وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعاً وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ها هنا الصغار والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغاراً في الإيمان وأحكامه في الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما كان من أحكام البالغين، ويكون قوله بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين أي: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: ويدل على صحة هذا القول: أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب فإنهم مستقلون بأنفسهم بأنهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم ويكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال: قالوا: ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم، وأيضاً فالحور العين والخدم في درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت فرقة منهم الواحدي: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.

قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والأب كما قال تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾(يس: ٤١).

أي آباءهم والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي فمن وقوعه على التبعي قوله: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾(النساء: ٩٢).

فلو أعتق صغيراً جاز، قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عيونهم[1] ثم قرأ هذه الآية» وقال ابن مسعود في هذه الآية: «الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك» وقال أبو مجلز: «يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا» وقال الشعبي: «أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة». وقال الكلبي عن ابن عباس: «إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء» وقال إبراهيم: «أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً» قال: ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ: (واتبعتهم ذريتهم) فهذا في حق البالغين [ق/ ١٤٨] الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ (التوبة: ١٠٠)

ومن قرأ: **(وأتبعناهم ذرياتهم)** فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكماً فدلت القراءتان على النوعين.

قلت: فاختصاص الذرية ها هنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته، والله أعلم.

(١) في ط: عين.

فصل

في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: «احتجت الجنة والنار» وقوله: «قالت الجنة: يارب قد اطردت أنهاري، وطابت ثماري فعجل علي بأهلي» وقال إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطائي: «أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها: تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي: فتكلمت فقالت: طوبى لمن رضيت عنه» وقال قتادة: «لما خلق الله الجنة قال لها: تكلمي فقالت: طوبى للمتقين».

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي ثنا هشام بن خالد حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها تكلمي: فقالت: قد أفلح المؤمنون»[1].

فصل

في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

قال عبد الله بن أحمد: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد بن عبد الله عن يزيد ابن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال: ما نظر الله إلى الجنة إلا قال: طيبي لأهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها».

فصل

في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك، وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا» وحديث عكرمة عن النبي ﷺ في قول الحور: «اللهم

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١١٤٣٩) والأوسط (٧٣٨).

أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك».

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلي وإن أكلوا فهو صائم فصبر عليه رفيقه ذهاباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه قال له: ياأخي أخبرني ما الذي هيجك إلى ما رأيت؟ قال رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجد وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة يتثني معها كلما تثنت، فقالت: جد إلى الله في طلبي فقد والله جددت إليه في طلبك فهذا الذي تراه في طلبها.

قال أبو سليمان: هذا في طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: ياأهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود، فلا موت، ويأهل النار خلود فلا موت** ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ متفق عليه.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا**

موت ويا أهل النار :لا موت كل خالد فيما هو فيه»متفق عليه.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتي بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ثم ينادي مناد:ياأهل الجنة لا موت وياأهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتي بالموت ملبياً فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال :يا أهل النار فيطلعون مبشرين يرجون الشفاعة؟ فيقال لأهل الجنة وأهل النار:هل تعرفون هذا؟فيقول هؤلاء وهؤلاء:قد عرفناه هو الموت الذي وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال:يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت**»(٢)رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح، وهذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لاخيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأً قبيحاً: وقال الموت: عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب بها والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال: [ق/ ١٤٩] أن الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٤٤) ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

كما في الصحيح عنه ﷺ : «**تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان**»(١) الحديث، فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر : « **إن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوي النحل يذكرن بصاحبهن** (٢)» ذكره أحمد .

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها : « **فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيئ** » وهذا حقيقة لا خيال ، ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه له منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول أو لم يرد به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل .

وقال سعيد عن قتادة : بلغنا أن نبي الله ﷺ قال : « **إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له : من أنت ؟ فوالله إني لأراك امرأ الصدق فيقول له : أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة ، وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة فيقول: ما أنت فوالله إني لأراك امرأ السوء فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار** » وقال مجاهد مثل ذلك .

وقال ابن جريج يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله : ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾(يونس : ٩) .

والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه حتى يقذفه في النار .

وقال ابن المبارك : ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية : ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (الصافات : ٥٨ ، ٥٩) .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) صحيح : أخرجه ابن ماجة (٣٨٠٩).

قال : علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا : ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ قيل : لا ، فقالوا : ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول المقام ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته .

فصل

في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة

روى مسلم في صحيحه - من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « **يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحاً كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس** »[1].

وفي رواية « التسبيح والتكبير كما تلهمون » بالتاء المثناة من فوق أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس .

فصل

في تذكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال الله تعالى : ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ (الصافات : ٥٠ ، ٥١) .

وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (الطور : ٢٥-٢٧) .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه :

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٣٥) .

«إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعاً فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : نعم يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا » .

وإذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الأحاديث أولى وأحرى فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع ، فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم ، والله المستعان .

الباب السبعون
في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ﴾ (البقرة : ٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس : ٦٢ ، ٦٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت : ٣٠) .

وقال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَٰئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (الزمر : ١٨) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [ق/ ١٥٠] (التوبة : ٢٠ ، ٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (الشورى : ٢٢ ، ٢٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (يس : ١١).

وقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٤٥، ٤٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران :١٦٩-١٧١).

وقال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة : ١١١).

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٥ـ ١٥٧).

وقال تعالى : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف: ١٣) .

وقال في الجنة : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٣) . وقال : ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (الحديد : ٢١). وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (الكهف : ١٠٧) .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون :١ ـ١٠).

وفي المسند وغيره أن النبي ﷺ قال : « **قد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم تلا ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر آيات** »

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب : ٣٥) .

وقال تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة : ١١٢) .

وقال تعالى : ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم : ٦٣) .

وقال تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣ ، ١٣٦).

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف : ١٠ ، ١٣) .

وقال تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن : ٤٦) .

وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات : ٤٠ ، ٤١) .

وهذا في القرآن كثير مداره على ثلاث قواعد : إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشر دون من عداهم من سائر أهل الخلق وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهي تجتمع في أصلين : إخلاص في طاعة الله وإحسان إلى خلقه وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله ﷺ .

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها إلى تصديق الرسول في كل ما أخبر به وطاعته في جميع ما أمر به إيجابا واستحبابا كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

بل كما قال الشافعي رحمه الله : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه وكأنه أخذ من قول النبي ﷺ: « **اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول**».

وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها كما حكاه الأشعري عنهم ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه ، قال في مسائله المشهورة:

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب وطعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق .

قال : وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي [ق/ ١٥١] وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم إن: الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة ، والإيمان يزيد وينقص ، ويستثنى في الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكاً إنما هي سنة ماضية عند العلماء فإذا سئل الرجل : أمؤمن أنت ؟ فإنه يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، أو مؤمن أرجو ، ويقول : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ ، ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجئ .

ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ومن لم ير الاستثناء

في الإيمان فهو مرجئ .

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ ، ومن زعم أن المعرفة تقع في القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجئ والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاه على عباده وقدراً قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل ولا يجاوزه قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له ، واقعون فيما قدر عليهم وهو عدل منه جل ربنا وعز .

والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصي كلها بقضاء الله وقدره من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وعلم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئة منه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة وخلقهم لها .

وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها ، فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضي عليه لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته والله الفعال لما يريد ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه الخير والطاعة وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تعالى ، وأي إفتراء على الله أكبر من هذا ؟

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد وهل مضى في سابق علمه ؟ فإن قال: لا فقد زعم أن مع الله خالقاً وهذا الشرك صراحاً .

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذي قضي الله أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل فقد زعم أن المقتول مات

بغير أجله ، وأي كفر أوضح من هذا ؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل عدل منه في خلقه وتدبيره فيهم ، وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد .

ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقماءة ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء ولا بنص الشهادة ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله ولا لخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث.

والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والجمعة مع العيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يدا من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً ولانخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعة البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب [لدوامها][1] فإن ابتليت، فقدم نفسك دون دينك، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان، ولكن اكفف لسانك ويداك وهواك ، والله المعين .

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنب ، ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء وكما روي فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روي نحو كفر من يستحل ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام فاتبع ذلك ولا تجاوزه [ق/ ١٥٢] والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين .

---

(١) في خ: لزومها.

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ، ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات .

وحوض محمد ﷺ حق ، حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه .

والصراط حق يوضع على سواء جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن ، والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق ثم ينفخ فيه الآخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب والجنة والنار .

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من المقادير والقضاء والقلم حق كتب الله مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر ، والشفاعة يوم القيامة حق ، يشفع قوم في قوم فلا يسيرون إلى النار ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار ، وقوم يخلدون فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهم الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القصص : ٨٨).

وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهم للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت.

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات وما في الأرضين السبع وما بينهما

وما تحت الثرى وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات ، ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء ولا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به فإن احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق : ١٦) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ (المجادلة : ٧) .

ونحو هذا من متشابه القرآن ، فقل : إنما يعني بذلك العلم أن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان، ولله عز وجل عرش وللعرش حملة يحملونه والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد ، والله عز وجل سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ولا يسهو ، قريب لا يغفل ويتكلم وينظر ويبسط ويضحك ويفرح ، ويحب ويكره ويبغض ، ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم ويصفح ويغفر ، ويعطي ويمنع.

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد ، وخلق آدم بيده على صورته والسموات والأرض يوم القيامة في كفه ، ويضع قدمه في النار فتنزوي ويخرج قوما من النار بيده ، وينظر إلى وجه أهل الجنة يرونه فيكرمهم ويتجلى لهم وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلي ذلك غيره عز وجل .

والقرآن كلام الله الذي تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي

وكلم الله موسى تكليماً منه إليه وناوله التوراة من يده إلى يده .

ولم يزل الله عز وجل متكلماً والرؤيا من الله وهي حق إذا رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغثاً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من [ق/ ١٥٣] الأنبياء وحياً فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء ؟

وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام وقد روي عن النبي ﷺ : «**إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده** » .

وقال : « **إن الرؤيا من الله** » وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم والكف عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم . فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع .

ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة .

ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو

مخالف ، والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضاً حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار ، ولا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف إلى أن قال : فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث، وتعلمنا السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه .

قلت : حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق وله عنهما مسائل جليلة وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي وهذه الطبقة وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها، ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقاً لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مراراً وقد جمعت منه في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفراً متوسطاً فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولاً وعملاً واعتقاداً وبالله التوفيق .

فصل

ونختم الكتاب بما ابتدأناه به أولاً وهو خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس : ٩، ١٠) .

قال حجاج عن ابن جريج أخبرت أن قوله : دعواهم فيها سبحانك اللهم ، قال: إذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا : سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله تعالى : ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ ، قال

: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى : ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

قال سعيد عن قتادة قوله تعالى : ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ يقول ذلك قولهم فيها وتحيتهم فيها سلام .

وقال الأشجعي : سمعت سفيان الثوري يقول : إذا أرادوا الشيء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم ما دعوا به ، ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به .

وذكر سفيان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال : « **سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله فقال : تنزيه الله عن السوء** »[(١)] .

وسأل ابن الكواء علياً عنها فقال : كلمة رضيها الله تعالى لنفسه .

وقال حفص بن سليمان بن طلحة [ق/ ١٥٤] عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال : « **سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال : هو تنزيه الله عن كل سوء** »[(٢)] .

فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا : سبحان الله وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم وهو قولهم الحمد لله رب العالمين ، ومعنى الآية أعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة .

وفي الحديث : « **أفضل الدعاء الحمد لله** »[(٣)] فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٦ / ٥٣٥) والدارقطنى فى العلل (٤ / ٢٠٨) حديث (٥١٤).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن جرير فى «جامع البيان» (١١/ ٩٠) وابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٦٠) والحاكم (١٨٤٨) والبزار (٩٥٠).

وقد صنف القاضى إبراهيم بن محمد العتكى الشهير بـ (نفطويه) (ت:٣٢٣) رسالة فى مسألة سبحان، وفيها خير لا تجده فى غيرها.

(٣) حسن: أخرجه الترمذى (٣٣٨٣) وابن ماجة (٣٨٠٠) وابن حبان (٨٤٦) والحاكم (١٨٣٤) والبيهقى فى « الشعب » (٤٣٧١) والنسائى فى «الكبرى» (١٠٦٦٧) وابن أبى الدنيا في=

أهل الجنة فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس .

وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها ، وفي لفظة « اللهم » إشارة إلى صريح الدعاء فإنها متضمنة لمعنى يا الله فهي متضمنة للسؤال والثناء وهذا هو الذي فهمه من قال إذا أرادوا الشيء قالوا : سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به ، فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء، وليس في الآية ما يدل على ذلك ، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح . وآخره الحمد وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشيء ، وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية فهو لا يليق بحالهم والله تعالى أعلم بالصواب .

= «الشكر لله» (١٠٢).



فهرس الموضوعات

الفهرس

الموضوع — الصفحة